التعليقات المختصرة على المتون العلمية المقررة

كتاب التوحيد

بقلم

أبي أيمن طلال بن أحمد العامري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه وأشهد أن لا إله إلا إله الله وأشهد أن محمدا عبده رسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد:

فإنّ كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للإمام محمد بن عبد الوهاب يمثّل منارًا هاديًا وعمادًا أساسيًا في فهم العقيدة الإسلامية الصحيحة.

لقد جاء هذا الكتاب لبيان أهم الأصول التي بُعث بها الرسل جميعًا، وهي إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وتجنّب الشرك بجميع صوره.

إنّ أهمية الكتاب لا تنبع فقط من كونه جمع بين دفتيه آيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة، بل في منهجيته الواضحة والمحكمة في استدلاله، مما يجعله مرجعًا لا غنى عنه لكل مسلم يسعى لتصحيح عقيدته وتطهير عبادته من أي شوائب للشرك أو الابتداع.

والهدف من هذا التعليق الموجز إلقاء الضوء على بعض النقاط والمحاور التي تناولها الإمام في هذا الكتاب العظيم، سائلا الله التوفيق والسداد.

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنّ وَالإِنسَ إِلّا لِيَعْبُدُونَ [الذاريات : ٥٦].

هذه الآية الكريمة تُعدّ جوهر رسالة الإسلام وأساس الوجود الإنساني والجنّي.

هذه الآية تحمل معنى الحصر والقصر من خلال أداة النفي "ما" وأداة الاستثناء "إلا". وهذا الأسلوب البلاغي القوي يُفيد أن الله تعالى لم يخلق الجن والإنس لأي غاية أخرى من الغايات الدنيوية كالرزق، أو الملك، أو المتعة، وإنما خلقهم لغاية واحدة سامية وعظيمة هي عبادته وحده لا شريك له.

*"لِيَعْبُدُونِ": العبادة هنا ليست مجرد شعائر تعبدية محددة كالصلاة والصوم، بل هي مفهوم شامل يتضمن كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

فكل حركة في حياة المؤمن وسكونه، وكل قول وفعل، يمكن أن يتحول إلى عبادة إذا كان خالصًا لوجه الله تعالى وموافقًا لشرعه.

وهذا يشمل العمل، والتعلم، والإحسان إلى الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل ما يُقصد به وجه الله.

*قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: "إلا ليوحِّدوني".

وهذا التفسير يُبيّن أن التوحيد هو جوهر العبادة وأساسها الذي لا تُقبل بدونه.

*وقال الطبري رحمه الله : في تفسيره: "وما خلقتُ الجنّ والإنسَ إلا لعبادتي، وذلك التوحيد لي وإخلاص العبادة لي دون سائر الآلهة".

* وقال ابن القيم رحمه الله: قال في "الجواب الكافي": " وَجَمِيعُ الكَوْنِ قَائِمٌ عَلَى هَذِهِ الغَايَةِ، وَلَا يَنَالُ العَبْدُ كَمَالَ سَعَادَتِهِ إِلَّا بِتَحْقِيقِهَا".

وقوله تعالى : " (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل : ٣٦]

هذه الآية تبين الغاية الأساسية من إرسال الرسل والأنبياء إلى الأمم على مرّ التاريخ.

وتؤكد أن الله سبحانه وتعالى لم يترك أمةً من الأمم بغير هادٍ ومرشد.

فقد بعث في كل قوم رسولًا برسالة موحدة، وهي رسالة التوحيد.

هذه الرسالة تتكون من ركنين أساسيين:

* "اعْبُدُوا اللَّهَ": وهذا هو ركن الإثبات، أي إثبات العبادة لله وحده لا شريك له. العبادة هنا تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وهذا يقتضي الإيمان بأسماء الله وصفاته، وإفراده بالخلق والرزق، وتوجيه جميع أنواع العبادات له وحده.

* "وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ": وهذا هو ركن النفي، أي نفي العبادة عن كل ما سوى الله. الطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله. ويشمل ذلك:

الشيطان: الذي يزين للناس الشر.

الأصنام والأوثان: وكل ما يُعبد من دون الله.

الأشخاص: الذين يُطاعون في معصية الله أو يُشركون بالله.

اجتناب الطاغوت يعني الاعتقاد ببطلان عبادته، والبراءة منه، والعداء له ولأهله.

وقوله تعالى : " وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [الإسراء : ٢٣-٢٤].

هاتان الآيتان الكريمتان جمعتا بين أعظم حقين: حق الله تعالى وحق

الوالدين.

الآية تبدأ بأمر إلهي عظيم، وهو قضاء الله وحكمه، وهو أمر قطعي لا تبديل فيه.

"وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ":

قضى: بمعنى أمرَ، ووصّى، وحَكمَ حكمًا شرعيًا وقدره قدرًا كونيًا. هذا الحكم هو الأساس الأول للإيمان، وهو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة. وهذا يُبيّن أن أعظم الواجبات هو حق الله تعالى، فالتوحيد هو شرط قبول كل عمل.

"أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ": هذا هو الركن الأول، وهو إثبات العبادة لله وحده ونفيها عما سواه.

"وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا":

هذا هو الركن الثاني، حيث قرن الله سبحانه وتعالى حق الوالدين بحقه مباشرةً. وهذا يدل على عظيم منزلة الوالدين، وأنه لا يوجد حق بعد حق الله تعالى أعظم من حقهما.

إحسانًا: تشمل كل أنواع البر والخير، من القول الحسن، والفعل الطيب،

والرعاية، والنفقة، وطاعة أمرهما في غير معصية.

"إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا":

هذا الجزء من الآية يُسلّط الضوء على أصعب مراحل رعاية الوالدين، وهي مرحلة الشيخوخة. فالشيخوخة غالبًا ما تضعف القوة، وتغيّر المزاج، وتحتاج إلى صبر وعناية خاصة.

* "فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا":

* "أُفٍّ": كلمة تدل على أدنى مراتب الضجر والضيق. نهى الله عن هذه الكلمة التي لا تكلف جهدًا، فكيف بما هو أعظم منها من السب والشتم

والضرب؟! هذا النهي يدل على وجوب أقصى درجات الأدب في التعامل مع الوالدين.

* "وَلَا تَنْهَرْهُمَا": أي لا تزجرهما ولا ترفع صوتك عليهما.

* "وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا":

* القول الكريم هو القول اللين، الطيب، المُحترم، الذي يُشعرهما بالعزّة والاحترام. يجب أن يكون الكلام معهما خاليًا من أي تبرم أو تذمر.

* "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ":

* هذه الصورة البلاغية تُعبّر عن التواضع لهما. "جناح الذل" هنا ليس ذلّ الخنوع والمهانة، بل هو ذلّ التواضع والمحبة والرحمة لهما، كما يتواضع الطائر لصغيره.

* "وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا":

* هذه الجملة تجمع بين الاعتراف بالجميل والدعاء لهما.

* "كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا": تُذكّر الإنسان بضعفه في طفولته وكيف كانا يقومان على تربيته ورعايته دون كلل أو ملل. وهذا يُوجب عليه أن يُقابلهما بالإحسان، وأن يدعو لهما بالرحمة في حياتهما وبعد مماتهما.

* سعيد بن المسيب رحمه الله: لما سُئل عن قوله تعالى: "فلا تقل لهما أف" قال: "أفٍ: أدنى الأذى، فمن رفع يده عليهما فقد استوجب النار".

* عطاء بن أبي رباح رحمه الله: قال: " الرحمة للوالدين: أن تدعو لهما دائمًا، وتستغفر لهما، وتُحسن إليهما بعد موتهما".

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36].

هذه الآية الكريمة تُعدّ من أجمع آيات القرآن الكريم في بيان الحقوق.

كيف لا وهي تُشكل منهجًا متكاملًا يجمع بين حقوق الله تعالى وحقوق العباد، وتُبيّن أن كمال الإيمان لا يكتمل إلا بالجمع بينهما.

الآية تبدأ بالدعوة إلى أساس الدين وجوهره، وهو التوحيد.

* "وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا":

* "وَاعْبُدُوا اللَّهَ": هذا هو ركن الإثبات، أي إفراد الله بالعبادة وحده. العبادة هي كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

* "وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا": هذا هو ركن النفي، أي نفي الشرك عن الله بجميع أنواعه وأشكاله، سواء كان شركًا أكبر مخرجًا من الملة كعبادة الأصنام، أو شركًا أصغر كالرياء. اقتران الأمر بالعبادة بالنهي عن الشرك يُبيّن أن العبادة لا تكون صحيحة ومقبولة إلا إذا كانت خالصة من الشرك.

* "وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا":

* بعد الأمر بعبادة الله، يأتي الأمر بالإحسان إلى الوالدين مباشرة، وهذا يدل على عظم حقهما، وأنه لا يوجد حق بعد حق الله أعظم من حقهما.

* "وَبِذِي الْقُرْبَى":

* وهم الأقارب من جهة الأب والأم. يجب الإحسان إليهم بصلة الرحم،

والزيارة، والنفقة عليهم إن كانوا محتاجين.

* "وَالْيَتَامَى":

* وهم من فقدوا آباءهم قبل البلوغ. أمر الله بالإحسان إليهم بالعطف عليهم، وكفالتهم، ورعاية أموالهم.

* "وَالْمَسَاكِينِ":

* وهم الفقراء الذين لا يجدون ما يكفيهم. يجب الإحسان إليهم بالصدقة، وتلبية حاجاتهم، ورفع الحرج عنهم.

* "وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ":

* الجار ذي القربى: هو الجار الذي يجمعك به نسب أو قرابة.

* الجار الجنب: هو الجار الذي لا يجمعك به نسب. أمر الله بالإحسان إلى الجيران جميعًا، مسلمهم وكافرهم.

* "وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ":

* هو الرفيق في السفر، أو الصديق الملازم، أو الزوج. أمر الله بالإحسان إلى هذا الصاحب، لأنه شريك في الحياة ويحتاج إلى العناية والمودة.

* "وَابْنِ السَّبِيلِ":

* هو المسافر الذي انقطع به الطريق ونفذت نفقته. يجب الإحسان إليه بتقديم العون والمساعدة له.

* "وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ":

* وهم الخدم والعبيد، أمر الله بالإحسان إليهم، ونهى عن الإساءة لهم.

* "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا":

* هذه الجملة الختامية تُبيّن أن الذي يُخالف هذه الأوامر الإلهية هو شخص متكبّر وفخور بنفسه، لا يُراعي حقوق الله ولا حقوق عباده.

*قال ابن عباس رضي الله عنهما: في تفسير الآية: " هذه آية جامعة لحقوق الله وحقوق العباد، وفيها التوحيد، وهو رأس كل خير".

*وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: قال في تفسير الآية: "أمر الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له، ثم أمر ببر الوالدين، لأن الله تعالى هو الذي خلقهم، والوالدان هما السبب في وجودهم"

وقوله تعالى : قُلْ تعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا به شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَلَا تقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تقْتُلُوا النَّفْسَ التِي حَرّمَ اللهُ إِلَا بِالْحَقّ ذَلِكُمْ وَصَنَكُم بِهِ لَعَلَكُمْ تعْقِلُونَ وَلَا تقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَا بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتّى يَبْلُغَ أَشُدّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِفُ نَفْسًا إِلَا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنَكُم بِهِ لَعَلَكُمْ تذَكّرُونَ * وَأَنّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتبِعُوهُ وَلَا تتّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنّكُم بِهِ لَعَلَكُمْ تتّقُونَ)

[الأنعام: ١٥١-١٥٣].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله التي عليها خاتمه، فليقرأ هذه الآيات: ﴿قُلْ تعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾".

هذه الآيات الثلاث من سورة الأنعام تُعرف باسم "آيات الوصايا العشر" أو "وصايا القرآن".

كيف لا وهي تجمع بين الأسس العقدية والأخلاقية والاجتماعية التي تُبنى عليها حياة الإنسان.

فالآيات تتحدث عن مجموعة من المحرمات التي حرمها الله والواجبات التي أوجبها الله

يمكن تقسيم هذه الوصايا إلى ثلاث مجموعات رئيسية:

المجموعة الأولى: الوصايا المتعلقة بالعبادات والحقوق الأساسية

* أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا: هذه الوصية هي الأساس الذي تُبنى عليه جميع الوصايا الأخرى. إنها تحريم للشرك بجميع أنواعه، وهو أعظم الذنوب على

الإطلاق.

* وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا: بعد حق الله مباشرةً يأتي حق الوالدين، مما يُشير إلى عظم مكانتهما. الإحسان هنا يشمل القول والفعل، واللين، والرعاية، وعدم

الإساءة.

* وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ: تحريم قتل الأولاد بسبب الفقر، وهو عادة جاهلية كانت منتشرة. وتأتي الطمأنينة الإلهية: نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ.

* وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ: تحريم جميع أنواع الفواحش، من الزنا، واللواط، وغيرها. وهذا النهي عن "الاقتراب" يُشير إلى وجوب

الابتعاد عن كل ما يُفضي إلى هذه المحرمات.

* وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ: تحريم قتل النفس بغير حق، ويُستثنى من ذلك القصاص والحدود الشرعية.

المجموعة الثانية: الوصايا المتعلقة بالمعاملات

* وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: أمر بحفظ مال اليتيم والتعامل

معه بما فيه مصلحته، وعدم استغلال ضعفه.

* وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسْطِ: أمر بالعدل في التجارة

والمعاملات المالية.

* وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ: أمر بالعدل في القول

والشهادة والحكم، حتى لو كان ذلك على أقرب الناس.

* وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا: أمر بالوفاء بالعهود والمواثيق التي أخذها الله على عباده، والتي يُعقدها العباد فيما بينهم.

المجموعة الثالثة: الوصية الجامعة للطريق المستقيم

* وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ: هذه الوصية الجامعة تُعلن أن ما سبق من وصايا هو الطريق المستقيم لله. وهذا الطريق هو الذي يجمع كل الأوامر والنواهي الإلهية.

* وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ: نهي عن اتباع الطرق

الأخرى التي تُبعد الإنسان عن سبيل الله، وتشمل الطرق المنحرفة، والبدع، والأهواء، والآراء التي تُخالف الشرع.

* قال الطبري: في تفسيره: "هذه الآيات جامعة لكل ما يحبه الله ويرضاه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد التي عليها خاتمه، فليقرأ هذه الآيات"".

"من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه"

* "وصية محمد صلى الله عليه وسلم : يُقصد بها الخلاصة الجوهرية لرسالته ودعوته. فالأنبياء جميعًا جاءوا بوصايا جامعة، ووصية محمد صلى الله عليه وسلم هي أكملها وأشملها.

* "التي عليها خاتمه": هذا التعبير البليغ يُشير إلى الشيء الموثق والمؤكد الذي لا يُمكن المساس به أو الزيادة عليه. فكأن هذه الآيات هي الوصية المكتوبة التي ختمها النبي صلى الله عليه وسلم بيده، لضمان صحتها وأهميتها.

"فليقرأ قوله تعالى: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ"

* "قُلْ": أمر من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يوجه الخطاب إلى الناس. وهذا يدل على أن هذه الوصايا ليست خاصة بقوم معينين، بل هي رسالة عالمية للبشرية جمعاء.

* "تَعَالَوْا": كلمة دعوة إلى الحضور والانتباه. إنها ليست مجرد أمر، بل دعوة للاستماع والتدبر والتلقي.

* "أَتْلُ": بمعنى أقرأ عليكم وأخبركم.

* "مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ": هذا يُبيّن أن هذه الوصايا هي من محرمات الله تعالى، وليست من اجتهاد البشر أو أهوائهم، وأنها واجبة الاتباع والالتزام.

"أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا"

* هذا هو أول وأهم المحرمات وأعظمها على الإطلاق. الشرك هو الذنب الذي لا يغفره الله إن مات صاحبه عليه.

* "شيئًا" في سياق النفي تفيد العموم والشمول. أي لا تُشركوا به شيئًا مهما كان حجمه أو نوعه، سواء كان صنمًا، أو قبرًا، أو حجرًا، أو شخصًا.

"إلى قوله: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا"

* هذا هو ختام الوصايا، وهو يُحدد العلاقة بين الوصايا المذكورة وبين منهج الله تعالى.

* "صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا": الصراط هو الطريق الواضح والواسع. و"مستقيم" أي بلا اعوجاج أو انحراف. هذا يُبيّن أن هذه الوصايا هي المعالم الأساسية للطريق الذي يُوصل إلى الله تعالى والجنة.

*استخدام كلمة "هَذَا" (اسم الإشارة) يُشير إلى أن مجموع هذه الوصايا هو الصراط المستقيم.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النبي عَلَى حِمارٍ، فَقَالَ لي : يَا مُعَاذُ، أتدْرِي مَا حَقّ اللّه عَلَى العِبَادِ؟ وَمَا حَقّ العِبَادِ عَلَى اللّهِ ؟ قلتُ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ ، قَالَ : [فَإِنّ حَقّ اللّه عَلَى العِبَادِ : أنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا،

وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ : أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : لَا تُبَشِّرْهُمْ. فَيَتَّكِلُوا». أخرجاه في الصحيحين

هذا الحديث يُبيّن بوضوح حق الله تعالى على خلقه، والجزاء العظيم الذي أعدّه للموحدين.

"عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى حِمَارٍ"

* "رديف": أي راكبًا خلفه على الدابة. هذه الصورة تُبيّن قرب معاذ من النبي صلى الله عليه وسلم ، وتواضع النبي صلى الله عليه وسلم في ركوبه على حمار، مما يدل على أن هذه الوصية العظيمة قيلت في لحظة خاصة، وفي موقف يدل على التواضع والبساطة.

* معاذ بن جبل رضي الله عنه: صحابي جليل، وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أعلم أمته بالحلال والحرام. اختيار النبي صلى الله عليه وسلم له ليوصيه بهذه الوصية يدل على أهميتها وعظم شأنها.

"فَقَالَ لِي: يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟"

* "أتدري": هذا الأسلوب الاستفهامي يُستخدم لـشدّ الانتباه وإثارة الفضول ، ليُهيّئ السامع لتلقي معلومة عظيمة.

* "حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ": هذا هو الركن الأول، وهو ما يجب على العباد أن يفعلوه لله تعالى.

* "حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ": هذا هو الركن الثاني، وهو الجزاء الذي وعد الله به عباده الموحدين، وهو حق تفضل منه وكرم، وليس حق إلزام على الله تعالى.

"قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"

* هذا الجواب من معاذ يدل على أدب الصحابة وكمال علمهم. فهم لا يجيبون بما لا يعلمون، بل يردون العلم إلى مصدره الحقيقي.

"قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا"

* هذا هو الجواب الحاسم الذي يُبيّن الغاية من الخلق والرسالة.

* "أَنْ يَعْبُدُوهُ": أي يوحّدوه في العبادة. العبادة هنا تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه.

* "وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا": هذا هو النفي للشرك، وهو شرط أساسي لصحة العبادة وقبولها.

"وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ: أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"

* هذا هو الجزاء العظيم الذي وعد الله به الموحدين.

* "حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ": هذا الحق هو من فضل الله وكرمه على عباده، وليس حقًا واجبًا عليه. وقد ورد في صحيح البخاري عن معاذ: "ألا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا." (متفق عليه).

* "أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا": هذا يدل على أن التوحيد الخالص هو سبب النجاة من عذاب الله.

"قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟"

* "أفلا أُبَشِّرُ النّاسَ؟": معاذ أراد أن ينقل هذه البشرى العظيمة للناس جميعًا حتى يفرحوا ويتشجعوا.

"قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا"

* "فَيَتَّكِلُوا": أي يعتمدوا على هذه البشرى وحدها، ويتركوا العمل الصالح. وهذا يدل على أن الإسلام ليس دينًا يعتمد على التمني، بل هو دين عمل وعقيدة.

*قال النووي رحمه الله في شرحه للحديث: "في هذا الحديث فضل التوحيد، وأنه من أعظم الأسباب لدخول الجنة".

باب: فضل التّوْحِيدِ ومَا يُكفّرُ مِنَ الذّنُوبِ

وقول الله تعالى : الّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ [الأنعام: ٨٢].

تعتبر هذه الآية من الآيات العظيمة التي تبين أهمية الإيمان الخالص من أي شائبة من شوائب الظلم، وتبشر أهل هذا الإيمان بالأمان التام والهداية الكاملة.

"ولم يلبسوا إيمانهم بظلم"

كلمة "يلبسوا" تعني يخلطوا أو يشوبوا، و "الظلم" هنا هو الشرك بالله. هذا هو المعنى الذي فهمه السلف الصالح لهذه الكلمة

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لما نزلت ﴿الّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس بذاك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾."

هذا الحديث يوضح بجلاء أن المقصود بالظلم في هذه الآية هو الشرك بالله تعالى، سواء كان شركًا أكبر يخرج من الملة، أو شركًا أصغر. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يظنون أن الظلم هنا هو أي معصية أو ذنب يرتكبه الإنسان، فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد هو الشرك، وهو أعظم الظلم.

"أولئك لهم الأمن وهم مهتدون"

الآية الكريمة تبشر المؤمنين الذين لم يشركوا بالله بشيئين عظيمين:

* الأمن: الأمن هنا يشمل أنواعًا متعددة من الأمان:

* الأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة: فالمؤمن الموحد لا يخاف من عذاب الله، بل يرجو رحمته وفضله.

* الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة: كما قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ

الأكبَرُ﴾ (الأنبياء: 103).

* الأمن من الخوف والحزن في الدنيا: فالمؤمن الصادق لا يخشى إلا الله، ولا يحزن على ما فاته من الدنيا لأنه يعلم أن أمره كله بيد الله.

* الهداية: والهداية هنا هي الهداية الكاملة في الدنيا والآخرة.

* الهداية إلى صراط الله المستقيم في الدنيا: أي التوفيق لاتباع الحق واجتناب الباطل.

* الهداية إلى طريق الجنة في الآخرة: فالمؤمن الموحد هو الذي يوفق إلى دخول الجنة برحمة الله وفضله.

وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ شَهِدَ أَنّ لا إله إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنّ الجَنّةَ حَقٌ، وَالنّارَ حَقٌ؛ أَدْخَلَهُ اللّه ُ الجَنّةَ عَلَى مَا كانَ مِنَ العَمَلِ . أخر جاه. "

ولهمافي حديث عتبان: فَإِنّ اللّه َ حَرّمَ عَلَى النّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلّا االلّهُ يبتغي بِذَلِكَ وَجْهَ اللّه .

الراوي: الصحابي الجليل عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي. كان من كبار الصحابة وعقلاء الأنصار، شهد العقبة الأولى والثانية، وكان أحد النقباء الاثني عشر الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم. شارك في غزوة بدر وجميع المشاهد مع النبي. كان من فقهاء الصحابة وعلمائهم، وبعثه عمر بن الخطاب إلى الشام لتعليم الناس القرآن والفقه. توفي رضي الله عنه

بالقدس سنة 34 ه.

"مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ"

هذه هي الكلمة الأساسية في الإسلام، وهي كلمة التوحيد. معنى "شهد" هنا ليس مجرد النطق باللسان، بل هو الإقرار القلبي والعملي. يشمل هذا الإقرار:

* العلم بمعناها: وهو أنه لا معبود بحق إلا الله. قال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) (سورة محمد: 19).

* اليقين التام: الذي لا يشوبه أدنى شك.

* القبول التام: لكل ما يترتب عليها من أحكام.

* الانقياد والإذعان: بالعمل بما تقتضيه.

* الإخلاص: بحيث يكون القصد من هذه الشهادة وجه الله وحده.

* المحبة: لله ولرسوله، وللمؤمنين، وبغض الشرك وأهله.

"وحده لا شريك له" تأكيد على توحيد الألوهية والربوبية والأسماء

والصفات. لا شريك له في ربوبيته (الخلق، الرزق، التدبير)، ولا في ألوهيته (العبادة)، ولا في أسمائه وصفاته (ليس كمثله شيء).

"وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ"

هذه هي الشهادة الثانية التي لا يصح إيمان بدونها. وهي تشمل:

* الإيمان بنبوته ورسالته: وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

* طاعته فيما أمر: قال تعالى: (مَنْ يُطِعِ الرّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ) (سورة النساء: 80).

* تصديقه فيما أخبر: من أمور الغيب وأخبار الأمم السابقة واللاحقة.

* اجتناب ما نهى عنه وزجر: فهو مبلغ عن ربه، ونهيه هو نهي الله.

* ألا يُعبَد الله إلا بما شرع: فلا يجوز الابتداع في الدين.

* الجمع بين وصفَي العبودية والرسالة: فلا نغالي في حقه حتى نصل إلى تأليهه، ولا نُقصِّر في حقه فننكر رسالته. قال صلى الله عليه وسلم: "لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله."

"وَأَنّ عِيسَى عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ"

هذا إقرار بمكانة عيسى عليه السلام، ويخالف اعتقاد النصارى الذين غلوا فيه. هذا اللفظ يؤكد أنه:

* عبد من عباد الله: خلقه الله من غير أب، وهو ليس ابنًا لله. قال تعالى: (إِنْ هُوَ إِلّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)

(سورة الزخرف: 59).

* رسول من رسل الله: بعثه الله لبني إسرائيل.

"وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ"

* "كلمته": المراد به كلمة "كن" التي قالها الله له فكان، كما قال تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (سورة يس: 82).

* "أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ": أي أوحى بها وأمر بها مريم.

* "وَرُوحٌ مِنْهُ": هذا ليس معناه أن روح عيسى جزء من ذات الله، بل "مِنْ" هنا للتبعيض أو للتفضيل والتشريف. فكل الأرواح هي من الله تعالى خلقًا وتكوينًا، لكن روح عيسى عليه السلام شُرِّفت بكونها نفخة من الله عن طريق جبريل عليه السلام.

قال الإمام الطبري: "هو روح من الأرواح التي خلقها الله، وإنما أضافه إلى نفسه على وجه التشريف والتكريم".

"وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ"

هذا من الإيمان باليوم الآخر. يجب الإيمان بأن الجنة والنار موجودتان الآن، وأنهما داران دائمتان، وأن الأولى للنعيم المقيم للمؤمنين، والثانية للعذاب الأليم للكافرين.

قال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (سورة آل عمران: 133).

وقال في النار: (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (سورة آل عمران: 131).

"أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ"

هذا هو ثمرة الإيمان بهذه الأصول. فمن حقق هذه الشهادات بصدق ويقين، كان مصيره الجنة. والعبارة "عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ" تحمل معنيين:

* أن الله يدخله الجنة مهما كانت أعماله الصالحة قليلة أو كانت له بعض المعاصي التي لم يتب منها، فإنه وإن عُذِّب في النار بذنوبه، فإن مصيره النهائي هو الجنة بسبب توحيده.

قال الإمام النووي: "هذا من الأحاديث التي يذكر فيها إخراج الموحدين من النار بعد أن يدخلوا فيها".

* أنه يدخله الجنة ولو مات على ما كان من المعاصي غير الشركية، فهذا لا يمنعه من دخول الجنة في النهاية، بخلاف الشرك الأكبر الذي يخلد صاحبه في النار. قال تعالى: (إِنّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (سورة النساء: 48).

وحديث عتبان بن مالك رضي الله عنه: "فَإِنّ اللهَ حَرّمَ عَلَى النّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ يبتغي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ"

يؤكد المعنى الأول، وهو أن كلمة التوحيد سبب لنجاة قائلها من النار، بشرطين أساسيين:

* النطق باللسان: "من قال: لا إله إلا الله".

* الإخلاص والصدق في القلب: "يبتغي بذلك وجه الله".

لا يكفي مجرد النطق بالكلمة، بل لا بد من تحقيق شروطها ومقتضياتها،

كالإخلاص، والصدق، واليقين، والمحبة، والقبول، والعمل. هذا ما أكده السلف ، بأن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ليس كل من قالها ينجو من النار، فإن المنافقين يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار، وإنما ينجو من قالها

بإخلاص وصدق وعمل".

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله"، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، عَلّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ. قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لا إِلَهَ إِلا اللهُ. قَالَ: يَا رَبِّ، كُلّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنّ السّمَوَاتِ السّبْعِ وَعَامِرهُنّ غَيْرِي ، وَالأَرَضِينَ السّبْعَ فِي كِفّةٍ وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ فِي كِفّةٍ، مَالَتْ بِهِنّ

الراوي هو أبو سعيد الخدري، واسمه سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي. هو أحد أشهر الصحابة الفقهاء، وأكثرهم رواية للحديث النبوي. كان ملازماً للنبي صلى الله عليه وسلم، وشارك معه في غزوات كثيرة.

يُعرف عنه أنه كان من أكثر الصحابة علماً وفهماً، وقد توفي رضي الله عنه سنة 74 هجري.

"قال موسى: يا رب، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به"

هذا اللفظ يظهر أدب الأنبياء عليهم السلام، وتوقهم لذكر الله سبحانه وتعالى. النبي موسى عليه السلام، على عظمته ومكانته، يطلب من ربه أن يعلمه أفضل طريقة لذكره ودعائه.

هذا الطلب يدل على أن الأنبياء كانوا أشد الناس حرصاً على العبادة، ويطلبون من الله أن يرشدهم إلى أفضلها.

قال تعالى في وصف الأنبياء: "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّتِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا" (مريم: 58).

هذا يدل على شدة عبادتهم وخضوعهم لله.

"قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله"

هذا هو جواب الله تعالى على طلب موسى عليه السلام. لم يعلمه شيئاً معقداً، بل أمره بكلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، وهي أبسط الكلمات في النطق، ولكنها أعظمها في المعنى.

هذا يدل على أن أفضل الذكر وأعظمه هو ذكر التوحيد، وهو أساس كل خير في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ" (الأنبياء: 25).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أفضل الذكر لا إله إلا الله"

"قال: يا رب، كل عبادك يقولون هذا"

هذا اللفظ يدل على أن موسى عليه السلام كان يرى أن هذه الكلمة سهلة على الناس، وربما كان يتوقع شيئاً أكثر خصوصية. كان يظن أن هناك ذكراً أو دعاءً خاصاً به وحده. ولكن الله سبحانه وتعالى بين له أن هذه الكلمة، على سهولتها، هي أعظم وأجلّ ما يتقرب به العبد إلى ربه.

"قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن"

هذا هو لب الحديث، وهو بيان عظمة كلمة التوحيد "لا إله إلا الله". الله سبحانه وتعالى يضرب لنا مثالا ً بوزن هذه الكلمة. فلو أن السماوات السبع بكل ما فيها من ملائكة وجن وإنس (غير الله)

والأرضين السبع، وُضِعت في كفة ميزان، ووُضِعت "لا إله إلا الله" في كفة أخرى، لرجحت بها كلمة التوحيد.

هذا يدل على أن التوحيد أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة، وهو أعظم عمل على الإطلاق.

يقول الحسن البصري رحمه الله: "الجنة ثمنها لا إله إلا الله".

وللترمذي وحسنه عن أنس: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول : قَالَ اللَّه ُ تعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً .

الراوي هو أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه، وهو خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم. خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، وكان ملازماً له في حله وترحاله، وعاش بعده طويلا ً حتى أصبح من المكثرين في رواية الحديث، وروى عنه كثير من التابعين. توفي أنس رضي الله عنه سنة 93 هجري.

"قال الله تعالى: يا ابن آدم"

هذا اللفظ يمثل نداءً إلهياً موجهاً إلى البشرية جمعاء، "يا ابن آدم" هو تعبير يشمل كل فرد من بني البشر، ذكراً كان أم أنثى، وهذا النداء يدل على أن هذا الحديث يخص كل إنسان، وهذا يدل على عموم رحمة الله بعباده.

"لو أتيتني بقراب الأرض خطايا"

"القراب" تعني ملء الشيء حتى يقارب فوهته، أو ما يقارب ملأها، أي لو جئتني بكمية من الذنوب والمعاصي تملأ الأرض أو تقارب أن تملأها. وهذا التعبير المجازي يصور كثرة الذنوب التي قد يرتكبها الإنسان في حياته، ولكنه يفتح باب الأمل بالتوبة والعودة إلى الله.

"ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا"

هذا هو الشرط الأساسي الذي لا تتم المغفرة إلا به، وهو التوحيد الخالص. " لا تشرك بي شيئاً" تعني ألا تجعل لله شريكاً في ذاته، أو صفاته، أو أسمائه، أو أفعاله، أو عباداته، وأن تكون جميع أعمالك خالصة لله وحده.

هذا الشرط يبين أن الشرك هو أعظم الذنوب على الإطلاق، وهو الذنب الوحيد الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه.

قال ابن القيم رحمه الله: "التوحيد مفتاح الجنة، والشرك مفتاح النار".

"لأتيتك بقرابها مغفرة"

هذا هو الجزاء العظيم لمن حقق التوحيد. "لأتيتك بقرابها مغفرة" أي سأغفر لك ذنوبك التي ملأت الأرض، وسآتيك بملء الأرض مغفرة.

هذا يدل على أن التوحيد هو أعظم سبب للمغفرة، وأن رحمة الله ومغفرته أكبر من كل الذنوب والمعاصي إذا كان العبد موحداً لله عز وجل.

قال تعالى: "وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رّحِيمًا" (النساء: 110).

بَاب مَنْ حَقّقَ التّوْحِيدَ : دَخَلَ الجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عذاب

وقول الله تعالى: ﴿إِنّ إِبْرَاهِيمَ كانَ أُمّةً قانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ) [النحل : ١٢٠].

هذه الآية الكريمة تصف عظمة نبي الله إبراهيم عليه السلام.

الآية تحمل في طياتها أربعة أوصاف عظيمة لإبراهيم عليه السلام، وهي تُعتبر أركانًا أساسية في تحقيق التوحيد.

* "كانَ أُمّةً": كلمة "أمة" تُطلق على الجماعة الكبيرة من الناس، ولكن هنا معناها مختلف. فالمقصود أن إبراهيم عليه السلام كان إمامًا قدوة يُقتدى به في الخير، أو أنه كان يجمع في نفسه صفات الخير التي تتواجد في أمة كاملة. وهذا يدل على عظمته وفرادته.

* "قانِتًا لِلّهِ": القنوت هو دوام الطاعة والخشوع والخضوع لله عز وجل. فإبراهيم كان دائم الخضوع والطاعة لله في كل أحواله، وهذا ما جعله مستحقًا لهذا الوصف.

* "حَنِيفًا": الحنيف هو المائل عن الشرك إلى التوحيد. والحنيفية هي ملة إبراهيم التي تقوم على الإخلاص لله وحده، والبعد عن كل مظاهر الشرك. وهذا الوصف يُبرز نقاء عقيدة إبراهيم وسلامتها من أي شوائب.

* "وَلَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ": هذا النفي يأتي ليؤكد على ما سبقه من أوصاف. فقوله "حنيفًا" يعني أنه ليس مشركًا، ولكن الله أكد هذا المعنى ليقطع الطريق على من يدّعون الانتساب إليه من المشركين، كاليهود والنصارى ومشركي العرب.

قال تعالى: (مَا كانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ) [البقرة: ١٣٥].

هذه الآية تؤكد نفس المعاني التي في آية النحل، وتنفي انتساب أهل الكتاب إلى إبراهيم، وتؤكد أنه كان حنيفًا مسلمًا.

وقال تعالى: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ

إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام: ١٦١].

هذه الآية تأمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة إبراهيم، وتؤكد أن هذه الملة هي "الحنيفية" البعيدة عن الشرك.

قال ابن كثير رحمه الله: في تفسيره للآية: "يصف الله تعالى خليله إبراهيم إمامًا للناس وقدوة يقتدى به في الخير، وتابعًا لدين الله، مقيمًا على طاعته، معرضًا عن الشرك وأهله".

وقال ابن تيمية رحمه الله: "إبراهيم كان أمةً وحده، وذلك لكمال توحيده وعبوديته".

وقال تعالى : (وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ) [المؤمنون : ٥٩).

هذه الآية الكريمة، على قصرها، تحمل معنىً عظيمًا ومفتاحًا لقبول الأعمال الصالحة، فهي تُبيّن أن من صفات المؤمنين الصادقين إخلاص العبادة لله وحده، وعدم الإشراك به في شيء من ذلك. هذه الآية جاءت في سياق ذكر صفات المؤمنين التي يستحقون بها الفردوس الأعلى.

* (وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ): هذا النفي يُشير إلى تحقيقهم للتوحيد الخالص، وهو إفراد الله بجميع أنواع العبادة، من دعاء، وخوف، ورجاء، واستعانة، وتوكل، ونذر، وذبح، وغيرها. فالمؤمن الصادق لا يجعل لله شريكًا في أي من هذه العبادات.

*قال ابن تيمية رحمه الله: "إن الشرك بالله يُحبط كل عمل صالح، وإن هذه الآية دليل على أن من صفات المؤمنين أنهم لا يشركون بربهم أحدًا".

وقال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره للآية: "يعني بذلك أنهم لا يدعونه ولا يعبدون معه سواه، ولا يتخذون معه شريكًا في عبادتهم إياه".

وقال عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: في تفسيره"وهذا هو الأصل والأساس لجميع الأعمال، فإنها لا تقبل إلا بالتوحيد الخالص".

عن حُصَيْنِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ" قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ البَارِحَةَ ؟ فَقُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ. وَلَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ ؟ قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ. قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ

الحُصَيْبِ، أنّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إلّا مِنْ عَيْنٍ أوْ حُمَةٍ ، قَالَ : قَدْ أحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إلَى مَا سَمِعَ وَلَكِنْ حَدّثَنَا ابْنُ عَبّاسٍ عَنِ النّبِيّ ﷺ أنه قَالَ: عُرِضَتْ عَلَى الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النّبِيّ وَمَعَهُ الرّهَطُ، وَالنّبِيّ وَمَعَهُ الرّجُلُ وَالرّجُلَانِ، وَالنّبِيّ

وَلَيْسَ مَعَهُ أحَدٌ ، إذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أنّهُمْ أمّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا هُوَ سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أمّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ الفًا يَدْخُلُونَ الجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.

ثُمّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلّهُمُ

الّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللّهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلّهُمُ الّذِينَ وُلِدُوا فِي

الإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللّهِ شَيْئًا، وَذَكَرُوا أشْيَاءَ.

فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فَأُخْبِرُوهُ، فَقَالَ: هُمُ الّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيّرُونَ، وَعَلَى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ ، فَقَامَ عُكّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: يَا رسول اللّه ادع اللّه أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ : أنتَ مِنْهُمْ ثُمّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ يا رسول اللّه "]: ادْعُ اللّه أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكّاشَةُ .

الرواة: * حصين بن عبد الرحمن: تابعي ثقة، من رواة الحديث عن سعيد بن جبير والشعبي وغيرهما.

* سعيد بن جبير: تابعي جليل، كان عالماً فقيهاً، من تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما.

* بريدة بن الحصيب: صحابي جليل، أسلم في المدينة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة.

* ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ترجمان القرآن وحبر الأمة، كان من أفقه الصحابة وأعلمهم.

"كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟"

هذا اللفظ هو بداية القصة، حيث يسأل سعيد بن جبير عن شهاب سقط من السماء، وهو ما يسمى بـ "الشهب" أو "الكوكب الذي انقض". هذا السؤال

يدل على أن السلف كانوا يتأملون في خلق الله ويراقبون الظواهر الكونية.

"فقلت: أنا. ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدعت. قال: فماذا صنعت؟ قلت: ارتفيت."

* "أما إني لم أكن في صلاة": حصين أراد أن يوضح أنه لم يكن ساهراً من أجل قيام الليل، بل كان مستيقظاً لسبب آخر، وهو أنه قد لدغته حية أو عقرب. وهذا من ورع السلف، حيث لا ينسبون لأنفسهم الفضائل دون وجه حق.

* "ولكني لدعت": أي لدغته حية أو عقرب.

* "ارتفيت": أي طلبت الرقية، وهي القراءة على المريض لشفائه.

"قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب، أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة."

* "لا رقية إلا من عين أو حمة": هذا الحديث الذي رواه الشعبي عن بريدة بن الحصيب يدل على أن الرقية لا تكون إلا في حالات معينة، وهي "العين" (الحسد) أو "الحمة" (لسعة العقرب أو الحية). هذا الحديث صحيح، ولكنه ليس على إطلاقه، فحصين استدل به على جواز الرقية، وسعيد بن جبير أراد أن يبين له أن هناك من ترك الرقية كمالاً في التوكل.

"قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس..."

سعيد بن جبير يقر بحسن فعل حصين، ولكنه يريد أن يرشده إلى الأفضل

والأكمل، وهو التوكل على الله بترك الرقية. وهذا يدل على أن الرقية جائزة، ولكن تركها أفضل لمن كان توكله كاملاً على الله.

"عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل

والرجلان، والنبي وليس معه أحد."

هذا الجزء من الحديث هو رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، حيث رأى

الأنبياء وأممهم.

* "الرهط": جماعة من الرجال.

* "الرجل والرجلان": يدل على قلة أتباع بعض الأنبياء.

* "ليس معه أحد": يدل على أن بعض الأنبياء لم يؤمن بهم أحد من قومهم.

هذا الموقف يبين عظم صبر الأنبياء على الدعوة، رغم عدم استجابة أقوامهم، وهو حافز للدعاة إلى الصبر على طريق الدعوة.

"إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت، فإذا هو سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب."

* "سواد عظيم": أي عدد كبير.

* "هذا موسى وقومه": هذا يدل على كثرة أتباع النبي موسى عليه السلام، ثم يبين الله لنبينا أن أمته هي أكبر الأمم عدداً.

* "سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب": هذا هو الشاهد من الحديث، وهؤلاء هم صفوة الأمة، الذين بلغوا الكمال في توحيدهم وتوكلهم على الله.

"ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك..."

سعيد بن جبير نهض وتركهم، وهذا يدل على حرصه على عدم الإطالة، وأنه ترك لهم المجال للتفكر في صفات هؤلاء السبعين ألفاً.

"فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه، فقال: هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون."

هذا هو محور الحديث وجواب النبي صلى الله عليه وسلم الذي يوضح صفات السبعين ألفاً.

* "لا يسترقون": أي لا يطلبون الرقية من غيرهم، وهذا من كمال التوكل على الله، فهم لا يعتمدون إلا على الله في شفائهم. يجب التنبيه هنا على أن الرقية جائزة، ولكن تركها أفضل.

* "ولا يكتوون": أي لا يطلبون الكي، وهو علاج قديم كان مستخدماً، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن استخدامه لشدة ألمه.

* "ولا يتطيرون": أي لا يتشاءمون من شيء، مثل رؤية غراب أو سماع صوت معين، بل يتوكلون على الله وحده.

* "وعلى ربهم يتوكلون": هذا هو أساس كل هذه الصفات، فكمال التوحيد وترك الرقية والكي والتشاؤم سببه كمال التوكل على الله.

قال ابن القيم رحمه الله : "التوكل هو عمل القلب، لا عمل الجوارح".

قال ابن تيمية رحمه الله : "ترك الرقية والكي هو من كمال التوكل،

وليس واجباً، بل هو فضيلة".

"فقام عكاشة بن محصن، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: أنت منهم."

* عكاشة بن محصن: صحابي جليل، كان من الأوائل الذين أسلموا.

* هذا يدل على فضل عكاشة، وحرصه على الخير، وسرعة استجابته. فمجرد سماع الفضيلة، سارع لطلبها من النبي صلى الله عليه وسلم.

"ثم قام رجل آخر فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: سبقك بها عكاشة."

النبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع الرجل الثاني من الخير، ولكنه أراد أن يبين له أن هذه المنقبة كانت لعكاشة لسبقه في طلب الخير. وهذا فيه حكمة نبوية، وهي أن التنافس في الخير يجب أن يكون سريعاً، وأن الخير يسبق من يطلبه أولا.

باب: الخوف من الشرك

وقول الله : ال إنّ الله ـَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنيشاء) [الآية " [النساء : ٤٨،١١٦].

الآية تحمل في طياتها معنيين عظيمين:

*فالشق الأول من الآية: (إنّ اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ)، يُعدّ وعيدًا قاطعًا بأن الشرك بالله هو الذنب الوحيد الذي لا يغفره الله للمشرك إذا مات عليه، ولم يتب منه. والشرك هو اتخاذ شريك أو نظير لله في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته، سواء كان شركًا أكبر مخرجًا من الملة، أو شركًا أصغر.

*والشق الثاني من الآية: (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ)، هو بمثابة رحمة واسعة من الله للمؤمنين. فكل الذنوب والمعاصي التي ارتكبها المسلم، مثل القتل، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، هي تحت مشيئة الله. إن شاء غفرها بفضله وكرمه، وإن شاء عذّب صاحبها بقدرها، ثم أدخله الجنة برحمته.

قال الإمام الطبري رحمه الله: في تفسيره: "هذه الآية من أرجى آي القرآن لأهل التوحيد". أي أنها تُعطي أملًا عظيمًا للمؤمنين في مغفرة ذنوبهم.

وقال ابن تيمية رحمه الله: "هذه الآية هي أصل عظيم في الشرك، فكل من أشرك بالله فهو خارج عن دائرة المغفرة".

وأوضح أن الشرك الأصغر، مثل الرياء، وإن كان لا يخرج من الملة، فإنه يُنقص من التوحيد ويُعرض صاحبه للوعيد.

وقال ابن كثير رحمه الله: قال: "هذا هو الفرق بين المشركين والموحدين.

فالشرك لا يغفر أبدًا، وأما الموحد فذنوبه تحت المشيئة، إن شاء غفرها له بفضله، وإن شاء عذبه بقدرها".

وقال الخليل عليه السلام: وَاجْنُبْنِي وَبَنِي أن تعْبُدَ الأَصْنَامَ [إبراهيم : ٣٥].وفي الحديث : أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ». فسئل عنه فقال: «الرياء .

هذه الآية تُظهر عمق توحيد إبراهيم عليه السلام، وإدراكه لخطورة الشرك،

حتى بعد أن أقام الحجة على قومه وكسّر أصنامهم.

* "وَاجْنُبْنِي وَبَنِيّ":

"اجنبني" بمعنى: أبعدني واجعلني في جانب، وبنيّ: أي ذريتي. دعاء إبراهيم هنا ليس مجرد دعاء شخصي، بل هو دعاء بالثبات على التوحيد له ولذريته من بعده. هذا الدعاء دليل على أن الإنسان مهما بلغ من الإيمان

واليقين، فإنه لا يأمن على نفسه من فتنة الشرك.

* "أن نّعْبُدَ الأَصْنَامَ":

الأصنام هي كل ما يُعبد من دون الله. وفي هذا الدعاء إشارة إلى أن الشرك قد يأتي على هيئة عبادة محسوسة (مثل الأصنام)، وقد يأتي على هيئة تعظيم أو حب أو طاعة لغير الله.

لماذا دعا إبراهيم بهذا الدعاء مع كونه أبا الأنبياء؟

* الجواب :هو أن الخوف من الشرك هو من سمات المؤمن الصادق، خاصة أنه رأى بعينيه كيف أن أقرب الناس إليه (أباه وقومه) كانوا غارقين في عبادة الأصنام. فمن رأى هلاك غيره، خاف على نفسه.

* قال إبراهيم التيمي (من التابعين): "من يأمن البلاء بعد إبراهيم؟" إشارة إلى أن الخوف من الشرك لازم للمؤمن مهما علت منزلته.

وفي الحديث * "أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ":

خوف النبي صلى الله عليه وسلم من الشرك الأصغر ليس لأنه أخطر من الشرك الأكبر، بل لأن الشرك الأصغر أخفى وأكثر انتشارًا بين المسلمين. الشرك الأكبر يسهل تمييزه، أما الشرك الأصغر فقد يدخل إلى قلوب المؤمنين وهم لا يشعرون.

* "الرِّيَاءُ": هو أن يعمل الإنسان العمل الصالح ليراه الناس فيمدحونه، لا

لابتغاء وجه الله.

والرياء لا يُخرج من الملة، لكنه يُحبط العمل الذي خالطه.

* لماذا سُمّي شركًا؟ لأنه جعل لله شريكًا في النية. فالإنسان لم يخلص

نيته لله وحده، بل جعل جزءًا منها للمخلوق.

* قال ابن القيم رحمه الله: "الرياء هو الشرك في الإرادة والنية، وهو من أخطر أنواع الشرك لأنه لا ينجو منه إلا من عصمه الله".

* قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "العمل لأجل الناس شرك، وترك العمل لأجل الناس رياء".

* وقال ابن تيمية رحمه الله: "الشرك الأصغر هو ما لا يُخرج من الملة ولكنه يُنقص التوحيد، ويُحبط العمل الذي يقترن به".

وعن ابن مسعود ، أن رسول الله قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ [اللّه] " يَدا ، دَخَلَ النّارَ». رواه البخاري.

هو عبد الله بن مسعود، وهو من كبار الصحابة وفضلائهم، ومن أوائل من أسلموا. كان له منزلة خاصة عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان صاحب سرّه وسواكه ونعله. شهد غزوة بدر، وكان أحد الفقهاء البارزين في

الأمة. توفي رضي الله عنه بالمدينة المنورة في خلافة عثمان بن عفان.

«مَنْ مَاتَ»

هذا الجزء من الحديث يحدد الحالة التي ينطبق عليها الوعيد، وهي حال الوفاة. فالإنسان قد يرتكب الشرك في حياته، لكن قد يوفقه الله للتوبة قبل موته. قال تعالى: (إِنّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ) (النساء: 48). هذه الآية الكريمة تبين أن الشرك لا يغفر إلا بالتوبة. فمن تاب من الشرك قبل موته، فإن الله يغفر له، أما من مات مصرًا عليه، فإنه لا يُغفر له.

«وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللّهِ»

هذا هو جوهر الحديث. الدعاء هنا يشمل نوعين:

* دعاء العبادة: وهو أن يتوجه الإنسان إلى غير الله بالعبادات التي لا يجوز صرفها إلا له، مثل الصلاة والسجود والذبح والنذر.

* دعاء المسألة: وهو أن يطلب الإنسان من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، كأن يطلب الشفاء من مريض أو الرزق أو الولد من ولي أو صنم أو قبر.

هذا الدعاء لغير الله هو الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الملة، لأن الدعاء هو لب العبادة. قال النبي صلى الله عليه وسلم : «الدعاء هو العبادة».

«نِدًّا»

الندّ هو الشريك أو المثيل أو النظير. ومعنى "يدعو من دون الله ندًا" هو أن يتخذ الإنسان مع الله إلهًا آخر يعبده ويستعين به ويعظمه كما يعظم الله.

يقول تعالى: (فَلَا تجْعَلُوا لِلهِ أندَادًا وَأنتمْ تعْلمُونَ) (البقرة: 22).

الوعيد الوارد في الحديث

«دَخَلَ النّارَ»

هذا هو الوعيد الشديد الذي يدل على خطورة الشرك. دخول النار هنا ليس كدخول المذنبين من الموحدين، بل هو دخول خلود. فالمشرك لا يخرج من النار أبدًا.

قال تعالى: (إنّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنّةَ وَمَأْوَاهُ النّارُ ﷺ وَمَا لِلظّالِمِينَ مِنْ أنصَارٍ) (المائدة: 72).

فالشرك هو الذنب الوحيد الذي يجعل صاحبه خالدًا في النار إذا مات عليه.

والمسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النّارَ

الراوي هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد المكثرين في الرواية عنه. شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم تعريف بيعة العقبة الثانية، وغزوة أحد، وله مواقف مشهودة في الجهاد والعلم. كان من أبرز علماء الصحابة، وشهد له الأئمة

بالعلم والفقه. توفي رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة 78 هـ.

«مَنْ لَقِيَ اللهَ»

لقاء الله هنا يعني الموت على حالٍ معينة. أي أن مصير الإنسان يتحدد بناءً على ما كان عليه عند موته. فالمؤمن الصادق هو من يثبت على إيمانه حتى

آخر لحظة من حياته، والمشرك هو من يموت على شركه.

«لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»

هذا هو شرط النجاة. الشرك هو أن يجعل الإنسان مع الله شريكًا في

الألوهية أو الربوبية أو الأسماء والصفات. وكلمة "شيئًا" هنا جاءت نكرة في سياق النفي، وهذا يفيد الشمول والعموم. أي أنه لا يجوز أن يشرك بالله في أي شيء، سواء كان شركًا أكبر أو أصغر، شركًا في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات.

«دَخَلَ الْجَنَّةَ»

هذا هو وعد الله للموحدين. فمن مات وهو لا يشرك بالله شيئًا، فمصيره الجنة. وهذا يدخل فيه كل ذنب ما عدا الشرك، فالمسلم قد يدخل النار بسبب ذنوبه، لكنه في النهاية يخرج منها ويدخل الجنة. لكن الموحد الذي لم يشرك بالله شيئًا أبدًا، ولم يأتِ بذنب آخر، يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

«وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا»

هذا هو حال من لم يخلص في توحيده، واتخذ مع الله شريكًا. وهذا الشرك، كما ذكرنا، يشمل الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة، كالاستغاثة بغير الله،

والذبح والنذر للأصنام والقبور، وشرك المحبة والتعظيم لغير الله.

«دَخَلَ النَّارَ»

هذا هو مصير المشرك. ودخوله النار هنا ليس كدخول المذنبين من الموحدين، بل هو دخول خلود. فالمشرك لا يخرج من النار أبدًا.

قال تعالى: (إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ) (المائدة: 72).

فالشرك هو الذنب الوحيد الذي يجعل صاحبه خالدًا في النار إذا مات عليه.

باب :الدُعَاءُ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه

وقول اللّه تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [يوسف: ١٠٨].

الآية تأمر النبي صلى اللّه عليه وسلم، وكل من يتبعه، أن يعلنوا أن سبيلهم ومنهجهم هو الدعوة إلى اللّه وحده، وأن هذه الدعوة يجب أن تكون على أساس ثابت.

"قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي":

"هذه" إشارة إلى الطريق الواضح المستقيم الذي يسلكه النبي صلى اللّه عليه وسلم. وهو طريق التوحيد والإخلاص لله.

"أَدْعُو إِلَى اللهِ":

الدعوة ليست إلى شخص أو حزب أو فكرة، بل هي خالصة لله وحده.

فالهدف من الدعوة هو تعريف الناس بربهم وإخراجهم من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق.

"عَلَى بَصِيرَةٍ":

هذا هو الشرط الأهم للدعوة. البصيرة هي العلم والمعرفة والحجة واليقين. الداعية لا يدعو بجهل أو عاطفة، بل بعلم مستمد من كتاب اللّه وسنة رسوله.

البصيرة هي النور الذي يرى به الداعية الحق والباطل، والهدى والضلال.

"أَنَا وَمَنِ اتبَعَنِي":

هذا إثبات أن هذا المنهج ليس خاصًا بالنبي صلى اللّه عليه وسلم، بل هو منهج كل من آمن به واتبعه من بعده إلى يوم القيامة. فكل من يدعو إلى اللّه بحق يجب أن يكون على هذا المنهج.

"وَسُبْحَانَ اللهِ":

هذا هو التنزيه. فبعد بيان منهج الدعوة، يأتي تنزيه الله عن كل ما لا يليق به، وعن الشركاء والأنداد.

"وَمَا أنا مِنَ المُشْرِكِينَ":

هذا هو الإعلان الصريح بالبراءة من الشرك والمشركين، وهو ركن أساسي من أركان التوحيد.

قال ابن القيم رحمه الله: في شرح الآية: "الدعوة إلى الله على بصيرة: أن تكون على علم من المدعو، وعلم بما يدعى إليه، وعلم بكيفية الدعوة". وأوضح أن البصيرة تشمل علمًا بحال المدعو، وعلمًا بالشرع، وعلمًا بأفضل الطرق المناسبة.

قال ابن تيمية رحمه الله: "الدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء، وسبيلي وسبيلي من اتبعني. والدعوة تكون بالعلم، على بصيرة".

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسيره للآية: "البصيرة هي العلم واليقين. فكل من دعا إلى الله، يجب أن يكون عالماً بما يدعو إليه، وبحال من يدعوه، وأن يكون على يقين تام بصدق ما يدعو إليه".

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن، قال له:إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَإِلا اللَّه - وفي رواية : إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّه - فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُم أَنّ اللّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنّ اللّه ُ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَاهِمْ، وَاتّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ [فَإِنّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللّه ُ حِجَابٌ». أخر جاء .

هو عبد الله بن عباس، حبر الأمة، وترجمان القرآن، وأحد فقهاء الصحابة. وُلد قبل الهجرة بثلاث سنوات، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم، فكان من أوعية العلم. اشتهر بغزارة علمه وفهمه العميق للقرآن والسنة، وتوفي بـ الطائف سنة 68 هجرية.

"إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ"

هذا اللفظ يمثل بداية التوجيه النبوي، وفيه توضيح لطبيعة المدعوّين، وهم أهل الكتاب (اليهود والنصارى). معرفة حال المدعوين مهمة للدّاعية؛ لأنها تساعده على اختيار المنهج الأمثل في الخطاب.

قال الإمام ابن تيمية: "العلم بأحوال المخاطبين من أهم الأمور في الدعوة".

"فَلْيَكُنْ أَوّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَإِلا اللّه"

هذا هو اللفظ الأكثر أهمية، وفيه بيان لأول ما يجب أن يُدعى إليه الناس: التوحيد. التوحيد هو أساس الدين كله، ومن دونه لا تُقبل أي عبادة.

"فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُم أَنّ اللّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ"

هذا اللفظ يؤكد على التدرج في الدعوة. بعد قبول التوحيد، يُنتقل إلى الركن الثاني من أركان الإسلام وهو الصلاة، لأنها عماد الدين، وأهم العبادات بعد التوحيد.

"فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنّ اللّه َ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً"

بعد الصلاة، يأتي دور الزكاة، وهي الركن الثالث. الزكاة تربط العبادة المالية

بالروحية، وتطهر النفوس من الشح والبخل، وتُحقق التكافل الاجتماعي.

"فَتُرَدّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ"

هذا اللفظ يوضح مصارف الزكاة الأساسية، وهي الفقراء. الزكاة ليست ضريبة عشوائية، بل هي حق معلوم للفقير، وهو ما يُعزز من عدالة الإسلام.

"فَإِيّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَاهِمْ"

هذه وصية نبوية في غاية الأهمية لجامع الزكاة. "كرائم الأموال" هي أجودها وأحسنها. نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أخذها جبرًا، وذلك تحقيقًا للعدل والرحمة، وعدم الإثقال على الناس.

"وَاتّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ"

هذه وصية جامعة للتحذير من الظلم، فهي خاتمة الحديث. إن الدعوة إلى التوحيد والصلاة والزكاة لا تستقيم مع الظلم.

"فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ ۚ حِجَابٌ"

هذا اللفظ هو تعليل للتحذير من دعوة المظلوم. الدعاء هنا ليس مجرد دعاء، بل هو استغاثة إلى الله، والله يستجيب للمظلوم ولو كان كافرًا، لأنه أزال كل الحواجز بينه وبين الله تعالى بالظلم الذي وقع عليه.

ولهما عن سهل بن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومَ خَيْبَرَ : لأُعْطِيَنّ

الرّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ ۚ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ ۚ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فَبَاتَ الناس يدوكون ليلتهم : أيهم يُعطاها؟ فلما أصبحوا غَدَوْا [على] رسول الله، كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالب ؟ فقيل : هو يشتكي عينيه: فأرسلوا إليه، فأوتي به، فبصق في عينيه؛ ودَعَا لَهُ فَبَرَأَ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثمّ ادعهم إلى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقّ اللهِ تعَالَى فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النّعَمِ . " (يدوكون)، أي: يخوضون

الراوي هو سهل بن سعد الساعدي، من صغار الصحابة الذين شاهدوا غزوة خيبر. يُعرف بصدقه وحفظه للحديث. توفي في المدينة المنورة سنة 88 هجرية، وكان آخر من بقي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة.

"لَأُعْطِيَنّ الرّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ ۚ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ ۚ وَرَسُولُهُ"

هذا اللفظ يمثل تمهيدًا وتصريحًا نبويًا عظيمًا لفضل القائد القادم. لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم اسمه مباشرة، بل وصفه بأكمل الأوصاف؛ وهي المحبة المتبادلة بينه وبين الله ورسوله، وهذا هو أساس الولاية الحقيقية.

"يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ"

هذا إخبار غيبي من النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من دلائل نبوته. فقد أكد أن الفتح سيكون على يد هذا القائد الموصوف.

"فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ"

"يدوكون" تعني يخوضون في الحديث ويخمنون. هذا اللفظ يصف حالة الصحابة ليلة خيبر، فقد كانوا يتنافسون على هذا الفضل العظيم والشرف

الرفيع الذي وعد به النبي صلى الله عليه وسلم.

"فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالب؟"

هذا تحديد صريح لمن هو الرجل الموعود بالفتح، وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مما يدل على فضله ومنزلته عند الله ورسوله.

"فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ"

هذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، فببركة ريقه الشريف ودعائه، شُفي علي رضي الله عنه من الرمد، وهذا الشفاء الفوري دليل على صدق نبوته.

"انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ"

هذه وصية نبوية للقائد، تأمره بالتأني وعدم التسرع في الهجوم. فالمهم هو الوصول إلى الهدف المحدد وهو "ساحة القوم" (موقعهم)، وليس التسرع في القتال.

"ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ"

هذا اللفظ يمثل المنهج النبوي في الدعوة والجهاد. فالدعوة إلى الإسلام مقدمة على القتال. يجب على القائد أن يدعو الخصوم أولًا، ويوضح لهم واجباتهم تجاه الله، قبل أن يرفع السيف في وجههم.

"فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ"

هذه هي خاتمة الحديث وأعظم وصاياه. "حُمْرِ النَّعَمِ" تعني الإبل الحمر، وهي من أغلى الأموال عند العرب. فبها يفاخرون، ويتباهون. والمقارنة هنا بين قيمة هداية إنسان وقيمة أغلى ما يملكه العرب. وهذا يدل على أن هداية القلوب خير من كنوز الدنيا كلها.

باب :تفسير التّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللّه

وقول اللّه تعالى : (أُولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنّ عَذَابَ رَبّكَ كَانَ مَحْذُورًا [الإسراء: ٥٧].

هذه الآية الكريمة تصف حال قوم من الجن والملائكة والصالحين كانوا يُعبدون من دون اللّه، فبين اللّه أنهم ليسوا آلهة، بل هم عباد لله مثلنا، بل إنهم أكثر منا طاعة وتقربًا.

(أُولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ)

أولئك" تشير إلى من يعبدهم المشركون من دون اللّه.

(يَبْتَغُونَ إِلَى رَبّهِمُ الْوَسِيلَةَ)

"يبتغون" أي يطلبون ويتنافسون في طلب القرب من اللّه. والوسيلة هي ما يتقرب به العبد إلى اللّه من الأعمال الصالحة. هذا الجزء من الآية يوضح أن هؤلاء المعبودين من دون اللّه يسعون جاهدين للقرب من اللّه، وهذا ينسف فكرة أنهم آلهة يُعبدون، بل هم أنفسهم يطلبون القرب من الإله الحق.

(أَيّهُمْ أَقْرَبُ)

هذا الجزء فيه بيان لحالهم في التنافس على الطاعة والقرب من اللّه. هم يتسابقون في الطاعة، فكل واحد منهم يريد أن يكون هو الأقرب إلى اللّه. وهذا يدل على شدة عبوديتهم لله وخضوعهم له.

(وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)

هذا هو لب العبودية، فالمؤمن الحقيقي يجمع في عبادته بين الخوف و الرجاء. فهم يرجون رحمة اللّه الواسعة ويخافون من عذابه الأليم، وهذا ما يدفعهم للطاعة والتقرب.

* قال ابن مسعود رضي اللّه عنه في تفسير هذه الآية: "كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن ولم يعلم الإنس، فأنزل اللّه هذه الآية". وهذا يبين أن الآية جاءت لتصحيح هذا الخطأ الفادح.

* وقال ابن تيمية رحمه الله: "هؤلاء الذين يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب هم الأنبياء والصالحون والملائكة، فبين الله أنهم عبيد يتقربون إليه، فكيف تعبدونهم من دونه؟"

* وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "هذه الآية الكريمة نزلت في أقوام من العرب كانوا يعبدون طائفة من الجن أو الملائكة، فأسلم أولئك المعبودون، فأمر الله المؤمنين أن يتخذوا هؤلاء أسوة، ولا يتقربوا إليهم، بل يتوجهوا إلى الله وحده."

وقوله تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ

هذه الآيات تحكي قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، وكيف أعلن براءته الكاملة من كل ما يعبدون من دون الله، ثم استثنى الله وحده، مؤكداً على أنه وحده المستحق للعبادة والهداية.

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ)

تذكير بموقف إبراهيم عليه السلام الشجاع، حيث واجه أقرب الناس إليه وهم أبوه وقومه، داعياً إياهم إلى التوحيد ونبذ الأصنام التي كانوا يعبدونها. وهذا يوضح أن الدعوة إلى التوحيد تبدأ بالأقربين.

(إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ):

هذا هو جوهر التوحيد، وهو ما يُعرف بـ"البراءة" من الشرك وأهله.

فالبراءة هنا ليست مجرد قول، بل هي اعتقاد وعمل. ويعني أنه يتبرأ من كل ما يعبدونه من أوثان، ويُنكرها تماماً.

(إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ):

هذا هو الشق الثاني من كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، فبعد نفي العبادة عن كل ما سوى الله، يأتي إثباتها له وحده. وكلمة "فطرني" (خلقني) تدل على أن الخالق هو وحده المستحق للعبادة، وأن إبراهيم عليه السلام لجأ إلى ربه ليثبّته على الهدى.

* قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية: "أي: وإذ قال الخليل إبراهيم

عليه السلام لأبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام من دون الله: (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ)، أي: إنني بريء منها ومن عبادتها".

* وقال ابن تيمية رحمه الله: "هذه الكلمة التي جعلها إبراهيم باقية في عقبه هي شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هذه الكلمة هي كلمة التقوى، وهي أفضل ما قاله الأنبياء والصالحون".

(وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ):

أي أن الله سبحانه جعل هذه الكلمة العظيمة، وهي "لا إله إلا الله"، باقية في ذرية إبراهيم عليه السلام، أي في الأنبياء الذين جاؤوا من بعده، مثل إسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وكلهم كانوا يدعون إلى التوحيد.

(لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ):

أي لعل قريشاً، الذين كانوا من ذرية إسماعيل بن إبراهيم، يرجعون إلى التوحيد الذي كان عليه جدهم إبراهيم، ويتركون الشرك الذي وقعوا فيه.

وقوله تعالى] : اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [التوبة: ٣١].

هذه الآية الكريمة تكشف حقيقة الانحراف العقدي لدى أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وتبيّن أن شركهم لم يقتصر على عبادة المسيح عليه السلام، بل امتد ليشمل طاعتهم العمياء لأحبارهم ورهبانهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، وهو ما عده الله شركًا به.

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ):

الأحبار هم علماء اليهود، والرهبان هم عُبّاد النصارى. الآية لا تعني أنهم كانوا يسجدون لهم أو يركعون، بل إنهم كانوا يطيعونهم في تشريعاتهم التي

خالفت أمر الله، كتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحلّ. هذه الطاعة المطلقة في التشريع هي بمثابة "اتخاذهم أربابًا".

(وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ):

وهذا شق آخر من شركهم، حيث أله النصارى المسيح وعبدوه من دون الله، بينما هو نبي الله ورسوله.

(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا):

تأكيد على أن الغاية من إرسال جميع الرسل والأنبياء، بمن فيهم المسيح عليه السلام، هي الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة والتشريع.

(لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ):

هذه هي كلمة التوحيد التي هي أصل الدين كله، والتي تقتضي أن العبادة كلها، بما فيها الطاعة المطلقة في التشريع، لا تكون إلا لله وحده.

(سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ):

تنزيه لله عن كل أنواع الشرك التي ينسبها إليه المشركون، سواء كانت شركًا في العبادة أو شركًا في التشريع

* قال ابن كثير رحمه الله: في تفسيره للآية، ذكر أن "اتخاذهم أربابًا" ليس

بالصلاة لهم والسجود، بل هو طاعتهم فيما يخالف دين الله.

وقوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ [الآية) [البقرة: ١٦٥].

الآية تصف حال فئتين من الناس في قضية الحب والولاء: المشركون

والمؤمنون.

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا):

"أندادًا" جمع "نِدّ" وهو المثيل أو النظير. والمقصود هنا كل ما يُعبد أو يُعظم من دون الله، سواء كان صنمًا، أو نبيًا، أو وليًا، أو شيطانًا، أو مالًا، أو منصبًا. فالمشرك يجعل لهؤلاء الأنداد نصيبًا من العبادة والتعظيم الذي هو حق

خالص لله.

(يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ):

هذا هو جوهر الشرك في المحبة. فالمشركون يساوون بين حبهم لله وحبهم

لآلهتهم أو أندادهم. وهذا الحب لا يعني مجرد الميل القلبي، بل هو حب مصحوب بالتعظيم والخضوع والرجاء والخوف، وهو ما يقتضي العبادة.

(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ):

هذا هو حال المؤمنين. فحبهم لله لا يساويه أي حب آخر، بل هو يفوق كل حب، لأن حبهم لله هو حبٌ خالصٌ، ليس فيه شرك ولا نظير. ومحبتهم لله هي التي تدفعهم لإيثار ما يُحب على ما تُحبه نفوسهم، وتقديم طاعته على كل طاعة.

* قال الطبري رحمه الله في تفسيره: "أي يحبون آلهتهم التي عبدوها من دونه، ويثنون عليها ويطيعونها، ويخافون منها، كما يفعلون ذلك من الله".

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ"

الراوي هو أبو مالك الأشجعي سعد بن طارق بن أشيم، وهو تابعي ثقة، سمع الحديث من أبيه طارق بن أشيم الأشجعي، وهو صحابي. ويُعد هذا الحديث من الأحاديث المهمة في باب التوحيد.

"مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"

هذا هو الركن الأول من أركان التوحيد، وهو الإقرار بلسان القلب واللسان. لكن هذا الإقرار ليس مجرد كلمة تقال، بل هي كلمة لها شروطها، وهي العلم بمعناها، والعمل بمقتضاها، واليقين بها، والإخلاص فيها. فمجرد النطق بـ الشهادة دون عمل أو اعتقاد لا يكفي لتحقيق التوحيد.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي: "لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد، وأصل الدين ، وبها قام سوق الجنة والنار".

"وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ "

هذا هو الركن الثاني من أركان التوحيد، وهو النفي. فالتوحيد يتكون من ركنين: الإثبات (إثبات العبادة لله وحده)، والنفي (الكفر بكل ما يُعبد من دونه). فمن قال "لا إله إلا الله" بلسانه لكنه لم يكفر بالشرك وأهله، فإنه لم يحقق التوحيد المطلوب.

"حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ"

هذا اللفظ يؤكد على أن التوحيد هو سبب الحماية في الدنيا. فمن نطق بالشهادة وكفر بما يُعبد من دون اللّٰه، أصبح دمه وماله معصومين، ولا يجوز قتله أو أخذ ماله. وهذا هو ما يُعبر عنه بـ "إسلام الظاهر".

قال الإمام النووي رحمه اللّٰه : "هذا الحديث من الأصول العظيمة في أن حكم المسلم في الظاهر هو عصمة دمه وماله".

"وَحِسَابُهُ عَلَى اللّٰه ِ"

هذا اللفظ يوضح أن اللّٰه وحده هو الذي يتولى السرائر. فإذا أظهر الإنسان التوحيد والإسلام، فإننا نحكم عليه بالإسلام في الظاهر، أما ما في قلبه من إيمان أو كفر أو نفاق، فاللّٰه وحده هو الذي يعلمه ويُحاسبه عليه يوم القيامة.

قال الإمام القرطبي: "هذا الحديث أصل في الحكم بالظواهر، وأن السرائر موكولة إلى علام الغيوب".

باب مِنَ الشّرْك لبس الحلقة وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ البَلاءِ أَوْ دَفْعِهِ

وقول الله تعالى: (قُلْ أَفَرَيْتُم مَا تدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍ هَلْ هُنّ كشِفَاتُ ضُرّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنّ مُمْسِكتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكلُ المُتَوَكِلُونَ [الزمر: ٣٨].

هذه الآية تُعدّ حجة قاطعة على بطلان عبادة غير الله.

{إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنّ كَاشِفَاتُ ضُرّهِ}:

أي، لو قدّر الله عليّ ضررًا أو بلاءً، هل تستطيع هذه الآلهة والأصنام التي تعبدونها أن ترفعه عني؟ الجواب البديهي هو "لا". لا يمكن لأي مخلوق أن يرفع ما قدّره الله.

{أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ}:

أو لو أراد الله أن يمنحني خيرًا أو رحمةً، هل تستطيع هذه الآلهة أن تمنع هذه الرحمة عني؟ الجواب أيضًا "لا".

المعنى الكلي للجملتين هو أن هذه الآلهة التي تُعبد من دون الله لا تملك أي قدرة على النفع أو الضر. هي مجرد جمادات أو مخلوقات لا تملك لنفسها شيئًا، فكيف تملكه لغيرها؟

التوكل على الله

{قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكلُ المُتَوَكِلُونَ}

بعد أن أقام الحجة على المشركين ببيان عجز آلهتهم، يأتي الجواب الشافي والفاصل من النبي صلى الله عليه وسلم، الذي يُمثل منهج المؤمنين الصادقين:

* {حَسْبِيَ اللهُ}: أي، الله وحده يكفيني، وهو كافٍ لي في جميع أموري. هذا إعلان صريح عن كمال التوحيد والاستغناء عن جميع المخلوقات.

* {عَلَيْهِ يَتَوَكلُ المُتَوَكِلُونَ}: هذه الجملة تؤكد أن التوكل الحقيقي، الذي هو الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار، لا يكون إلا عليه وحده.

فالمؤمنون لا يلتفتون إلى غيره، ولا يعتمدون إلا عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "التوكل نصف الدين، والنصف الآخر الإنابة".

وقال ابن القيم رحمه الله: "التوكل من أقوى الأسباب التي يُدفع بها العبد ما لا يطيق من الأذى من الخلق وغيرهم".

و عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنّ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلَقَةٌ مِنْ صُفْرٍ ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ : مِنَ الوَاهِنَةِ، فَقَالَ: انْزِعْهَا، فَإِنّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَا وَهْنًا، فَإِنّكَ لَوْ مِتّ وَهِيَ عَلَيْكَ، مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا». رواه أحمد بسند لا بأس به.

الراوي هو الصحابي الجليل عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نجيد، أسلم عام خيبر وله صحبة جليلة. كان من فقهاء الصحابة وعلمائهم، وقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المقربين، اشتهر بفضله وعلمه وعبادته، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة. توفي رضي الله عنه بالبصرة سنة اثنتين وخمسين للهجرة.

وَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنّ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم

هذا هو إسناد الحديث، وهو طريقة ذكر الرواة الذين نقلوا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى يصل إلينا. وجود هذا الإسناد هو ما يميز الأمة الإسلامية، حيث حفظ الله به السنة النبوية من التحريف. قال عبد الله بن المبارك: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء".

رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلَقَةٌ مِنْ صُفْرٍ

رَأَى رَجُلًا: أي شاهد النبي صلى الله عليه وسلم رجلا ً يلبس شيئًا مخالفًا للسنة.

حَلَقَةٌ: هي قطعة دائرية كالسوار أو الخاتم، وتكون غالبًا من معدن.

صُفْرٍ: هو النحاس الأصفر، وهو نوع من المعادن.

فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟

هذا سؤال استنكاري من النبي صلى الله عليه وسلم، يدل على إنكاره لما رآه. وقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم في الإنكار أن يستفسر أولًا ليتأكد من سبب الفعل، ثم ينكر بعد ذلك. وهذا من كمال أدبه في التعليم

والنصح.

قَالَ : مِنَ الوَاهِنَةِ

الوَاهِنَةِ: اسم لمرض كان شائعًا عند العرب، يسمى "العرق" أو "الروماتيزم"، يصيب الذراع أو الكتف، فيجعله ضعيفًا. وقد ظن هذا الرجل أن لبس هذه الحلقة من النحاس سيعالجه من هذا المرض أو يمنع عنه ألمه.

فَقَالَ: انْزِعْهَا

انْزِعْهَا: أي أزلها وأخلعها من يدك. هذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم، والأمر يقتضي الوجوب. وهذا يدل على أن لبسها على هذه النية محرم.

فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا

لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا: الوهن هو الضعف. أي أن هذه الحلقة لا تجلب لك القوة

والشفاء، بل على العكس، تزيدك ضعفًا ومرضًا. وهذا الوهن قد يكون حسيًا (بسبب عدم نفعها) أو معنويًا (بسبب تعلق قلبك بغير الله، مما يجعلك أضعف إيمانًا ويقينًا).

فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ، مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»

لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ: أي لو جاءك الموت وأنت متلبس بهذا الفعل الشركي.

مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا: الفلاح هو الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة. ومعنى هذه الجملة أن من مات وهو يعتقد أن شيئًا من هذه الحلق أو التمائم ينفع أو يضر من دون إذن الله، فإن هذا من الشرك الذي يمنع صاحبه من دخول الجنة والفوز بنعيمها.

وله عن عقبة بن عامر مرفوعا ": مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً ، فَلَا

أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً ، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ .

وفي رواية: «مَنْ تعَلّقَ تمِيمَةً، فَقَدْ أشْرَكَ .

الراوي هو الصحابي الجليل عقبة بن عامر بن عبس الجهني، أبو حماد، ويُقال أبو عبس، ويُقال أبو عمرو. أسلم قديماً، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المقرّبين. كان قارئًا للقرآن وعالمًا بالفرائض (علم المواريث)، وله فضل عظيم في رواية الحديث ونشر العلم. شهد فتح مصر واستقر بها، وتوفي رضي الله عنه سنة 58 هجرية في مصر، ودُفن بالقرافة.

وله عن عقبة بن عامر مرفوعا

وله عن عقبة بن عامر: أي أن الحديث مروي عن عقبة بن عامر، وهذا يشير إلى سلسلة الإسناد التي توصل الحديث إلينا.

مرفوعا: هذا المصطلح في علم الحديث يعني أن الحديث منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولًا أو فعلًا أو تقريرًا.

مَنْ تعَلّقَ تمِيمَةً

مَنْ تعَلّقَ: أي من علّق على نفسه أو غيره، أو لبس، أو اتخذ شيئًا ما. هذا الفعل يدل على التعلق القلبي والاعتماد على هذا الشيء.

تمِيمَةً: هي شيء يُعلّق على الإنسان، غالبًا الأطفال، لدفع العين أو السحر أو الأمراض. قد تكون خرزة أو عظمًا أو خيطًا أو حتى كتابات من القرآن أو غيره، اعتقادًا أنها تجلب النفع أو تدفع الضر.

فَلَا أتمّ اللهُ لهُ

فَلَا أتمّ اللهُ لهُ: هذا دعاء على من فعل ذلك. معناه: لا أكمل الله له مراده،

ولا حقق له غايته. هذا الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم يُشير إلى أن من اعتمد على التمائم، فإن الله يتركه لنفسه ولما تعلّق به، فلا يتم له الشفاء ولا السلامة، بل قد يزيده ذلك مرضًا ووهنًا، كما جاء في حديث عمران بن حصين السابق.

وَمَنْ تعَلّقَ وَدَعَةً

وَدَعَةً: هي صدفة بحرية بيضاء، تشبه القوقعة، كانت العرب قديمًا تعلقها على رقابهم، اعتقادًا أنها تدفع عنهم الحسد والعين والشرور.

فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ

فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ: هذا دعاء آخر عليه. "ودَعَ" تعني ترك. والمعنى: لا ترك الله له الأمان والراحة والطمأنينة. فمن اعتمد على هذه الأشياء، فإن الله لا يتركه في حال آمنة وادعة، بل يُسلِمه إلى ما تعلق به، فلا يحصل له إلا الخوف والقلق وعدم الأمان.

وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَقَدْ أَشْرَكَ»

فَقَدْ أَشْرَكَ: هذه الجملة هي مربط الفرس في الحديث، وهي توضّح أن فعل التعلق بالتمائم هو نوع من أنواع الشرك. هذا الشرك هو الشرك الأصغر، لأنه ليس كشرك عبادة الأوثان، ولكنه يُفضي إليها وينافي كمال التوحيد. سبب كونه شركًا أن فيه اعتمادًا على غير الله في جلب النفع ودفع الضر، وهذا حق خالص لله وحده.

ولا بن أبي حاتم عن حذيفة : أنه رأى رجلا في يده خيط من

الحمى، فقطعه، وتلا قوله تعالى : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُم

مُشْرِكُونَ [يوسف: ١٠٦].

الراوي هو الصحابي الجليل حذيفة بن حسيل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، المعروف بـ "حذيفة بن اليمان"، و"اليمان" هو لقب أبيه. كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المقربين، وأحد سادات الصحابة. اشتهر بأنه "صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم" في المنافقين، فقد أسرّ إليه النبي صلى الله عليه وسلم بأسماء المنافقين. كان فقيهًا وعالمًا، شهد غزوة أحد وما بعدها. توفي رضي الله عنه بالمدائن سنة 36 هجرية بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه بأربعين ليلة.

أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى

رأى رجلا: أي شاهد حذيفة رضي الله عنه رجلا ً.

في يده خيط: أي أن الرجل كان يلبس خيطًا ملفوفًا على يده.

من الحمى: أي أنه يلبس هذا الخيط اعتقادًا أنه يشفيه من مرض "الحمى" أو يمنعها عنه. هذا الفعل كان منتشرًا في الجاهلية، وهو من عادات العرب

التي نهى عنها الإسلام.

فقطعه

فقطعه: هذا الفعل من حذيفة رضي الله عنه يدل على الإنكار العملي للمنكر، وهو أقوى أنواع الإنكار. فقد قام بقطع الخيط بيده دون تردد، وهذا يدل على أن هذا الفعل محرم ومنكر يجب إزالته.

وتلا قوله تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ} [يوسف: 106]

تلا قوله تعالى: أي قرأ هذه الآية الكريمة، وهو دليل على أن فعله لم يكن مجرد اجتهاد شخصي، بل كان مبنيًا على فهمه للقرآن.

{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ}: هذه الآية الكريمة تُبيّن حالة من يقع في الشرك مع إيمانه بالله. إنهم يقرّون بوجود الله وربوبيته، لكنهم يُشركون معه في الألوهية (العبادة) أو في الأسباب. فهذا الرجل الذي لبس الخيط يؤمن بالله، لكنه جعل لهذا الخيط سببًا في الشفاء لم يأذن به الله، وهذا يُعد نوعًا من الشرك الأصغر، لأنه اعتقاد في غير الله بما هو من اختصاصه.

باب مَا جَاءَ فِي الرّقى وَالتّمَائِمِ

في الصحيح عن أبي بَشِيرٍ الأَنْصَارِي ، أَنّهُ كانَ مَعَ رَسُولِ اللّه ِ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا: أَنْ لَا يَبْقَيَنّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أوقلادَةٌ إلّا قُطِعَتْ .

الراوي هو الصحابي الجليل أبو بشير الأنصاري، واسمه قيس بن عبيد، ويقال: قيس بن سعد بن قيس بن عبادة. كان من كبار الصحابة من الأنصار، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم غزواته، وكان له شرف الصحبة والجهاد في سبيل الله. وهو من الرواة القلائل الذين رووا هذا الحديث، مما يدل على اهتمامه بنشر سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

أَنّهُ كانَ مَعَ رَسُولِ اللّه ِ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ

فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ: هذا يوضح سياق الواقعة، فقد حدثت أثناء سفر من أسفار النبي صلى الله عليه وسلم، مما يدل على حرصه على تعليم أصحابه وتصحيح مفاهيمهم حتى في أوقات السفر.

فَأَرْسَلَ رَسُولًا

أَرْسَلَ رَسُولًا: أي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر رجلا ً من أصحابه أن يبلغ الناس هذا الأمر. وهذا يدل على أهمية الأمر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يصل إلى جميع المسافرين معه.

أَنْ لَا يَبْقَيَنّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ

لَا يَبْقَيَنّ: هذا نهي مؤكد، يدل على وجوب إزالة هذا الفعل.

فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ: هذا يدل على أن النهي يشمل الدواب والحيوانات.

قِلَادَةٌ: هي كل ما يُعلق على الرقبة. وقد كانت العرب في الجاهلية تُعلق على دوابها القلائد اعتقادًا أنها تدفع عنها العين أو الحسد.

مِنْ وَتَرٍ: "الوتر" هو خيط القوس. كانت العرب تُعلق أوتار القوس على

الإبل والخيل لدفع العين عنها، لأنهم كانوا يعتقدون أن العين تضرها.

أوْ قِلَادَةٌ إلَّا قُطِعَتْ: هذا يدل على أن الأمر عام، لا يقتصر على أوتار القوس ، بل يشمل كل قلادة تُعلق على الحيوان على سبيل دفع العين أو جلب النفع، ويجب قطعها جميعًا.

وعن ابن مسعود ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه صلى اللّه عليه وسلم يَقُولُ: إنّ الرُّقَى" والتمائم وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رواه أحمد وأبو داود.

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن. كان من السابقين إلى الإسلام، ومن المهاجرين الأوائل. كان من أقرب الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، اشتهر بكونه صاحب نعليه وسواكه، وكان يحمل متاع النبي صلى الله عليه وسلم، مما أكسبه فقهًا عميقًا وعلمًا غزيرًا. كان من أفقه الصحابة وأعلمهم بالقرآن والسنة، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة 32 هجرية.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه ِ صلى اللّه عليه وسلم يَقُولُ

سَمِعْتُ: هذه اللفظة تُعتبر من أعلى درجات التحديث، فهي تؤكد أن ابن مسعود رضي الله عنه سمع الحديث مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم، مما يُعطي الحديث قوة وثباتًا.

إنّ الرُّقَى

الرُّقَى: جمع "رُقية". وهي قراءة يُراد بها الشفاء من مرض أو دفع بلاء.

الرقى الشرعية: هي التي تكون بآيات من القرآن الكريم أو بأسماء الله وصفاته، وبالدعوات الشرعية المأثورة. وهذه الرقى جائزة بل ومستحبة.

الرقى الشركية: هي التي تكون بغير ذلك، كأن تكون بكلمات مجهولة، أو أسماء شياطين، أو طلاسم، أو كلمات من الكفر، أو طلبًا من الجن. وهذا النوع من الرقى هو الذي يندرج تحت حكم "الشرك" في هذا الحديث.

وَالتّمَائِمَ

التمائم: جمع "تميمة". وهي كل ما يُعلق على الإنسان، غالبًا الأطفال، لدفع العين أو السحر أو الأمراض. قد تكون خرزة أو عظمًا أو خيطًا أو حتى كتابات من القرآن أو غيره، اعتقادًا أنها تجلب النفع أو تدفع الضر.

التمائم الشركية: هي ما كان من غير القرآن، كعظام الموتى، أو الخرز، أو عُقد، أو أي شيء يُعتقد أنه يدفع البلاء.

التمائم من القرآن: اختلف العلماء فيها، فبعضهم أجازها وبعضهم منعها سدًا للذريعة. والصحيح هو المنع مطلقًا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفرّق بين أنواع التمائم، ولأن تعليقها قد يؤدي إلى امتهان القرآن، ولأنه قد يؤدي إلى فتح باب التمائم الشركية.

وَالتِّوَلَة

التولة: هي نوع من السحر يُصنع، يزعمون أنه يجعل المرأة تُحبب إلى زوجها أو العكس، يُسمى "عطفًا". وقد كانت النساء تستعمله في الجاهلية.

شِرْكٌ

شِرْكٌ: هذه هي الكلمة المفتاحية في الحديث. "الشرك" هو جعل شريك مع الله في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته. والشرك في هذا الحديث هو الشرك الأصغر، لأنه لا يخرج صاحبه من الملة، ولكنه يُنافي كمال التوحيد. وسبب كونه شركًا أن فيه اعتمادًا على غير الله في جلب النفع ودفع الضر، وهذا حق خالص لله وحده.

(التمائم) شيء يُعلق على الأولاد من العين"، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود

التمائم هي كل ما يُعلّق على الإنسان، خاصة الأطفال، لدفع العين أو السحر أو الأمراض. وقد كانت العرب في الجاهلية تفعل ذلك اعتقادًا أنها تجلب النفع أو تدفع الضر.

حكم التمائم من غير القرآن؟

هذا النوع من التمائم محرم بالإجماع، وهو من الشرك الأصغر، لأنه تعلّق بغير الله في جلب النفع ودفع الضر.

الدليل على ذلك حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: "مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ".

حكم التمائم من القرآن؟

هذه المسألة فيها خلاف بين السلف.

الفريق الأول (المانعون): وهو مذهب عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وإبراهيم النخعي، وهو الرأي الراجح. حجتهم أن النهي عن التمائم جاء عامًا، ولم يفرق بين ما هو من القرآن أو غيره، وسدًا للذريعة التي قد تؤدي إلى الشرك الأكبر، ولأن تعليق القرآن قد يؤدي إلى امتهانه.

الفريق الثاني (المجيزون): وهم بعض السلف، قالوا بجوازها لأنها من

كلام الله، وفيها بركة. ولكن القول بالمنع أرجح

و (الرقى): هي التي تسمى العزائم، وخَصّ منها الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة

الرقى هي التي تسمى "العزائم". وهي قراءة أو دعاء يُراد به الشفاء من مرض أو دفع بلاء.

الرقى الشرعية (المباحة):

هي ما كان من القرآن الكريم أو بأسماء الله وصفاته، أو بالأدعية الشرعية المأثورة التي ليس فيها شرك.

الدليل على جوازها هو حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرقي أصحابه، وأن جبريل رقاه.

يشترط في الرقية ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته، وأن تكون باللغة العربية أو ما يُفهم معناها، وأن لا يُعتقد أن الرقية تؤثر بذاتها، بل بإذن الله.

الرقى الشركية (المحرمة):

هي ما كان بكلمات مجهولة المعنى، أو بأسماء شياطين، أو بطلاسم، أو

بالاستعانة بغير الله. هذا النوع من الرقى محرم وهو شرك.

هذا هو المقصود بالحديث عندما قال: "إن الرقى... شرك".

و (التولة): هو شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته

التولة هو نوع من السحر، يصنعه بعض الناس، ويزعمون أنه يسبب المحبة بين الرجل وامرأته، ويُسمى بـ"العطف".

حكم التولة:

هذا الفعل محرم وهو من الشرك الأصغر، بل قد يصل إلى الشرك الأكبر إذا كان فيه استعانة بالشياطين.

الدليل على تحريمها هو حديث ابن مسعود الذي يصفها بـ"الشرك".

التولة تُعتبر من السحر، والسحر محرم في الإسلام، لقوله تعالى: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} [البقرة: 102].

وعن عبد الله بن حكيم مرفوعاً : مَنْ تعَلّقَ شَيْئًا وَكِلَ إِلَيْهِ رواه أحمد و الترمذي."

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الله بن حكيم بن حزام الأسدي، أبو يحيى. أسلم يوم فتح مكة، وكان له شرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم. توفي في عهد معاوية. هذا الحديث من روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم، وله فضل رواية هذا الحديث الذي يُعدّ من الأحاديث العظيمة في باب التوحيد والتوكل.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَكِيمٍ مَرْفُوعًا

مَرْفُوعًا: هذا المصطلح في علم الحديث يدل على أن الحديث منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولًا أو فعلًا أو تقريرًا.

مَنْ تعَلّقَ شَيْئًا

مَنْ تعَلّقَ: أي من اعتمد بقلبه على شيء غير الله، أو اتخذ شيئًا من

الأسباب التي لم يأذن بها الشرع، بغرض جلب منفعة أو دفع مضرة.

شَيْئًا: هذه كلمة عامة وشاملة، تشمل كل شيء من الأسباب المادية أو المعنوية التي يُعتقد أنها تفعل شيئًا بذاتها، مثل التمائم، الرقى الشركية، أو

حتى الاعتماد على الأشخاص أو الأسباب المادية مع نسيان قدرة الله.

وُكِلَ إِلَيْهِ

وُكِلَ إِلَيْهِ: هذه هي الكلمة المفتاحية في الحديث. "وُكِلَ" تعني أن الله يتركه إلى ما تعلق به. فمن اعتمد على التمائم، تركه الله إلى هذه التمائم التي لا تملك لنفسها ضرًا ولا نفعًا. ومن اعتمد على الأسباب المادية وحدها مع نسيان الله، فإنه يُسلَم إلى ضعف هذه الأسباب وعجزها.

هذه الجملة تحمل تحذيرًا عظيمًا وعقابًا لمن يشرك مع الله في التوكل. فبدلًا من أن ينال المطلوب الذي تعلق به، فإنه يُحرم من عون الله ومدده وتوفيقه ، ويصبح معتمدًا على سبب ضعيف وعاجز، مما يُسبب له الضرر والوهن.

وروى الإمام أحمد عن رويفع "، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رُوَيْفِعُ، لعَلّ الحَيَاة ستَطُولُ بِكَ، فَأخْبِرِ النّاسَ: أنّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أوْ تقلّدَ [وَتَرًا ، أوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابّةٍ أوْ عَظْمٍ، فَإنّ مُحَمّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ .

الراوي هو الصحابي الجليل رويفع بن ثابت بن السكن الأنصاري، أبو زرارة. كان من أهل الصفة، وشهد بيعة الرضوان. أرسله النبي صلى الله عليه وسلم أميرًا على غزوة ذات السلاسل. بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، شارك في فتح مصر، وتولى إمرة طرابلس. اشتهر بروايته لهذا الحديث العظيم، الذي يحمل تحذيرات هامة من الشرك والبدع. توفي رضي الله عنه سنة 46 هجرية في برقة.

يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ

لَعَلّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ: هذه الجملة تُعدّ من دلائل النبوة. فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم رويفعًا أن حياته ستطول، وهذا ما حدث بالفعل، فقد عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم زمنًا طويلًا. هذا التمهيد يدل على أهمية الأمر الذي سيخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه موجه للأجيال القادمة.

فَأخْبِرِ النّاسَ

فَأخْبِرِ النّاسَ: هذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم لرويفع بتبليغ هذه

الأمور المهمة للمسلمين، وهذا يُلقي مسؤولية عظيمة على كل من سمع هذا

الحديث أن يبلغه لغيره، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية".

أنّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ

عَقَدَ لِحْيَتَهُ: "اللحية" هي عقد تُعقد في خيط أو حبل بغرض السحر أو لدفع الحسد. كانت تُعقد وتُنفث عليها بعض الكلمات الشركية. وهذا الفعل من الشرك لأنه يربط النفع والضر بعقد وحبال، لا بقضاء الله وقدره.

أوْ تقلّدَ وَتَرًا

تقلّدَ وَترًا: "تقلد" تعني وضع القلادة في العنق. "الوتر" هو خيط القوس. كانت العرب في الجاهلية تُعلّق أوتار القوس على رقاب الإبل لدفع العين عنها. هذا الفعل من الشرك أيضًا لأنه اعتماد على غير الله في دفع البلاء.

أو اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابّةٍ أوْ عَظْمٍ

استنجى: أي تطهّر من البول أو الغائط.

رَجِيعِ دَابّةٍ: هو روث الحيوانات الجاف.

أوْ عَظْمٍ: عظم الحيوانات.

سبب النهي عن الاستنجاء بهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنهما زاد إخوانكم من الجن"، فالروث طعام بهائمهم، والعظم طعامهم. فاستعمالها في الاستنجاء يُعدّ إهانة لهم.

فَإنّ مُحَمّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ

بَرِيءٌ مِنْهُ: هذه الجملة هي أقوى صيغة للتحذير والوعيد في الحديث. ومعناها أن النبي صلى الله عليه وسلم يتبرأ من فاعل هذه الأفعال. والبراءة من النبي صلى الله عليه وسلم تعني أن هذا الفعل ليس من هديه ولا من شريعته، وأنه مخالف لمنهجه، مما يُشير إلى أنه من الكبائر التي تُوجب

وعن سعيد بن جبير، قال: (من قطع تميمة من إنسان، [كان كعدل رقبة) رواه وكيع

الرواي هو الإمام الجليل، التابعي الفقيه، سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، أبو عبد الله. يُعتبر من كبار التابعين ومن أشهر تلاميذ الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقد روى عنه علمًا غزيرًا في التفسير والفقه. كان فقيهًا عالماً، مشهورًا بعبادته وتقواه وورعه، وقد قال عنه أهل العلم: "مات سعيد وما على وجه الأرض أحد أعلم من أهل الكوفة منه". استُشهد رحمه الله سنة 95 هجرية على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان مثالًا للشجاعة والثبات على الحق.

مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ

مَنْ قَطَعَ: "قطع" هنا يدل على الإزالة والإبطال. والفعل يدل على قوة الإنكار للمنكر.

تَمِيمَةً: هي كل ما يُعلّق على الإنسان، بغرض دفع العين أو السحر أو الأمراض، اعتقادًا أنها تجلب النفع أو تدفع الضر. ويدخل فيها الخرز، والعظام، والحبال، وأي شيء من هذا القبيل.

مِنْ إِنْسَانٍ: أي من أي شخص، سواء كان صغيرًا أو كبيرًا، مسلمًا أو غير مسلم. وهذا يدل على أن هذا الفعل محمودٌ ومطلوبٌ من كل من يرى هذا المنكر.

كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ

كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ: "العدل" هو المثل والمساوي. و"الرقبة" هي العبد المملوك. ومعنى الجملة أن من يقطع التميمة من شخص، فكأنه أعتقه من الرق.

وله عن إبراهيم"، قال: (كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغيرالقرآن)"

الرواي هو الإمام الجليل، التابعي الفقيه، إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمران. يُعتبر من كبار فقهاء الكوفة في زمن التابعين، ومن أشهر تلاميذ الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. كان عالمًا تقيًا، اشتهر بزهده وورعه وفقهه. وقد قال عنه الإمام الأعمش: "ما رأيت أحدًا أفقه من إبراهيم". توفي رحمه الله سنة 96 هجرية.

كانُوا يَكْرَهُونَ

كانُوا: هذه اللفظة هنا لا تدل على إبراهيم النخعي وحده، بل تشير إلى مجموعة من الصحابة والتابعين الذين كانوا على هذا الرأي، ومنهم: عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وابن عباس، وغيرهم.

يَكْرَهُونَ: "الكره" هنا بمعنى "التحريم". فالكره عند السلف يطلق على ما هو محرم شرعًا.

التَّمَائِمَ كُلَّهَا

التَّمَائِمَ: جمع "تميمة". وهي كل ما يُعلّق على الإنسان، بغرض دفع العين أو السحر أو الأمراض.

كُلَّهَا: هذه الكلمة هي جوهر الأثر. فهي تفيد العموم والشمول، ولا تستثني أي نوع من التمائم.

مِنَ القُرْآنِ وَغَيْرِ القُرْآنِ

مِنَ القُرْآنِ: وهي التمائم التي تُكتب فيها آيات من القرآن الكريم أو أدعية مأثورة.

وَغَيْرِ القُرْآنِ: وهي التمائم التي تُصنع من الخرز أو العظام أو الحبال أو أي شيء آخر.

الأثر يُبيّن أن السلف الصالح كانوا يكرهون جميع أنواع التمائم، سواء كانت من القرآن أو من غيره. وهذا الرأي هو الصحيح الراجح، لأنه مبني على سد الذرائع (أي منع الوسائل التي قد تؤدي إلى الشرك الأكبر).

باب مَنْ تبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَ

وقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ (1) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ)[النجم: ١٩-٢٠].

"أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى"

هذا استفهام من الله تعالى للمشركين، وهو استفهام إنكاري توبيخي.

* "أَفَرَأَيْتُمُ": أي أخبروني واعترفوا. الاستفهام هنا ليس للاستعلام، بل هو

لإلزام المخاطبين بالحجة، وكأنه يقول لهم: هل فكرتم بعقولكم في حقيقة هذه الأصنام؟

* "اللاتَ وَالعُزّى": هما أشهر صنمين كان العرب يعبدونهما في الجاهلية.

* "اللاتَ": كان صنمًا لثقيف في الطائف، وكانوا يعظمونه جدًا.

* "العُزّى": كانت صنمًا لقريش وغطفان في وادٍ بين مكة والطائف، وكانوا يعتقدون أنها من أعظم آلهتهم.

"وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى"

هذا هو الصنم الثالث الذي كان يعبده المشركون، ويُشار إليه بالثالث.

* "وَمَنَاةَ": كانت صنمًا للخزرج والأوس، وكانت في قديد قرب المدينة المنورة.

* "الثَّالِثَةَ الأُخْرَى": هذا الوصف فيه نوع من الاستهزاء من قبل القرآن. كلمة "الأخرى" هنا تُستخدم للدلالة على أنها الأخيرة في الذكر، وكأنها أقل شأنًا من الصنمين الأولين. فاللّٰه تعالى يذكرها وكأنها لا تستحق حتى الذكر.

الهدف من هذا الاستفهام الإجمالي عن هذه الأصنام الثلاثة هو:

* إظهار بطلان عبادتها: فاللّٰه تعالى يوبخهم على تركهم عبادة الخالق

الأعظم، وعبادتهم لهذه الأصنام التي لا تملك شيئًا من القوة أو النفع.

* التساؤل عن حقيقتها: هل هذه الأصنام تسمع؟ هل ترى؟ هل تضر؟ هل تنفع؟ هل تخلق؟ الجواب هو: لا شيء من ذلك.

وعن أبي واقد الليثي " ، قال: خرجنا مع رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها : ذات أنواط، فمررنا بسدرة؛ فقلنا: يا رسول الله اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ " ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله ُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السَّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى: أَجْعَلْ لَنَا إِلَيْهَا كَمَا لَهُمْ وَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [الآية [لأعراف : ١٣٨]. لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. رواه الترمذي وصححه] .

أبو واقد الليثي، هو الحارث بن مالك الليثي، صحابي جليل، كان من المسلمين الجدد في غزوة حنين، وقد شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث.

"خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ِ صَلَّى اللهُ ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ"

هذا الجزء من الحديث يوضح سبب طلب الصحابة.

* "حُنَيْنٍ": وادٍ بين مكة والطائف، وقعت فيه غزوة حنين بعد فتح مكة سنة 8 هـ.

* "حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ": أي أنهم حديثو عهد بالإسلام، ولم يتغلغل التوحيد في قلوبهم بعد بشكل كامل، فكانت بعض عادات الجاهلية لا تزال عالقة في أذهانهم. وهذا يدل على أن الجهل بالشرع قد يوقع الإنسان في الشرك.

"وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ"

هذا الجزء يصف حال المشركين في ذلك الوقت.

* "سِدْرَةٌ": شجرة معروفة.

* "يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا": أي يقيمون عندها ويعظمونها تعظيم العبادة.

* "يَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ": أي يعلقون أسلحتهم على هذه الشجرة تبركًا بها،

اعتقادًا منهم أن هذا سيجعل أسلحتهم أكثر قوة.

* "ذَاتُ أَنْوَاطٍ": أي صاحبة المعلقات، وهذا هو اسمها الذي اشتهرت به.

هذا الفعل هو شرك في العبادة، لأن العكوف والتعظيم والتبرك بالأشياء لغير الله هو نوع من العبادة التي يجب صرفها لله وحده.

"فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ"

هذا هو طلب الصحابة.

* المراد بالطلب: طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصص لهم شجرة يتبركون بها، كما يفعل المشركون. ولم يقصدوا أن يعبدوها من دون الله، ولكنهم ظنوا أن هذا الفعل من الأمور المباحة التي تجلب النفع، بسبب جهلهم بحقيقة التوحيد.

"فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهُ أَكْبَرُ"

هذا هو أول رد فعل من النبي صلى الله عليه وسلم، وهو إشارة إلى عظم هذا الطلب وخطورته. قول "الله أكبر" هنا ليس للتعجب فحسب، بل هو

إعلان لتعظيم الله وبيان أن هذا الأمر لا يليق إلا بالله تعالى.

"إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ"

هذا هو بيت القصيد في الحديث. النبي صلى الله عليه وسلم شبه طلب الصحابة بطلب بني إسرائيل من نبي الله موسى عليه السلام، وهذا التشبيه له دلالات عظيمة.

* "إِنَّهَا السُّنَنُ": أي أن هذا الفعل هو من سنن المشركين التي اتبعوها، وهذا تحذير من مشابهة أهل الباطل في عباداتهم.

* "كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى": وجه الشبه هو أن كلا القومين طلب من نبيه أن يخصص لهم شيئًا ليعبدوه، أو يتبركوا به، كما يفعل الكفار.

* "إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ": هذه الآية من سورة الأعراف، وهي وصف من موسى عليه السلام لبني إسرائيل. وقد استعملها النبي صلى الله عليه وسلم

في حق الصحابة لبيان أن طلبهم نابع من الجهل بحقيقة التوحيد.

"لَتَرْكَبُنّ سَنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ"

هذا إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم عن أمر سيقع في أمته، وهو اتباع سنن الأمم السابقة.

* "سَنَنَ": أي طريقة ومنهج.

* "مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ": أي من اليهود والنصارى والمشركين.

باب مَا جَاءَ فِي النَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّه

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وقوله: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) [الكوثر : ٢].

"قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي"

هذه الآية تأمر النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بعده كل مسلم، بأن يُعلن بوضوح أن جميع عباداته هي لله وحده.

* "صَلَاتِي": الصلاة هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي عمود الدين. وهي عبادة بدنية خالصة لله تعالى.

* "وَنُسُكِي": النسك هنا بمعنى العبادة عمومًا، وقيل: النسك بمعنى الذبح

والقربان. وهذا المعنى الأخير هو الأرجح في هذا السياق، لوروده مقترنًا

بالصلاة، كما في آية سورة الكوثر.

"وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"

هذا الجزء من الآية يرفع التوحيد إلى أعلى مستوياته. فالمؤمن لا يخصص عباداته لله فقط، بل حياته كلها وموته لله.

* "وَمَحْيَايَ": أي ما أعيشه من زمن في هذه الدنيا، وما أقوم به من أعمال، وما أفعله من خير، كله لله وفي سبيله.

* "وَمَمَاتِي": أي موتي وما يترتب عليه. فالمسلم يرجو أن يموت على طاعة الله وفي سبيله.

"لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ"

هذا تأكيد على أن هذا الإخلاص هو جوهر الدين، وأن لا شريك لله في ألوهيته ولا ربوبيته ولا في أي نوع من أنواع العبادة.

* "لَا شَرِيكَ لَهُ": هذا هو إعلان البراءة من الشرك بجميع أنواعه.

* "وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ": أي أن هذا الإخلاص هو أمر من الله تعالى، وليس اختيارًا شخصيًا.

* "وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ": أي أنا أول من انقاد واستسلم لهذا الأمر.

"فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ"

هذه الآية تأتي بعد أن منّ الله على نبيه بالكوثر، وهو الخير الكثير. والأمر هنا بالجمع بين عبادتين عظيمتين: الصلاة والنحر.

* "فَصَلِّ لِرَبِّكَ": أي أقم الصلاة خالصةً لوجهه، واجعلها لربك وحده دون غيره.

* "وَانْحَرْ": أي اذبح قربانك لله وحده.

عن علي بن أبي طالب ، قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : لَعَنَ اللَّه ُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّه لَعَنَ اللَّه ُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا ، لَعَنَ اللَّه ُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ» رواه مسلم .

علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته فاطمة، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين. عُرف بشجاعته، وعلمه، وفصاحته، وزهده، وهو من أشهر الصحابة، توفي سنة 40 هـ.

"لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ"

* "الذبح": إزهاق الروح بنية التقرب، وهو من أعظم العبادات المالية.

* "لِغَيْرِ اللَّهِ": أي أن يكون الذبح بقصد التقرب إلى صنم، أو قبر، أو شيخ، أو ولي، أو جن.

هذا الذنب هو الشرك الأكبر، لأنه صرف عبادة لغير مستحقها. اللعنة هنا تعني الإبعاد عن رحمة الله، والوعيد الشديد بالعذاب.

"لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ"

* "لَعَنَ": سبّ وشتم، ووجه الإهانة والسب.

* "وَالِدَيْهِ": الأم والأب، وهما سبب وجود الإنسان.

هذا الذنب من أكبر الكبائر، وقد يكون لعنهما بالقول المباشر، أو بالتسبب في لعنهما. فمثلًا، يسب الرجل أبًا لغيره، فيرد عليه الآخر بسب أبيه، فيكون

الأول قد تسبب في لعن والديه.

"لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا"

* "آوَى": حَمَى وأعطى مأوىً وملجأً.

* "مُحْدِثًا": المُحدث هو الذي ارتكب حدثًا، وهو الجناية أو الجريمة التي تستوجب حدًا شرعيًا أو قصاصًا، مثل القتل، أو السرقة، أو الحرابة. وقيل: المحدث هو الذي ابتدع بدعةً في الدين.

اللعن هنا لمن يحمي الجاني ويمنعه من تطبيق الحد الشرعي عليه، أو لمن يحمي أهل البدع ويُعينهم على نشر باطلهم. وهذا من الإفساد في الأرض.

"لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيّرَ مَنَارَ الأَرْضِ"

* "غَيّرَ": بدّل وغيّر.

* "مَنَارَ الأَرْضِ": هي علامات حدود الأراضي، التي تفصل بين أملاك الناس، وتمنع النزاع بينهم.

هذا الذنب يتعلق بأكل أموال الناس بالباطل، وهو من الكبائر. فمن يغير هذه العلامات، فإنه يعتدي على حقوق الآخرين ويستولي على أراضيهم بغير وجه حق.

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دَخَلَ الجَنّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال: «مر رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتّى يُقَرّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرّبْ قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرّبُ. قَالُوا لَهُ : قَرّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرّبَ ذُبَابًا، فَخَلّوْا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النّارَ وَقَالُوا لِلْآخَرِ : قَرّبْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الجَنّةَ» رواه أحمد

طارق بن شهاب الأحمسي البجلي، صحابي جليل، أسلم وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يره. كان من التابعين الكبار الذين رووا عن الصحابة. هو أحد الثقات الذين يُعتمد على حديثهم.

"دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ"

هذه العبارة هي محور الحديث، وهي إشارة إلى أن عملًا صغيرًا جدًا، قد لا يُلقى له بال، يمكن أن يكون سببًا لدخول الجنة أو النار، إذا كان مرتبطًا بالتوحيد أو الشرك.

"مَرّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ"

* "صَنَمٌ": هو ما يُعبد من دون الله، ويُصنع على شكل صورة.

* المراد بالحديث: أن الرجلين مرا على مجموعة من المشركين يعبدون صنمًا.

"لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا"

* "لَا يَجُوزُهُ": أي لا يُسمح لأحد بالمرور من هذا المكان.

* "يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا": أي أن يقدّم لهذا الصنم قربانًا، أي ذبيحة أو شيئًا يُتقرب به. وهذا الفعل هو عبادة.

"فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ. قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ. قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا ، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ"

* "قَرِّبْ": أمر من المشركين للرجل بتقديم القربان.

* "وَلَوْ ذُبَابًا": هذا يؤكد على أن المسألة ليست في قيمة القربان، بل في فعل التقرب نفسه. فالذباب لا قيمة له في نظر الناس، ولكنه عند الله أصبح سببًا لدخول النار لأنه قُدّم على سبيل العبادة لغير الله.

* "فَدَخَلَ النَّارَ": العاقبة المباشرة لهذا الفعل. فالشرك الأصغر والأكبر يُدخل صاحبه النار إذا لم يتب منه.

"وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الجَنَّةَ"

* "مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ": هذا هو جوهر التوحيد. الرجل رفض أن يتقرب لأي شيء سوى الله، ولو كان الثمن حياته. هذا يدل على ثباته ويقينه في العقيدة.

* "فَضَرَبُوا عُنُقَهُ": قتلوه بسبب تمسكه بالتوحيد. هذا القتل هو شهادة في سبيل الله.

* "فَدَخَلَ الجَنَّةَ": العاقبة المباشرة لثباته على التوحيد. فقد نال الشهادة والجنة.

باب :لا يذبح لله بِمَكانَ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللّه

وقول اللّه تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللّه

يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ [التوبة : ١٠٨].

"لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا"

هذا هو الحكم الشرعي الذي أمر اللّه به نبيه صلى اللّه عليه وسلم، وهو النهي القاطع عن الصلاة في مسجد الضرار.

* "لَا تَقُمْ": أي لا تصلّ.

* "فِيهِ": أي في مسجد الضرار، وهو المسجد الذي بناه المنافقون في المدينة المنورة للإضرار بالمسلمين والتفريق بينهم، وإيواء أعداء الإسلام.

* "أَبَدًا": هذا التأكيد يدل على أن النهي ليس مؤقتًا، بل هو نهي دائم عن الصلاة في هذا المسجد، مما يدل على خبث نوايا أصحابه.

قال الإمام ابن كثير رحمه اللّه: "هذا أمرٌ من اللّه تعالى لرسوله صلى اللّه عليه وسلم أن لا يقوم في هذا المسجد الذي أسسه أهله على الضرار

والتفريق بين المؤمنين...".

"لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ"

هذا هو المقابل لمسجد الضرار، وهو المسجد الذي يستحق الصلاة فيه.
اختلف العلماء في المقصود بهذا المسجد:

قال الإمام الطبري رحمه اللّه في تفسيره: "اختلف أهل التأويل في المسجد الذي عُني بقوله: (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى)، فقال بعضهم: هو مسجد قباء. وقال آخرون: هو مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم. والصواب من القول أن يقال: كلاهما أُسِّسَ على التقوى... ولكن مسجد قباء أول ما بُني على التقوى، لأنهم أول من أسس على التقوى".

"أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ"

هذا بيان لفضل مسجد قباء، فهو أحق بأن يُصلى فيه من مسجد الضرار. وهذا التعبير يدل على أن الصلاة فيه لها فضل خاص وثواب عظيم.

"فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا"

هذه هي الصفة التي وصف الله بها أهل مسجد قباء. هم رجال يحبون الطهارة الحسية والمعنوية.

* "الطهارة الحسية": طهارة الجسد والثوب والمكان، والوضوء والاستنجاء بالماء.

* "الطهارة المعنوية": طهارة القلب من الشرك والنفاق والرياء، وتطهيره من الذنوب والمعاصي.

"وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ"

هذا هو الجزاء العظيم الذي يناله من يحب الطهارة ويحافظ عليها.

* "يُحِبُّ": محبة الله للعبد هي أعظم منحة، وهي سبب كل خير في الدنيا والآخرة.

* "الْمُطَّهِّرِينَ": أي المتصفين بالطهارة الحسية والمعنوية.

عن ثابت بن الضحاك ، قال: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبلا بُوَانَة ، فسأل النبي فقال : هَلْ كانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثانِ الجَاهِلِيّةِ يُعْبَدُ ؟». قالوا: لا

قالَ: فَهَلْ كانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ؟ قالوا: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أوف بِنَشْرِكَ فَإِنّهُ لا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللّهِ، وَلا فِيمَا لا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ . رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما]

الراوي هو ثابت بن الضحاك الأنصاري، صحابي جليل من الأنصار، شهد بيعة الرضوان مع النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة. روى عددًا من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان.

"نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبلا ً بِبُوَانَة"

* "نَذَرَ": أي ألزم نفسه.

* "أَنْ يَنْحَرَ إِبلا ً": النحر هو ذبح الإبل. وهذا الفعل هو قربة لله تعالى إذا كانت النية خالصة.

* "بِبُوَانَةَ": "بوانة" اسم مكان، وهو جبل قريب من مكة المكرمة. تحديد الرجل للمكان في نذره أثار تساؤل النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه قد يكون لهذا المكان علاقة بعبادات الجاهلية.

"فَسَأَلَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم"

هذا يدل على حرص الصحابة على التثبت من أحكام دينهم، وعدم الإقدام على أي عمل قبل التأكد من مشروعيته. كما يدل على أن الاستفتاء من أهل العلم هو منهج المؤمنين.

"هَلْ كانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟ قالوا: لا"

هذا هو الشرط الأول الذي سأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

* "وَثَنٌ": هو ما يُعبد من دون الله.

* المراد بالسؤال: هل هذا المكان (بوانة) كان مخصصًا لتقديس الأصنام أو

الأوثان في الجاهلية؟ إذا كان كذلك، فإن النحر فيه قد يكون فيه تشبه بعبادات المشركين، وهو أمر محرم.

"فَهَلْ كانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟ قالوا: لا"

هذا هو الشرط الثاني الذي سأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

* "عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ": العيد هو موسم للاحتفال يتكرر سنويًا أو في أوقات محددة.

* المراد بالسؤال: هل كان المشركون يخصصون هذا المكان للاحتفال بأعيادهم الجاهلية؟ إذا كان كذلك، فإن النحر فيه يُعد تشبهًا بهم في أعيادهم.

"فَإِنَّهُ لا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ"

هذه هي القاعدة العظيمة التي خرجت من هذا الحديث. النذر ليس مطلقًا، بل هو مقيد بأن يكون في طاعة الله.

* "لَا وَفَاءَ": أي لا يجب الوفاء به، بل هو محرم.

* "فِي مَعْصِيَةِ اللهِ": أي أن يكون النذر بفعل شيء يغضب الله.

"وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ"

هذه قاعدة أخرى . النذر يجب أن يكون بشيء يملكه الناذر وقادر على فعله.

* "مَا لَا يَمْلِكُ": مثل أن ينذر أن يتصدق بمال غيره، أو أن يبيع شيئًا ليس ملكًا له. هذا النذر لا يصح ولا يجب الوفاء به.

* "ابْنُ آدَمَ": أي الإنسان.

باب مِن الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللّٰه

وقول اللّٰه تعالى: يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا [الإنسان : ٧].

"يُوفُونَ بِالنَّذْرِ"

هذه هي الصفة الأولى التي تذكرها الآية من صفات الأبرار. الوفاء بالنذر هو دليل على قوة الإيمان والصدق مع اللّٰه.

* "الوفاء": يعني الإتمام والإنهاء الكامل للعهد أو الالتزام. هو عكس النكث أو الإخلال بالوعد.

* "النَّذْرُ": هو إلزام المرء نفسه بفعل طاعة لم تكن واجبة عليه في الأصل، تعظيمًا لله تعالى وتقربًا إليه. وقد سبقت الإشارة إلى أن النذر يجب أن يكون في طاعة اللّٰه.

* المراد بالآية: أن من صفات الأبرار أنهم إذا أوجبوا على أنفسهم شيئًا من القربات لله تعالى، أوفوا به إخلاصًا وصدقًا، دون أن يترددوا أو يرجعوا فيه.

قال الإمام الطبري رحمه اللّٰه في تفسيره: "يعني بذلك تعالى ذكره: يوفون بما أوجبوه على أنفسهم لله من طاعة لم تكن واجبة عليهم". وهذا يوضح أن الوفاء بالنذر هو من الطاعات التي يُثاب عليها العبد.

"وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا"

هذا هو السبب الذي يدفع الأبرار للوفاء بالنذر، وهو الخوف من عذاب اللّٰه في يوم القيامة. هذه الصفة مرتبطة بالصفة الأولى، فالوفاء بالنذر ليس مجرد فعل، بل هو نتيجة لخوفٍ عميق من اللّٰه ويوم الحساب.

* "يَخَافُونَ": أي يرهبون ويخشون، والخوف هنا ليس خوفًا سلبيًا يمنع من العمل، بل هو خوف إيجابي يدفع إلى الطاعة.

* "يَوْمًا": المراد به يوم القيامة.

* "كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا": هذا وصف ليوم القيامة.

* "مُسْتَطِيرًا": أصل الكلمة من "طار" أي انتشر وتفرق. والمعنى أن شر يوم القيامة منتشر وعظيم وشامل، يصيب الجميع، ولا يستطيع أحد الفرار منه أو الخلاص من أهواله إلا برحمة الله.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "يوفون بما التزموه من الطاعات، ويخافون يومًا شره فاشٍ عام على الناس إلا من رحم الله".

وقال الإمام السعدي رحمه الله: "فكان خوفهم من ذلك اليوم داعيًا لهم إلى فعل الخيرات وترك المنكرات".

وقوله تعالى: وَمَا أنفقتُم مِّن نفقةٍ أوْ نذرتُم مِّن نذرٍ فَإِنّ اللهَ يعلمه) [البقرة: ٢٧٠).

"وَمَا أنفقتُم مِّن نفقةٍ"

هذا الجزء من الآية يتناول موضوع الإنفاق، وهو إخراج المال في سبيل الله تعالى، سواء كان ذلك صدقة واجبة (مثل الزكاة) أو صدقة تطوعية. كلمة "نفقة" هنا جاءت بصيغة النكرة لتدل على الشمول والعموم، فتشمل كل أنواع الإنفاق، قلت أو كثرت، كانت في السر أو في العلن.

"أوْ نذرتُم مِّن نذرٍ"

هذا الجزء الثاني من الآية يتعلق بالنذر، وهو إلزام الإنسان نفسه بفعل طاعة لله لم تكن واجبة عليه في الأصل، تعظيمًا لله وتقربًا إليه. كلمة "نذر" أيضًا جاءت بصيغة النكرة لتشمل كل أنواع النذور، سواء كانت نذرًا بالصيام، أو الصلاة، أو الحج، أو الصدقة.

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "هذا إعلامٌ من الله جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه ما أنفقه عباده في سبيله من نفقة، ولا ما أوجبوا على أنفسهم من نذر طاعة له".

"فَإِنّ اللهَ يَعْلَمُهُ"

هذا هو محور الآية، وهو بيت القصيد. هذه الجملة تحمل معنى الوعيد

والوعد في آن واحد.

* الوعيد: لمن كان قصده من الإنفاق أو النذر هو الرياء أو السمعة أو أي قصد سيء، فإن الله يعلم ذلك وسيحاسبه عليه.

* الوعد: لمن كان قصده خالصًا لله تعالى، فإن الله يعلم ذلك وسيجازيه عليه خير الجزاء.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه قال من نذر أن يطع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي فلا يعصه

عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، هي أم المؤمنين، زوجة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأحب نسائه إليه. كانت من أفقه نساء الأمة، وأكثر الصحابة علمًا بالسنة النبوية، وقد روى عنها عدد كبير من الصحابة

والتابعين. كانت تُعرف بذكائها وفصاحتها وقوة حفظها، وتوفيت في المدينة المنورة سنة 58 هـ.

"مَنْ نَذَرَ"

* "النّذْرُ": هو إلزام المرء نفسه بفعل طاعة لم تكن واجبة عليه في الأصل، تعظيمًا لله تعالى وتقربًا إليه. مثل أن يقول: "لله عليّ أن أصوم يوم كذا"، أو "لله عليّ أن أتصدق بكذا".

* أصل النذر في الشريعة: هو من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

قال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله في "المغني": "النذر هو إيجاب

الإنسان على نفسه ما ليس بواجب عليه من طاعة الله".

"أَنْ يُطِيعَ اللهَ"

هذا هو الشرط الأول في النذر. إذا كان النذر يوجب على الناذر فعل طاعة لله، مثل الصيام أو الصلاة أو الحج أو الصدقة أو غيرها من القربات، فإنه يجب عليه الوفاء بهذا النذر.

"فَلْيُطِعْهُ"

هذا هو الجزاء أو الحكم الشرعي. إذا نذر المسلم طاعة، فعليه أن يطيع الله

ويوفي بنذره. هذا الوفاء ليس اختيارًا بل هو واجب شرعي.

"وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ"

هذا هو الشرط الثاني للنذر. إذا كان النذر يوجب على الناذر فعل معصية، مثل أن يقول: "لله عليّ أن أشرب الخمر"، أو "لله عليّ أن أقطع رحمي"، فهذا النذر باطل ولا يجوز الوفاء به.

"فَلَا يَعْصِهِ"

هذا هو الحكم الشرعي في نذر المعصية. الناذر يجب عليه ألا يفي بنذره، بل يجب عليه الامتناع عن فعل المعصية. وهذا يعني أن هذا النذر لا يجعله واجبًا، بل يبقى حرامًا.

هناك خلاف فقهي حول كفارة نذر المعصية:

* القول الأول : يجب على من نذر معصية أن يكفر عن نذره كفارة يمين. وهذا قول جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة.

* القول الثاني: لا كفارة عليه. وهذا قول بعض الفقهاء.

والراجح: هو وجوب الكفارة

لأنَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ : " لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ، وَكَفّارَتُهُ كَفّارَةُ يَمِينٍ ".

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رهقا [الجن: ٦].

"وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ"

الآية تتحدث عن عادة قديمة كانت منتشرة بين العرب في الجاهلية، وهي

الاستعاذة بالجن. "رجال من الإنس" أي بعض البشر، وفي الغالب كانوا من المسافرين الذين ينزلون في أماكن موحشة أو خالية يخشون فيها من أذى الجن.

"يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ"

* "يَعُوذُونَ": أي يلتجئون ويستجيرون ويطلبون الحماية. هذه الكلمة تعني اللجوء إلى قوة أخرى غير الله للحماية من الشر.

* "بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ": كان من عادة العرب أنهم إذا نزلوا واديًا أو مكانًا في الصحراء يخافون فيه من الجن، يقول أحدهم: "أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه"، معتقدًا أن هذا الاستجارة بالجن ستحميه من شرهم.

"فَزَادُوهُمْ رَهَقًا"

هذه هي النتيجة المباشرة لهذا الفعل. "فَزَادُوهُمْ رَهَقًا" تعني أن هذه

الاستعاذة لم تكن نافعة، بل زادت الإنس ضررًا وخوفًا.

* "رَهَقًا": الرهق هو الخوف الشديد، والذل، والضلال، والطغيان.

* كيف زادوهم رهقًا؟

* أولًا: زاد الجنُ الإنسَ رهقًا وخوفًا، لأنهم رأوا الإنس يخشونهم ويتعوذون بهم، فازدادوا استكبارًا وتسلطًا وطغيانًا. هذا التصرف من الإنس أعطى الجن شعورًا بالقوة والهيمنة، فكانوا يرهقون الإنس بالأذى

والوسوسة.

* ثانيًا: زاد الإنسُ الجنّ رهقًا، أي زاد الإنس في ضلالهم وطغيانهم

بالاستعاذة بغير الله، مما جعلهم يزدادون خوفًا وذلًا ورهبة.

* قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره: "زادت الجن الإنسَ خوفًا وذنبًا، لأن الإنس كانوا يزعمون أن الاستعاذة بالجن تنفعهم، فكذبوا وضلوا".

وعن خولة بنت حكيم قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه ِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّه التّامّاتِ مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرّهُ شَيْءٌ حَتّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» رواه مسلم.

خولة بنت حكيم السلمية، هي صحابية جليلة، من أوائل المهاجرات، وهي زوجة الصحابي الجليل عثمان بن مظعون رضي الله عنهما. عُرفت بروايتها

للأحاديث النبوية، وقد روى عنها عدد من كبار التابعين. توفيت بالمدينة المنورة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

"مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا"

المنزل هو أي مكان ينزله الإنسان للإقامة فيه، سواء كان في الصحراء، أو في البر، أو في فندق، أو في أي بيت أو مكان جديد. النزول هنا ليس مجرد المرور العابر، بل هو الإقامة والاستقرار فيه ولو لفترة قصيرة، سواء كان في الليل أو النهار.

"فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّه التّامّاتِ"

* "أعُوذُ": أي ألتجئ وأستجير وأتحصن. هذه الكلمة تعني اللجوء إلى الله تعالى وحده طلبًا للحماية والأمان من كل ضرر.

* "بِكَلِمَاتِ اللّه": اختلف العلماء في معنى "كلمات الله" على أقوال، لكن أرجحها وأكثرها شهرة هو أن المقصود بها كلامه سبحانه وتعالى، وهو القرآن الكريم، أو أسماؤه الحسنى وصفاته العلا. فكلام الله صفة من صفاته غير مخلوقة، واللجوء إليها يعني اللجوء إلى الله نفسه وصفاته.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: "الاستعاذة بكلمات الله التامات جائزة، لأن كلام الله صفة من صفاته، والصفة لا يصح أن يُستعاذ بها إلا إذا كانت من الله نفسه، ولا يجوز الاستعاذة بمخلوق". وهذا تأكيد على أن كلمات الله غير

مخلوقة، وأنها جزء من ذاته وصفاته.

* "التّامّاتِ": أي الكاملة التي لا نقص فيها ولا عيب. هذه الكلمات لا يعتريها أي خلل أو عجز، فهي تحقق الحماية الكاملة والشاملة. كما أن "التامات" تعني أنها لا يلحقها شيء من تغيير أو تبديل.

"مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ"

الاستعاذة هنا عامة وشاملة، فهي تشمل كل المخلوقات التي قد تسبب ضررًا للإنسان. يشمل ذلك:

* الشياطين والجن: فهم من المخلوقات التي قد تسبب الأذى للإنسان.

* الهوام والحشرات السامة: مثل العقارب والأفاعي.

* الحيوانات المفترسة والضارة: مثل السباع والكلاب المسعورة.

* البشر الأشرار والحاسدون: الذين قد يلحقون الأذى بالقول أو الفعل.

* كل الأضرار الطبيعية والآفات: مثل الأمراض والكوارث.

"لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ"

هذه هي ثمرة هذا الذكر وفائدته العظيمة.

وهذه الجملة تحمل معنى الحفظ المطلق والشامل من الله تعالى. فمن قال هذا الذكر، فإن الله يحميه من كل أذى وضرر محتمل، سواء كان من

الأسباب الطبيعية أو الغيبية. هذه الحماية تستمر طوال فترة إقامته في ذلك المكان حتى يغادره.

باب: مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللَّه أَوْ يَدْعُو غَيْرَه

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ* وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [يونس : ١٠٦-.١٠٧]

الآية الأولى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ..﴾

* معنى "تدْعُ": الدعاء هنا بمعناه الشامل، يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة.

* دعاء العبادة: وهو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، كالسجود، والنذر، والذبح، والطواف.

* دعاء المسألة: وهو طلب الحاجات من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كطلب الشفاء، أو الولد، أو الرزق.

* ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾: هذه العبارة توضح الحجة العقلية على بطلان عبادة غير الله. فالمعبود الحق هو من بيده النفع والضر، أما ما سواه من الأصنام، والأوثان، والأشخاص، أو حتى الكواكب، فلا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، فكيف تملكه لغيرها؟

* ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾: هذا تحذير شديد ووعيد قاطع.

* الظلم هنا هو الشرك بالله، وهو أعظم الظلم، كما قال لقمان لابنه في القرآن: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13].

* الظلم معناه وضع الشيء في غير موضعه. فإذا صرفت العبادة لغير مستحقها (الله تعالى)، فقد وضعت العبادة في غير موضعها الصحيح، وهذا هو عين الظلم.

الآية الثانية: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾

هذه الآية تؤكد على انفراد الله عز وجل بالربوبية، وهي إثبات عملي وحسي

لما جاء في الآية السابقة.

* ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾: إذا أصابك أي مكروه أو

بلاء، من مرض، أو فقر، أو حزن، فلا يوجد أحد في الوجود يستطيع أن يرفعه عنك إلا الله.

* ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾: وإذا أراد الله أن يمنحك نعمة أو خيراً، فلا يستطيع أحد في الوجود أن يمنع هذا الخير أو يصرفه عنك.

* دليل من القرآن: قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2].

* ﴿يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: هذا يوضح أن الخير والفضل لا يأتيان

إلا بمشيئة الله وحكمته. هو يختص من يشاء بفضله ورحمته.

* ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: خُتمت الآية بهذين الاسمين العظيمين ليطمئن قلب المؤمن. فاللّه تعالى يغفر لعباده إذا تابوا ورجعوا إليه من الشرك

والذنوب، وهو رحيم بهم لا يعاجلهم بالعقوبة.

وقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [العنكبوت: ١٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾

* معنى "تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ": يشمل كل من يُعبد غير الله، سواء كانوا أصناماً، أو أوثاناً، أو ملائكة، أو أنبياء، أو صالحين، أو أي مخلوق آخر.

* ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾: هذه هي الحجة الدامغة على بطلان عبادتهم.

فالمعبود لا بد أن يكون قادراً على النفع، وأعظم النفع الذي يحتاجه الإنسان هو الرزق. والآية تقرر أن هذه المعبودات لا تملك أدنى شيء من الرزق، لا قليله ولا كثيره.

﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾

هذا هو التوجيه الإلهي بعد إثبات بطلان عبادة غيره.

* ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزْقَ﴾: إذا كان الرزق لا يملكه إلا الله، فليس من المنطق أن يطلب من غيره. وهذا أمر صريح بطلب الرزق من الله وحده،

بالدعاء، والعمل، والسعي، مع اليقين بأن الرزاق هو الله.

* دليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6].

* ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾: طالما أنه هو الرزاق وحده، فهو المستحق وحده للعبادة. هذه العبارة تربط بين الرزق والعبادة، فمن كان رزقه من الله، فعبادته يجب أن تكون له وحده.

* ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾: الشكر هو الاعتراف بالنعمة والثناء على المنعم. فالله الذي يتفضل بالرزق يستحق الشكر على هذه النعمة، والشكر يزيد النعم كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7].

﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

تذكير بالمصير والنهاية. فكل إنسان سيعود إلى الله يوم القيامة ليحاسبه على أعماله، بما في ذلك عبادته لمن سواه أو شكره له. هذا التذكير يحفز المؤمن على طاعة الله وحده، والحرص على توحيده، لأنه سيلاقي ربه ويحاسبه على كل صغيرة وكبيرة.

وقوله تعالى: وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) [الأحقاف : ٦٠٥].

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾

* ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ﴾: هذه جملة استفهامية إنكارية، تفيد النفي، أي: لا أحد أضل وأجهل وأسفه ممن يفعل هذا. والضلال هنا هو

الضلال الكامل والشامل في العقيدة والفكر.

* معنى "يَدْعُو": كما سبق، الدعاء هنا يشمل دعاء العبادة (تقديم الطاعة) ودعاء المسألة (طلب الحاجة).

* ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: هذا هو الدليل على ضلال هذا الفعل. فالمعبود لا يستجيب أبداً لدعوة عابده، لا في الدنيا ولا في الآخرة، حتى لو استمر هذا الدعاء إلى قيام الساعة. وهذا يشمل الأصنام، والأوثان، والأشجار، والأحجار، التي هي جمادات لا تسمع ولا تجيب.

* ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾: هذه إشارة إلى أن هذه المعبودات، سواء كانت جمادات أو من الأموات، هي غافلة تماماً عن دعاء من يدعوها.

* سبب الغفلة: إذا كان المعبود حجراً أو صنماً، فغفلته عن الدعاء واضحة لأنه لا يعقل ولا يسمع. أما إذا كان المعبود من الأموات الصالحين، فالآية تفيد أنهم لا يسمعون دعاء من يطلب منهم، لأنهم في عالم آخر (عالم البرزخ)، وقد شغلوا بأمرهم.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾

هذه الآية تصف ما سيحدث يوم القيامة، حيث تتغير الأدوار تماماً.

* ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾: أي: إذا بُعث الخلائق جميعاً يوم القيامة للحساب والجزاء.

* ﴿كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾: هذه المعبودات التي كانت تُعبد في الدنيا ستتحول إلى أعداء لمن كان يعبدها.

* كيف يكونون أعداء؟

* الأصنام والأوثان: ستتحول إلى أعداء بلسان الحال، تشهد على من عبدها، وتلعنهم.

* الشياطين والأموات الصالحون (الذين لم يرضوا بعبادتهم): سيتبرؤون منهم ويعلنون عداوتهم لهم. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: 40-41].

* ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾: أي: أن هذه المعبودات ستتبرأ من عبادتهم وتنكرها تماماً، وتعلن كفرها بتلك العبادة الشركية. هذا التبرؤ هو أشد أنواع الخذلان الذي يلاقيه المشرك يوم القيامة.

وقوله تعالى : أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خلفاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ [النمل: ٦٢).

الآية تبدأ باستفهام إنكاري: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾. هذا ليس سؤالا ً ينتظر إجابة، بل هو تقرير لحقيقة راسخة في فطرة الإنسان.

* ﴿الْمُضْطَرَّ﴾: هو الذي أُحيط به، وانقطعت به الأسباب، ولم يبق له ملجأ ولا منجا إلا الله. ففي لحظة الاضطرار، يجد الإنسان نفسه في أضعف حالا ته، وتتلاشى أمامه جميع الأوهام التي كان يتعلق بها من دون الله، فلا يجد إلا الله سبحانه.

* ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾: الدعاء هنا هو دعاء المضطر الخالص الذي يخرج من قلب موحد، لا يرى كاشفاً لسوءه إلا الله.

* ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾: هو الله وحده الذي بيده رفع البلاء، والضرر، والهم، والغم. لا يملك أحد غيره كشفه. هذه الحقيقة يعرفها المشركون قبل المؤمنين، ولذلك كانوا إذا ركبوا في الفلك وهاجت بهم الأمواج، أخلصوا لله الدعاء.

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال النبي : إِنّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللّه

باب قَوْلُ اللّٰه تعَالَى :

أيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أنفسهم يَنصُرُونَ) [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

"أيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُون "

هذه الآية تستنكر وتتعجب من حال المشركين الذين يعبدون آلهة لا تملك أي قدرة على الخلق. فاللّٰه تعالى هو الخالق وحده، وكل ما سواه مخلوق. هذا تساؤل منطقي يدفع العقل إلى التفكير: كيف يُعبد من لا يخلق شيئًا، بل هو نفسه مخلوق، ويُترك عبادة الخالق الأعظم؟

"وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ"

وهذا دليل آخر على بطلان عبادتهم؛ فآلهتهم هذه لا تملك القدرة على مساعدة عابديها أو نصرهم إذا وقعوا في شدة. بل إنها لا تستطيع أن تنصر نفسها أو تدفع عنها أي ضرر. وهذا يُظهر عجزها التام.

وقوله [تعالى]: وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ [فاطر: ١٣].

"وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ"

هذا الجزء من الآية يوضح عجز المعبودات من دون اللّٰه بشكل تام.

والقطمير هو القشرة الرقيقة جدًا التي تكون على النواة في داخل التمرة. وهذا مثل يُضرب لبيان أدنى وأحقر شيء. فإذا كانت هذه المعبودات لا تملك حتى هذا الشيء الحقير، فكيف يمكنها أن تملك النفع أو الضر، أو أن تستحق العبادة؟

* "إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ"

هذا الجانب يكشف أن هذه المعبودات لا تملك السمع، فهي لا تسمع دعاء من يدعوها. وهذا دليل آخر على أنها لا تملك خصائص الإله. فالإله يجب أن يكون سميعًا مجيبًا.

* "وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ"

وهذا يذهب إلى أبعد من مجرد عدم السماع، بل يفترض جدلًا أنهم سمعوا ، فإنه لا يترتب على ذلك استجابة منهم، وذلك لعجزهم المطلق. فالإله الحق هو الذي يستطيع أن يلبي حاجة عبده ويستجيب له.

* "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ"

هذا هو أشد وأقسى موقف للمشركين. فالمعبودات التي كانوا يعبدونها ستتبرأ منهم يوم القيامة وتنكر شركهم، ولن تشفع لهم أو تنصرهم. وهذا الموقف سيزيد من حسرتهم وندمهم.

* "وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ"

وهذا هو ختام الآية، وهو تأكيد على أن هذا الخبر هو الحق الذي لا شك فيه، لأن الذي يخبر به هو الله الخبير بكل شيء، والذي يعلم الغيب والشهادة.

وفي الصحيح ، عن أنس بن مالك " قال : شُجّ النبي صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ، و كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فقال: كيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجّوْا نَبِيّهُمْ؟»، فنزلت: لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ) [آل عمران : ١٢٨].

الراوي هو أنس بن مالك، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو صحابي جليل، كان يخدم النبي منذ أن كان صغيرًا، ورافقه لمدة عشر سنوات، فحاز شرف الخدمة والعلم الغزير. وهو من المكثرين في رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

"شُجّ النبي صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ":

* شُجّ: كلمة تعني "جُرح في رأسه"، وهذا ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد، حيث أصابه حجر فجُرح في جبهته.

* يَوْمَ أُحُدٍ: هي المعركة المشهورة التي وقعت في السنة الثالثة من الهجرة، والتي شهدت محنة عظيمة للمسلمين، حيث هُزموا في البداية بسبب مخالفة بعض الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم.

* "و كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ":

* كُسِرَتْ: فعل يدل على الكسر، وهو ما أصاب إحدى أسنان النبي صلى الله عليه وسلم.

* رَبَاعِيَتُهُ: هي السن التي تلي الثنية (الأسنان الأمامية). وقد كسرها عتبة بن أبي وقاص الزهري.

* "فقال: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجّوْا نَبِيّهُمْ؟":

* هذه الكلمات تحمل ألم النبي صلى الله عليه وسلم وحزنه على قومه الذين آذوه. فلقد رأى في إيذائهم له ما يستوجب غضب الله عليهم. كان هذا القول من باب الشفقة على مصيرهم، وتمني هدايتهم، لا من باب الدعاء عليهم بالهلاك.

* فلاح: تعني النجاة والفوز في الدنيا والآخرة.

ن-زول الآية الكريمة

"فنزلت: لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ"

* السياق: هذه الآية نزلت لتُعلم النبي صلى الله عليه وسلم، وكل من بعده، أن الأمر كله لله وحده.

* "لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ":

* لَيْسَ لَكَ: أي يا محمد، يا رسول الله.

* مِنَ الأَمْرِ: أي من أمر الخلائق ومصيرهم.

* شَيْءٌ: أي حتى ولو كان شيئًا يسيرًا.

فالآية تؤكد أن مصير هؤلاء القوم ليس بيدك، يا محمد، بل هو بيد الله وحده. هو الذي يملك أن يتوب عليهم فيهديهم، أو أن يعذبهم.

وفيه: عن ابن عمرأنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللّهم العن فلانا وفلانا، بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ)الآية [آل عمران: ١٢٨].

الراوي هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهو من كبار الصحابة وفقهاء الأمة.

كان شديد الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حريصًا على سنته، وكان من المكثرين في رواية الحديث، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الأحكام والآداب.

"أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول"

هذه الصيغة تفيد أن ابن عمر نقل الحديث سماعًا مباشرًا من النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يزيد من قوة الرواية.

"إذا رفع رأسه من الركوع"

هذا تحديد لموضع القول في الصلاة. فالنبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الدعاء في حالة الاعتدال من الركوع، وهي اللحظة التي تلي الركوع مباشرة.

"في الركعة الأخيرة من الفجر"

هذا تحديد للوقت والصلاة التي قيل فيها هذا الدعاء. كان هذا في صلاة الصبح (الفجر)، في الركعة الأخيرة منها.

"اللّهم العن فلانا وفلانا"

* اللّهم العن: الدعاء باللعن، وهو الطرد من رحمة الله.

* فلانا وفلانا: كناية عن أشخاص بأعينهم، وهم من كبار قادة المشركين الذين آذوا المسلمين وقتلوا منهم في غزوة أحد. وقد جاء في روايات أخرى تسميتهم، وهم: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام.

"بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد"

هذا تأكيد على أن الدعاء باللعن لم يكن بدلًا من الذكر المشروع في

الاعتدال من الركوع، بل جاء بعده.

"فأنزل الله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ"

نزلت هذه الآية لتعليم النبي صلى الله عليه وسلم، والأمة من بعده، أن

الأمور كلها بيد الله. فالنبي صلى الله عليه وسلم، مع كل عظمته، لا يملك هداية الناس أو إضلالهم.

فالآية تؤكد أن مصير هؤلاء القوم ليس بيدك يا محمد، بل هو بيد الله وحده، فهو الذي يملك أن يتوب عليهم فيهديهم، أو أن يُعذبهم. وفي هذا تعليم عظيم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين أن الدعاء باللعن على المعينين ليس من شأن البشر، بل من شأن الله سبحانه وتعالى.

وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام "،فنزلت: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) [آل عمران : ١٢٨] .رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل

الراوي هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهو من الصحابة الكبار وأحد فقهاء المدينة السبعة. كان شديد المتابعة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يُعرف بورعه وزهده وحرصه على تطبيق السنن.

"يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام"

* هذه الرواية تحدد أسماء الأشخاص الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عليهم. كانوا من قادة قريش الذين شاركوا في غزوة أحد وكانوا من أشد المعادين للإسلام والمسلمين في ذلك الوقت.

* صفوان بن أمية: كان من كبار أشراف قريش، وعادًى الإسلام فترة طويلة.

* سهيل بن عمرو: كان خطيب قريش، وهو الذي تفاوض مع النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية.

* الحارث بن هشام: كان من سادة بني مخزوم، وهو أخو أبي جهل.

* هؤلاء الثلاثة كانوا رموزًا للعداء الشديد للإسلام.

"فنزلت: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ"

هذه الآية نزلت لتعليم النبي صلى الله عليه وسلم والأمة من بعده أن الأمر كله بيد الله وحده. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد لهم الهلاك بسبب إيذائهم الشديد، فأنزل الله هذه الآية ليُعلمه أن مصيرهم ليس بيده، بل بيد الله الذي قد يتوب عليهم.

فالآية تؤكد أن مصير هؤلاء القوم ليس بيدك يا محمد، بل هو بيد الله

وحده، فهو الذي يملك أن يتوب عليهم فيهديهم، أو أن يُعذبهم. وفي هذا تعليم عظيم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين أن الدعاء باللعن على المعينين ليس من شأن البشر، بل من شأن الله سبحانه وتعالى.

* قال الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه لهذا الحديث في "فتح الباري": "وفي الحديث جواز الدعاء على المشركين بصفة العموم، ولكن لا يُدعى على المعين إلا إذا دعت الضرورة لذلك، والأمر في النهاية لله".

* قال الإمام ابن تيمية: "هذه الآية تدل على أن الأنبياء لا يملكون من أمر الهداية شيئًا، فضلًا عن غيرهم".

* قال الإمام القرطبي: "إن الله تعالى عاتبه بهذه الآية، أي ليس لك أن تدعو عليهم باللعن، فإن الأمر لله وحده، وقد يُسلمون".

وفيه عن أبي هريرة، قال: قام فينا) [الله]" عليه : (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرِينَ) [الشعراء: ٢١٤] [صعد الصفا]"،فقال: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أو كلمة نحوها اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ ِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا .

الراوي هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، وهو من أشهر الصحابة وأكثرهم رواية للحديث. أسلم في السنة السابعة للهجرة، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم ملازمة تامة، مما جعله يحفظ عنه ما لم يحفظه غيره، حتى أصبح يُعرف بحافظ الأمة.

"لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)":

* "أنذر": فعل أمر بمعنى خوّف وحذّر.

* "عشيرتك الأقربين": هم أقارب النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وعبد المطلب. هذه الآية كانت بداية الدعوة العلنية بعد مرحلة الدعوة السرية.

"قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا":

* "الوقوف على الصفا": جبل صغير قرب الكعبة. كان العرب قديمًا إذا

أرادوا إخبار قومهم بأمر مهم، صعدوا على مكان مرتفع ليرتفع صوتهم ويسمعهم الجميع.

"يا معشر قريش أو كلمة نحوها"

* "معشر قريش": أي جماعة قريش، وهي القبيلة التي ينتمي إليها النبي صلى الله عليه وسلم.

* "أو كلمة نحوها": شك من الراوي في اللفظ، لكن المعنى واحد، وهو نداء يجمعهم.

"اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا"

* "اشتروا أنفسكم": أي أنقذوا أنفسكم من عذاب الله بالإيمان والطاعة.

* "لا أغني عنكم من الله شيئًا": هذه هي جوهر الرسالة. الرسول صلى الله عليه وسلم يوضح لهم أن نجاتهم ليست بيده، بل بأعمالهم الصالحة. هو نبي مرسل، لكن لا يملك نفعهم أو ضرهم عند الله إذا كفروا.

"يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا"

* العباس: هو عم النبي صلى الله عليه وسلم.

* التأكيد هنا على أنه حتى القرابة الشديدة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تُنجي صاحبها من عذاب الله إذا لم يؤمن.

"يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أغني عنك من الله شيئًا":

* صفية: هي عمة النبي صلى الله عليه وسلم وأخت حمزة بن عبد المطلب.

* نفس المعنى السابق، تأكيد على أن النسب وحده لا ينفع.

"ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئتِ، لا أغني عنك من الله شيئًا":

* فاطمة: هي أحب بناته إلى قلبه.

* "سليني من مالي ما شئتِ": هذا يدل على عظم محبته لها، فهو مستعد أن يعطيها أي شيء يملكه من مال الدنيا.

* "لا أغني عنك من الله شيئًا": هذا أقوى دليل على أن الشفاعة والنفع بيد الله وحده، وأنه حتى أحب الناس إليه لا يملك لها شيئًا من أمر النجاة في الآخرة.

باب قول اللّه تعَالَى :

}

حَتّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقّ وَهُوَ االعَلِي الكبير) [سبا : ٢٣].

"حَتّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ":

* فُزِّعَ: من الفزع والخوف. هذا يدل على أن الملائكة يصيبهم خوف وفزع شديد عند سماع صوت كلام اللّه بالوحي. صوت كلام اللّه ليس كأي صوت، بل هو صوت عظيم يُحيي في الملائكة الخوف والرهبة.

* عَن قُلُوبِهِمْ: أي أُزيل الفزع عن قلوبهم بعد أن غشيها. هذا يعني أن

الملائكة يصيبهم الفزع أولا ً، ثم يذهب عنهم، فيستقرون ليتلقوا الوحي.

"قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ":

* هذا الحوار يدور بين الملائكة أنفسهم. يسأل بعضهم بعضًا بعد زوال الفزع عنهم: "ماذا قال ربنا؟" وهذا يدل على شدة الموقف، وأنهم لم يستطيعوا استيعاب كلام اللّه في لحظته الأولى من شدة وقع الصوت.

* هذا السؤال ليس عن جهل، بل عن إعظام للموقف، وتأكيدًا لأهمية ما سمعوا.

"قَالُوا الحَقّ":

* هذا جواب الملائكة. هم يعلمون أن اللّه لا يقول إلا الحق. كلامه صدق وحكمة، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. هذا إقرار وتصديق من الملائكة بأن كلام اللّه هو الحق المطلق.

"وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ":

* هذه الجملة هي خاتمة الآية، وهي وصف لله تعالى يوضح السبب في فزع الملائكة وخضوعهم.

* العَلِيُّ: أي الذي لا يُعلى عليه أحد. هو أعلى من كل شيء في ذاته

وصفاته وقدرته. علو الذات، وعلو الشأن.

* الكبِيرُ: أي الذي له الكبرياء والعظمة والجلال. عظيم في ملكه، عظيم في أمره. لا تُدركه العقول، ولا تُحيط به الأوهام.

قال الإمام ابن تيمية: "هذه الآية تُثبت أن الله يتكلم إذا شاء، وأن

الملائكة تسمع كلامه، وتُثبت علو الله على خلقه".

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره: "هذه الآية تُبين أن الله يتكلم بالوحي، وأن الملائكة تسمع ذلك، ويحصل لهم الفزع من ذلك".

و في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ، قال : إذَا قضَى

اللّه ُ الأمْرَ فِي السّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأجْنِحَتِهَا خُضَعَانًا لِقَوْلِهِ، كأنّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ : حَتّى إذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ) (سبا: ٢٣)، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السّمْعَ - وَمُسْتَرِقُ السّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ، فَحَرّفَهَا وَبَدّدَ بَيْنَ أصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السّاحِرِ أوِ الكَاهِنِ، فَرُبّمَا أدْرَكَهُ الشّهَابُ قَبْلَ أنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبّمَا ألْقَاهَا قَبْلَ أنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أليْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا

وَكَذَا؟ فَيُصَدّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الّتِي سُمِعَتْ مِنَ السّمَاءِ .

الراوي هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الصحابي الجليل الذي أسلم في السنة السابعة للهجرة، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم، حتى أصبح من أكثر الصحابة رواية للحديث.

"إذَا قضَى اللّه ُ الأمْرَ فِي السّمَاءِ"

أي إذا أراد الله أن يتكلم بأمر من أمور الوحي أو القدر أو الشريعة.

"ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأجْنِحَتِهَا خُضَعَانًا لِقَوْلِهِ"

"خضعانًا" أي خضوعًا وتذللا ً. الملائكة تضرب بأجنحتها من شدة الخوف والرهبة من كلام الله، إظهارًا لخضوعها التام.

"كأنّهُ سِلسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ"

هذا تشبيه لصوت كلام الله العظيم. الصفوان هو الحجر الأملس. والصوت يشبه صوت السلسلة الثقيلة التي تُسحب على حجر صلب، وهو صوت قوي مهيب. هذا التشبيه يُقرب لنا عظمة صوت كلام الله الذي لا يمكن تصوره.

"يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ"

أي يصيبهم هذا الصوت بقوة، ويخترق قلوبهم من شدته.

"حَتّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ"

هذا الجزء هو من الآية القرآنية، وقد تم شرحه سابقًا، وهو يوضح أن

الملائكة يستردون وعيهم بعد الفزع، فيتساءلون عن كلام الله، فيُجيب بعضهم بعضًا بأنه الحق.

"فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ"

"مسترق السمع" هو الشيطان الذي يحاول التسلل إلى السماء للاستماع إلى أخبار الغيب.

"وَهُوَ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ، فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"

هذا وصف دقيق لكيفية وقوف الشياطين لاستراق السمع، فهم يقفون متراكبين فوق بعضهم البعض.

"فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ... حَتّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ":

هذا يبين آلية نقل الكلمة من السماء إلى الأرض. فكل شيطان يُلقي الكلمة إلى من هو تحته، حتى تصل في النهاية إلى الكاهن أو الساحر.

"فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا... وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ":

"الشهاب" هو النجم الذي يُطلق على الشيطان الذي يسترق السمع. وهذا يوضح أن الشياطين لا ينجحون دائمًا في إيصال الكلمة، وقد يُحرقون قبل

ذلك.

"فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ"

هذا يوضح أن الكاهن أو الساحر لا يكتفي بالكلمة التي سمعها، بل يخلطها بالعديد من الأكاذيب ليُغطي على أصله الشيطاني ويُوهم الناس بصدقه.

"فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا... فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ"

هذا هو السبب الذي يجعل الناس يُصدّقون الكهنة. فهم يرون أنهم قالوا كلمة صدقت، فيُصدقونهم في كل أكاذيبهم.

وعن النواس بن سمعان، قال: قال رسول الله صلى الله : إِذَا أَرَادَ اللهُ تعالى أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ تكلَّمَ بِالوَحْيِ، أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ، أَوْ قَالَ: رَعْدَةٌ شَدِيدَةٌ خَوْفًا مِنَ اللهِ ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى المَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَ بِسَمَاءٍ ، سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا : مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ : قَالَ الحَقَّ ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ. فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ .

الراوي هو النواس بن سمعان الكلابي، صحابي جليل، كان من أهل الشام، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث مهمة في الفتن والوحي.

"إِذَا أَرَادَ اللهُ تعالى أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ تكلَّمَ بِالوَحْيِ"

هذا تأكيد على أن الله يتكلم بالوحي.

"أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ، أَوْ قَالَ: رَعْدَةٌ شَدِيدَةٌ خَوْفًا مِنَ اللهِ "

"الرجفة" و"الرعدة" تعنيان الاهتزاز الشديد. السماوات نفسها تهتز من عظمة كلام الله.

"فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا لِلهِ سُجَّدًا"

"صَعِقُوا" أي غُشي عليهم من شدة هول الصوت. هذا يدل على عظمة الله وجلاله. ثم يسجدون خضوعًا له.

"فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ"

جبريل هو أمين الوحي، وهو أشد الملائكة قربًا من الله، لذلك هو أول من يُفيق من الصعق.

"فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ"

هذا تأكيد على أن الله يُكلم جبريل مباشرة.

"ثُمّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى المَلَائِكَةِ... فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ"

جبريل يُبلغ الملائكة بما سمعه، فيُصدقونه جميعًا ويُقرون بأنه الحق.

باب الشفاعة

وقول الله : وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ، وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ [الأنعام : ٥١].

تأمر الآية النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم بأن يُنذر القرآن الكريم (الضمير "به" يعود على القرآن). وهذا الإنذار موجّه بشكل خاص إلى فئة من الناس لديهم صفات معينة، وهم:

الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربهم: هؤلاء هم المؤمنون الصادقون الذين يوقنون بيوم القيامة والبعث والحساب. خوفهم ليس خوف يأس، بل هو خوف توقير وتعظيم لله تعالى، ويدفعهم للعمل الصالح.

ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع: أي أنهم يدركون تمام الإدراك أنه لا يوجد في ذلك اليوم من يتولى أمرهم وينصرهم، أو يشفع لهم إلا بإذن الله. وهذا الشعور بالوحدة والعجز أمام عظمة الله يزيد من خوفهم ورغبتهم في التقرب إليه.

الهدف من هذا الإنذار واضح في نهاية الآية: "لعلهم يتقون". أي لعل هذا

الإنذار يثبتهم على التقوى، وهي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه، ويكون دافعًا لهم للاستمرار في طريق الإيمان والصلاح.

وقوله تعالى] : قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] [الزمر : ٤٤].

هذه الآية تتناول قضية الشفاعة، وهي موضوع مهم في العقيدة الإسلامية. وتلخّص الآية حقيقة أساسية في ثلاثة أجزاء متكاملة:

- {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}: يأمر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يُعلن للناس أن الشفاعة كلها لله وحده. وهذا يعني أن أي شفاعة، سواء كانت من الأنبياء أو الملائكة أو الصالحين، لا تحدث إلا بإذن الله ورضاه.

لا يملك أحد الشفاعة بذاته، بل هي ملك لله يمنحها لمن يشاء من عباده الصالحين، ويأذن لهم بالشفاعة لمن ارتضى من خلقه. وهذا يُبطل أي اعتقاد

بأن هناك من يملك الشفاعة استقلالًا عن إذن الله.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: هذا الجزء هو بمثابة دليل وبرهان على الجزء الأول. فبما أن الله هو المالك المطلق للكون كله، وهو المهيمن على كل شيء، فإن ملكية الشفاعة له وحده هي أمر منطقي وضروري. لا يصح أن يملك أحدٌ جزءًا من الشفاعة في ملكٍ لا يملكه، والملك كله لله.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: هذا الجزء يُذكّر بالغاية النهائية، وهي العودة إلى الله يوم القيامة للحساب. وفي ذلك اليوم، لن ينفع أحدٌ إلا ما قدم من عمل

صالح، ولن يُرجى نفعٌ من الشفاعة إلا لمن أذن له الله بها ورضي عنه. وهذا يربط بين حقيقة ملكية الشفاعة لله، وضرورة العمل الصالح استعدادًا ليوم الحساب.

وقوله تعالى: مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ [البقرة : ٢٥٥].

هذه الآية تُقرر قاعدة عظيمة في باب التوحيد، وهي: لا شفاعة لأحد عند الله إلا بإذنه.

"مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ" ليست سؤالا ً ينتظر جوابًا، بل هي استفهام إنكاري بمعنى النفي. أي: لا أحد يمكنه أن يشفع عند الله أبدًا، إلا إذا أذن الله له بذلك. وهذا يبطل أي زعم بأن هناك من يملك الشفاعة بذاته أو يستطيع أن يشفع دون إذن الله.

فالآية تبين عظمة الله المطلقة وهيمنته على كل شيء. فالله هو المالك لكل شيء، وهو الحي القيوم الذي لا يعتريه ضعف أو نوم، فكيف يجرؤ أحد على الشفاعة لديه دون إذنه؟ هذا الإذن ليس أمرًا شكليًا، بل هو قرار منه سبحانه وتعالى.

والشفاعة في الإسلام لا تكون إلا بشروط، أهمها:

* إذن الله للشافع: فلا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له بالكلام.

* رضا الله عن المشفوع له: أي أن الشخص الذي ستتم الشفاعة له يجب أن يكون من أهل التوحيد، وليس من المشركين أو الكافرين.

وقوله تعالى : (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ

بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى) [النجم : ٢٦).

تتحدث هذه الآية عن حقيقة الشفاعة وتُبطل أي تصور خاطئ عنها، مُركزة على حال الملائكة، وهم من أعظم وأقرب خلق الله.

. ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾: تبدأ الآية بأسلوب "كم الخبرية" التي تفيد الكثرة. أي أن عددًا كبيرًا من الملائكة العظماء الذين يسكنون السماوات، ولهم من المكانة والقرب من الله ما لا يخطر على بال أحد، لا يملكون الشفاعة استقلالًا. وهذا دليل على أن من هم أقل منهم مكانة (مثل الأنبياء والصالحين) هم أحرى بأن لا يملكوها.

﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾: تؤكد الآية أن شفاعة هؤلاء الملائكة لا تُقدم أو تؤخر شيئًا، فهي عديمة الفائدة إن لم يأذن الله بها. وهذا يُبين بوضوح أن الشفاعة ليست حقًا مكتسبًا لأحد، بل هي منحة إلهية خالصة.

﴿إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾: هذا هو الاستثناء الذي يُوضح القاعدة. لا تكون الشفاعة نافعة إلا بعد تحقق شرطين أساسيين:

إذن الله للشافع: أي أن يرضى الله عن هذا المَلك ويأذن له بالشفاعة.

رضا الله عن المشفوع له: أي أن يرضى الله عن الشخص الذي ستُقدم له الشفاعة، ويكون من أهل التوحيد الذين ماتوا عليه.

وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ [حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ] [سبا: ٢٢-٢٣].

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾. أي: ادعوا أولئك الذين ادعيتم أنهم آلهة أو شركاء لله، أو أن لهم مكانة تُعطيهم حق الشفاعة. ثم تتبع الآية ببيان سبب بطلان عبادتهم، وهو أن هذه المعبودات المزعومة:

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: لا يملكون أدنى شيء، ولا حتى وزن الذرة الواحدة، سواء في السماوات أو في الأرض. فمن لا يملك شيئًا، كيف يُعبد أو يُدعى؟

﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾: ليس لهم أي نصيب في مُلك الله، لا شركة ولا شراكة، لا في السماوات ولا في الأرض. فليس لهم أي حق في التصرف أو الملكية.

﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾:

الله لا يحتاج إلى عون من أحد، فهو القوي المطلق. فلا أحد يُعاون الله أو يُسانده في ملكه وتدبيره لشؤون الكون. فمن لا يملك شيئًا ولا يُشارك في الملك ولا يُعين الله، كيف يُدعى من دونه؟

بعد ذلك، تُنتقل الآية إلى موضوع الشفاعة، وهو أحد أهم الأسباب التي يتعلّق بها المشركون:

﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾:

تُؤكد الآية أنه حتى الشفاعة، وهي مما يظن المشركون أنها تنفعهم، لا تُقدّم أو تُقبل إلا بشرط واحد: أن يأذن الله للشافع. فليس لأحد سلطان على الله ليُشفع عنده، بل الشفاعة كلها مُعلّقة بإرادته ومشيئته سبحانه.

ثم تُختم الآيات بوصف مشهد عظيم يوم القيامة أو في السماء، حينما يتكلم الله بالوحي:

﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾:

عندما يُنزل الله الوحي، يُصيب الملائكة خوف شديد وفزع من عظمة

كلامه، حتى إذا ذهب عنهم ذلك الفزع، يسأل بعضهم بعضًا: "ماذا قال ربكم؟ " فيُجيبون بالقول: "قال الحق".

وهذا يُؤكد أن كلام الله حق وصدق. ثم تُختم الآية بصفة "العلي الكبير"، وهي صفة تُناسب السياق وتُعظّم من شأنه، فهو فوق كل شيء، وكلامه حق عظيم لا يجرؤ أحد على الشفاعة عنده إلا بعد إذنه.

قال أبو العباس ابن تيمية] : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به

المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى ": ولا

يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) [الأنبياء : ٢٨]، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن، وأخبر النبيُ : أنّهُ يَأْنِ فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ - [و] لا يبدأ بالشفاعة أولا - ثمّ يُقَالُ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعَ

وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ .

وقال له أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال :

مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ » .

الراوي هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، يُعرف بكنيته "أبو هريرة". أسلم في السنة السابعة للهجرة، وكان من أكثر الصحابة ملازمةً للنبي صلى الله عليه وسلم، حتى قال عن نفسه: "لزمت رسول الله صلى الله عليه وسلم لبطني"، وذلك لأنه كان فقيرًا، فكان يتبعه ليأخذ من علمه وينال من زاده.

يُعدّ أبو هريرة أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي، وذلك بسبب ملازمته الطويلة للنبي صلى الله عليه وسلم، وحسن حفظه ودعاء النبي له بالبركة في حفظه،

من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله

يسأل أبو هريرة سؤالًا دقيقًا عن من هم أكثر الناس حظًا وسعادة بنيل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة. وهذا السؤال ليس عن مجرد من يُشفع له، بل عن من "أسعد" الناس بها، مما يدل على أنهم أهل الفضل والمنزلة.

يُجيب النبي صلى الله عليه وسلم بجواب جامع مانع، يضع الشرط

الأساسي لنيل الشفاعة. إنه ليس مجرد التلفظ بالشهادة، بل هو: "مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ".

"خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ"

هذه الكلمة هي مفتاح الحديث. فهي لا تعني مجرد قول اللسان، بل تعني أن تكون هذه الشهادة نابعة من القلب بصدق وإيمان تام، بحيث لا يشارك الله في العبادة أحدًا غيره. هذا الإخلاص ينفي عن صاحبه كل صور الشرك، الأكبر والأصغر، والرياء.

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص، بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله .

[وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها من]" شرك، فتلك منفية

مطلقا) ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع كثيرة"، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . اهـ كلامه " [رحمه الله تعالى]"

بَاب قَوْلُ اللّه تعَالَى :

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [القصص : ٥٦].

تؤكد الآية أن النبي صلى اللّه عليه وسلم لم يكن يملك هداية التوفيق لأحبّ الناس إليه، وهو عمّه أبو طالب، على الرغم من شدة حرصه على إسلامه. هذا يُبيّن أن الإيمان ليس مجرد قرار عقلي أو عاطفي، بل هو منّة إلهية خالصة.

{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}:

هذا الخطاب موجه للنبي صلى اللّه عليه وسلم، وهو يُعلّمه ويُعَلّم أمته أن محبة الخير لشخص ما والحرص على هدايته لا تكفي لجعل قلبه يُؤمن. فالهداية بيد اللّه.

{وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ}:

هذا الجزء يُقرّر حقيقة مطلقة، وهي أن الهداية هي مشيئة اللّه وحده. ومشيئته لا تُخالف حكمته وعدله، فهو يهدي من يعلم أن فيه خيرًا وقابلية للهداية.

{وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}:

هذه الجملة تُوضّح سبب مشيئة اللّه، وهي أنه سبحانه وتعالى أعلم بمن يستحق الهداية وبمن لا يستحقها. فهو يعلم من في قلبه خير، ومن هو مستعد لتقبل الحق والعمل به، ومن لا يستعد لذلك.

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "أي: لا تملك يا محمد هداية من أحببته، وإنما لك البلاغ، واللّه يضل من يشاء ويهدي من يشاء".

ويقول الإمام الطبري: "وإنما الهداية بيد اللّه عز وجل، لا بيد أحد من خلقه".

و في الصحيح عن ابن المسيب"، عن أبيه "، قال: لما حَضَرَتْ أبا طالب

الوفاة، جاءه رسول الله ، وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: يَا عَمِّ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه ُ، كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّه، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الأ َسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ .

فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ] الآية [التوبة : ١١٣].

وأنزل الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [القصص : ٥٦].

الراوي سعيد بن المسيّب: هو أبو محمد، سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي. يُعتبر سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة في المدينة المنورة. وُلد في خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي سنة 94 هجرية. كان من أشدّ الناس تمسكًا بالسنة، وأفقههم في الدين.

* أبيه: هو المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، صحابي جليل أسلم بعد صلح الحديبية.

لماحضرت أبا طالب الوفاة

هذه العبارة تشير إلى أن القصة حدثت في لحظات أبي طالب الأخيرة، وهو ما يُظهر مدى حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إنقاذه من النار في آخر فرصة ممكنة. هذا الموقف يُبيّن أن النبي لم يفقد الأمل في هداية عمه حتى الرمق الأخير.

جاءه رسول الله ، وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل}

* عبد الله بن أبي أمية: هو أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. كان من أشدّ المشركين عداوةً للنبي، وقد أسلم لاحقًا يوم الفتح وحسن إسلامه.

* أبو جهل: هو عمرو بن هشام، أحد كبار سادة قريش، وأشدّ الناس عداوة للإسلام والمسلمين. كان يُلقب بـ"فرعون هذه الأمة".

وجود هذين الشخصين في هذا الموقف الحرج يُبيّن أن صراع الإيمان

والكفر كان حاضرًا حتى في لحظة الموت. لقد كانا حريصين على أن يبقى أبو طالب على كفره، خوفًا من أن يكون موته على الإسلام فضيحة لقريش.

يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله

هذا هو الجوهر الذي أراده النبي صلى الله عليه وسلم.

لا إله إلا الله: هي كلمة التوحيد التي هي أساس الإسلام، وهي مفتاح الجنة. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة". [صحيح أبي داود]

كلمة أحاجّ لك بها عند الله: هذه العبارة تُظهر عمق محبة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه، ورغبته الشديدة في أن ينجو من العذاب. فشهادة التوحيد هي الحجة القاطعة التي تُنجي صاحبها يوم القيامة.

فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟

هذا السؤال هو تعبير عن الكبر والتعصب الأعمى. لقد استخدموا عاطفة

أبي طالب تجاه آبائه وأجداده ليمنعوه من النطق بالشهادة. وهذا يُبيّن أن التعلق بالآباء على غير هدى يُعدّ عائقًا كبيرًا أمام الهداية.

قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [لقمان: 21].

فأعاد عليه النبي ، فأعادا

هذا الموقف يُصوّر صراعًا بين الحق والباطل في أشدّ لحظات الإنسان ضعفًا. النبي يُجدّد دعوته بالحسنى، وهما يُجدّدان إغواءهما. هذا يُؤكّد أن الهداية ليست مجرد نطق باللسان، بل هي توفيق من الله وتطهير للقلب.

فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله

هذه العبارة هي الخاتمة المؤلمة لقصة أبي طالب. لقد اختار التمسك بعصبية الآباء على حساب الحقيقة، وتغلب عليه العناد. هذا يُبيّن أن الإنسان حر في اختياره، ولكن اختياره يترتب عليه نتائج عظيمة في الدنيا والآخرة.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك

هذا التعبير يدل على شدة حزن النبي صلى الله عليه وسلم على عمه، ورغبته في فعل أي شيء لصالحه. لقد ظنّ أن الاستغفار له قد يُنجيه.

فأنزل الله:{ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ...} [التوبة: 113]

هذه الآية حسمت الأمر، ووضعت حدًا فاصلًا بين المؤمنين والمشركين. لا يجوز للمؤمن أن يستغفر لمشرك مات على كفره، حتى لو كان قريبًا له. هذا يُعلّمنا أن الولاء والبراء في الإسلام يكون على أساس العقيدة لا على أساس القرابة.

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: "هذه الآية الكريمة نزلت في شأن أبي طالب، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: 'لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك'، فنزلت هذه الآية".

وأنزل الله في أبي طالب:{ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...} [القصص: 56]

هذه الآية تُعتبر الخلاصة الكاملة للقصة. لقد بيّنت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يملك هداية التوفيق، وأن هذه الهداية بيد الله وحده.

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: "وإنما الهداية بيد الله عز وجل، لا بيد أحد من خلقه، حتى لو كان نبيًا ورسولًا."

باب مَا جَاءَ أَن سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُو فِي الصَّالِحِينَ

وقول الله : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} [النساء: 171].

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

الخطاب موجّه في الأساس إلى اليهود والنصارى، والآية تُخاطبهم بوصفهم "أهل الكتاب" إشارة إلى أن لديهم أصلًا سماويًا (التوراة والإنجيل)، لكنهم انحرفوا عنه. هذا النداء يُعتبر دعوةً لهم للعودة إلى الحق الذي في كتبهم

الأصلية، قبل تحريفها.

لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ

الغلوّ: هو تجاوز الحدّ المشروع في الاعتقاد أو العمل.

هذا التحذير يُقصد به في المقام الأول النصارى، الذين غلوا في المسيح حتى رفعوه من مرتبة النبوة والرسالة إلى مرتبة الألوهية، وجعلوه ابنًا لله، أو إلهًا.

أصل الغلو: هو الانحراف عن الوسطية التي هي سمة الإسلام.

اليهود غلوا في أنبيائهم بالتقصير والإهانة، فمنهم من قتلهم.

النصارى غلوا في أنبيائهم برفعهم فوق منزلتهم، فمنهم من اتخذ عيسى إلهًا، وبعضهم اتخذ مريم إلهًا.

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: "ينهاهم عن الغلو والإفراط فيمن أحبوه من الأنبياء والصالحين... وهو كقوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ} [المائدة: 77]".

وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ

هذا النهي يُكمّل النهي عن الغلوّ، فمن غلا في شخص، فقد قال على الله غير

الحق. الحقّ هو التوحيد الخالص لله، وتنزيهه عن كل نقص أو شريك.

الباطل في هذه الآية: هو قول النصارى بأن لله ولدًا، وأن عيسى هو ابن الله.

الحق في هذه الآية: هو أن الله واحد أحد، لم يلد ولم يولد.

إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

{إنما}: أداة حصر تُفيد أن حقيقة المسيح هي ما سيأتي بعدها فقط.

{المسيح عيسى ابن مريم}: تسميته بـ "ابن مريم" فيها ردّ واضح على من ادعى أنه ابن الله. هذه النسبة إلى أمه تُذكّر بأنه إنسان وُلِد من امرأة، وأن الله هو الذي خلقه.

رَسُولُ اللهِ

هذا هو الوصف الأول والحقيقي للمسيح عليه السلام.

عيسى هو نبيّ ورسول أُرسل إلى بني إسرائيل.

هذا يُثبت أن منزلته هي منزلة العبودية والرسالة، لا الألوهية.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: " لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله".

وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ

{وكلمته}: هذا اللفظ يُشير إلى أن عيسى عليه السلام خُلِقَ بكلمة "كن" من الله، وليس بوالد.

يقول تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: 59]. فاللّٰه خلق آدم بلا أب ولا أم، وخلق حواء من أب بلا أم، وخلق عيسى من أم بلا أب.

{أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ}: أي أن الله أرسل جبريل عليه السلام بالكلمة إلى مريم، فتكوّن عيسى عليه السلام بإذن الله.

وَرُوحٌ مِنْهُ

هذا اللفظ من أكثر ما التبس على النصارى، فظنوا أن "روح منه" تعني أنه جزء من الله.

ولكن "منه" هنا ليست للتبعيض (أي جزء من الله)، بل هي للابتداء أو

الاختصاص والتشريف.

فالمعنى أن عيسى روح خلقه الله، وأضافه لنفسه على سبيل التشريف، كما يُقال: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ}

[الجاثية: 13].

فكل ما في الكون هو من الله، لكن ليس جزءًا منه.

الروح هنا هي روح مخلوقة من الله، مثل سائر الأرواح.

يقول الإمام ابن كثير: "وقوله: {وَرُوحٌ مِنْهُ} أي: أحد الأرواح التي خلقها، وأضيف إليه تشريفًا وتكريمًا، كما أضيف إليه البيت والناقة".

في الصحيح عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا] [نوح: ٢٣] قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم " تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونسي العلم، عبدت"

الراوي هو أبو العباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنوات. يُلقب بـ "حَبر الأمة" و "ترجمان القرآن"، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل". [رواه البخاري] كان من أكثر الصحابة علمًا وفهمًا للقرآن والسنة، وتوفي في الطائف سنة 68 هجرية.

وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ

هذا القول هو حكاية الله عز وجل لكلام قوم نوح، الذي قالوه لأنفسهم تحريضًا على البقاء على الشرك.

{لَا تَذَرُنَّ}: أي لا تتركنّ.

آلِهَتَكُمْ: أي معبوداتكم التي تعبدونها من دون اللّه.

وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا

هذه هي أسماء المعبودات التي ذكرها اللّه تعالى في سورة نوح.

هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح

هذا هو جوهر القصة الذي يرويه ابن عباس رضي اللّه عنهما.

الأسماء الخمسة (ود، سواع، يغوث، يعوق، نسر) لم تكن في الأصل أصنامًا، بل كانت أسماء لأشخاص صالحين.

هذا يُبيّن أن الشرك لم يبدأ بعبادة الأصنام مباشرةً، بل بدأ بتعظيم الصالحين.

فلما هلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم

فلما هلكوا: أي مات هؤلاء الرجال الصالحون.

أوحى الشيطان: ليس وحيًا بمعنى الوحي الإلهي، بل هو إلقاء في النفس ووسوسة، كما قال تعالى: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ} [الأنعام: 121].

أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم

انصبوا: أي أقيموا.

أنصابًا: هي حجارة أو تماثيل، والمقصود بها تذكير الناس بهؤلاء الصالحين.

كانت وسوسة الشيطان في البكرة، بأن هذه الأنصاب ستُعينهم على العبادة ، وتُذكّرهم بهؤلاء الصالحين حتى يتشبّهوا بهم.

ففعلوا، ولم تُعبد

هذه النقطة تُوضّح أن الجيل الأول الذي قام بنصب الأنصاب لم يقع في الشرك.

كانت نيتهم في البداية هي مجرد التذكر والتعظيم.

حتى إذا هلك أولئك، ونسي العلم، عُبدت

هلك أولئك: أي مات الجيل الأول الذي كان يعلم حقيقة الأمر.

ونسي العلم: هذه هي النقطة المفصلية في القصة. العلم هو الذي كان يحمي الناس من الشرك، فلما مات أهل العلم ونسي الناس الغاية الأصلية من هذه الأنصاب، جاء جيل جديد لا يعرف حقيقتها.

عُبدت: عندها تحولت هذه الأنصاب من مجرد رموز للتذكير إلى آلهة تُعبد من دون الله.

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف": لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم. "

وعن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تُطرُونِي كمَا أطْرَتِ النّصَارَى عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، إنّمَا أنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ الله ِ وَرَسُولُهُ». أخرجاه.

الراوي هو أبو حفص، عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. عُرف بشدته في الحق، وعدله، وفقهه، وقوته. كان يلقب بـ "الفاروق" لأن الله فرّق به بين الحق والباطل. توفي شهيدًا سنة 23 هجرية.

لا تُطرُونِي

الإطراء: هو المبالغة في المدح والثناء، والزيادة في الثناء على الحدّ الذي يستحقه الممدوح.

هذا نهي صريح من النبي صلى الله عليه وسلم لأمته عن المبالغة في مدحه، خوفًا من أن يؤدي ذلك إلى وقوعهم في الشرك.

هذا النهي يُظهر تواضع النبي صلى الله عليه وسلم، وحرصه الشديد على حماية التوحيد.

كمَا أطْرَتِ النّصَارَى عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

هذا هو السبب والعلة في النهي.

النصارى غلوا في عيسى عليه السلام حتى رفعوه فوق مرتبة النبوة

والرسالة، فمنهم من ادعى أنه ابن الله، ومنهم من قال إنه ثالث ثلاثة.

هذا الغلوّ هو الذي أوقعهم في الشرك الأكبر، كما قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة: 72].

إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ

{إنما}: أداة حصر تفيد أن حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم هي ما سيأتي بعدها فقط.

{أنا عبدٌ}: هذا هو الأساس والمحور الذي بُني عليه الحديث. النبي صلى الله عليه وسلم يُعرّف نفسه بصفته الأسمى والأشرف، وهي العبودية لله

عز وجل.

العبودية لله هي أعلى منزلة يمكن أن يصل إليها الإنسان. وقد وصف الله تعالى نبيه بهذه الصفة في مواضع الشرف، مثل ليلة الإسراء والمعراج: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى}

[الإسراء: 1].

فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ

هذا هو التوجيه النبوي الواضح لأمته.

يجب أن نصف النبي صلى الله عليه وسلم بالوصف الصحيح الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

وصفه بـ "عبد الله" يُنفى عنه الألوهية، ويُثبت أنه بشر مخلوق.

وصفه بـ "رسوله" يُنفى عنه صفات النقص، ويُثبت أنه نبيّ مُرسل من عند الله، وأن له منزلة عظيمة ليست كمنزلة البشر العاديين

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَ؛ فَإِنَّهَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَ

الراوي هو أبو العباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي

صلى الله عليه وسلم، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنوات. يُلقب بـ "حبر الأمة" و "ترجمان القرآن"، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اللّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل". [رواه البخاري] كان من أكثر الصحابة علمًا وفهمًا للقرآن والسنة، وتوفي في الطائف سنة 68 هجرية.

إِيَّاكُمْ

هذه الكلمة هي أداة تحذير وتنفير. تعني: "احذروا" أو "ابتعدوا عن".

إنها تُفيد التحذير الشديد من الشيء المذكور بعدها، وهو الغلو.

وَالْغُلُوّ

الغلو: هو تجاوز الحدّ والاعتدال في أي أمر من أمور الدين، سواء كان في

الاعتقاد أو العبادة أو التعامل مع الأنبياء والصالحين.

هو الزيادة على ما شرعه الله ورسوله، أو التقصير في ذلك.

والغلو في الدين يُمكن أن يكون في:

الاعتقاد: كأن يُنسب لأحدٍ من الأنبياء أو الصالحين صفة الألوهية، أو يُعبد من دون الله.

العبادة: كأن يُتعبد بغير ما شرعه الله، أو يُزيد على العبادات المشروعة.

الأحكام: كالتشدد في غير محله أو الإفراط في الورع الذي يُؤدي إلى تضييع السنن.

فَإِنَّهَا

هذه الكلمة تُعدّ تعليلًا للنهي عن الغلو.

والهاء هنا يُقصد بها "هذه الخصلة" أو "هذه الطريقة".

أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ

الإهلاك: ليس مجرد الموت، بل هو الهلاك في الدين والدنيا، والبعد عن الحق، والوقوع في الضلال والشرك.

مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ: أي الأمم السابقة من اليهود والنصارى.

يُبيّن الحديث أن الغلو ليس آفة جديدة، بل هو سبب هلاك الأمم السابقة. فقد غلت اليهود في بعض الأنبياء حتى قتلوهم، وغلت النصارى في عيسى عليه السلام حتى عبدوه.

والمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ ، قالهاثلاثا.

الراوي هو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن مسعود الهذلي، من السابقين الأولين في الإسلام، وأحد كبار فقهاء الصحابة. كان أول من جهر بالقرآن في مكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أقرب الصحابة إلى النبي، حتى قيل: "إذا أراد أن يرى أحد من الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم أقرب الناس إليه في هديه وسمته ودله، فلينظر إلى ابن مسعود".

توفي بالمدينة سنة 32 هجرية.

هَلَكَ الهلاك: هو الفناء والدمار، وهو هنا ليس مجرد الموت، بل هو الهلاك في الدين، والوقوع في الضلال والبدعة، والبعد عن الصراط المستقيم.

المُتَنَطِّعُونَ

التنطُّع: هو التكلُّف والتشدُّد في غير موضعه.وهو يشمل عدة أمور:

* التشدد في العبادة: كزيادة على ما شرعه الله ورسوله، أو الخروج عن الاعتدال في الطهارة أو الصلاة أو غيرها.

* التشدد في الكلام: كالتفصح الزائد والتعمق في الكلام، أو التقعر فيه.

* التشدد في المسائل العلمية: كالتكلف في طرح الأسئلة، أو الخوض في المسائل التي لم يأذن بها الشرع، أو التي لا فائدة منها.

قالها ثلاثًا

* تكرار النبي صلى الله عليه وسلم للتحذير ثلاث مرات يدل على شدة الأمر وخطورته، وعلى حرصه على أن يصل التحذير إلى أمته بشكل قاطع.

باب ما جاء | من التغليظ فِيمَنْ عَبَدَ اللّٰه ُ عِنْدَ قَبْرِ رَجُل صَالِحٍ

فكيْفَ إِذَا عَبدَهُ [عند قبر غيره | "؟!

في الصحيح عن عائشة [، أن أمْ سَلَمَةَ ذَكرَتْ لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم كنِيسَةٌ رَأَتْها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال: «أُولئِكِ، إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرّجُلُ الصّالِحُ، أوِ العَبْدُ الصّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصّوَرَ، أُولئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللّٰه ِ [يَوْمَ القِيَامَةِ .

فهؤلاء جمعوا بين [فتنتين] : فتنة القبور، وفتنة التماثيل . "

الراوية أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي اللّٰه عنها): هي زوجة النبي صلى اللّٰه عليه وسلم وأحب نسائه إليه، من أكثر الصحابة رواية للحديث، فقيهة، عالمة، ومرجع الصحابة في كثير من المسائل.

والرواية الأخرى هي أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية (رضي اللّٰه عنها): هي إحدى زوجات النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، هاجرت إلى الحبشة

والمدينة، وكانت من ذوات العقل والحكمة، ولها روايات كثيرة عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم.

"ذكرت لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم كنِيسَةٌ رَأَتْها بأرض الحبشة":
الكنيسة هي مكان عبادة النصارى، وذكرها هنا ليس للإشادة بها، بل لبيان ما فيها من منكرات، وهو ما يدل على أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم كان مهتمًا بما يراه أصحابه من أحوال الأمم الأخرى ليصحح المفاهيم الخاطئة.

"وما فيها من الصور": الصور المقصودة هنا هي التماثيل والرسومات التي كانت في الكنيسة، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة تنهى عن التصوير الذي فيه محاكاة لخلق اللّٰه من ذوات الأرواح، وتحذير النبي صلى اللّٰه عليه وسلم من ذلك كان لقطع الطريق أمام كل ما يؤدي إلى الشرك وعبادة غير اللّٰه.

"أُولئِكِ، إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرّجُلُ الصّالِحُ، أوِ العَبْدُ الصّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا":

هذا هو الشاهد من الحديث، وفيه تحذير من اتخاذ قبور الصالحين مساجد. وهذا الفعل هو بداية الانحراف في عقائد الأمم السابقة، فالشيطان يتدرج

بالإنسان، فبدأ بتعظيم الصالحين بعد موتهم، ثم بناء المساجد على قبورهم، ثم تحول الأمر إلى عبادة هذه القبور من دون الله. وهذا ما حدث لقوم نوح، كما جاء في قوله تعالى: "وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا" (سورة نوح، الآية 23)، فقد كانوا أسماء لرجال

صالحين، فلما ماتوا صوروا تماثيل لهم، ثم عبدوهم من دون الله.

"وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ"

أي أنهم جمعوا بين بناء المسجد على القبر وتصوير التماثيل. وهذا الفعل يؤدي إلى فتنتين عظيمتين:

* فتنة القبور: وهي اتخاذها محلًا للعبادة، مما يؤدي إلى الشرك الأكبر.

* فتنة التماثيل: وهي تعظيم الصور والتماثيل، مما قد يؤدي إلى عبادتها أيضًا.

"أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ":

هذا الوصف من النبي صلى الله عليه وسلم يدل على عظم هذا الذنب وخطورته. فوصفهم بأنهم "شرار الخلق" ليس بالوصف الهين، بل هو تأكيد على أن هذا الفعل من أكبر الكبائر. وقد جاء في حديث جندب بن عبد الله البجلي قال: "سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس يقول: إنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد،

ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك" (صحيح مسلم).

ولهما عنها، قالت: لما نزل برسول الله ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بها كشفها فقال وهو كذلك: لَعْنَةُ اللهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا، أخرجاه.

الراوية هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنها): هي زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وأحب نسائه إليه، وابنة أحب الرجال

إليه. كانت من أفقه نساء الأمة وأعلمهن بالقرآن والسنة، وقد روى عنها الصحابة والتابعون الكثير من الأحاديث، فكانت مرجعاً لهم في المسائل الشرعية، وخاصة ما يتعلق بحياة النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة.

"لما نزل برسول الله":

أي لما حضرته الوفاة، واشتد به المرض الذي مات فيه صلى الله عليه وسلم. وهذا التوقيت بالغ الأهمية، فهو يدل على أن هذا الأمر كان من آخر وصاياه وأهمها.

"طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ":

"طفِقَ" بمعنى بدأ، و**"حميصة"** هي كساء أسود مربع، وقيل هو كساء من صوف مخطط. وهذا يدل على شدة المرض والألم الذي كان يعاني منه النبي صلى الله عليه وسلم، مما جعله يغطي وجهه.

"فَإِذَا اغْتَمّ بها كشفها":

أي إذا ضاق به النفس واشتد به الكرب بسبب تغطية وجهه، كشفها. وهذا الموقف يظهر شدة سكرات الموت، ومع ذلك لم ينسَ النبي صلى الله عليه وسلم أمته من التحذير.

"فقال وهو كذلك: لَعْنَةُ اللهُ عَلَى اليَهُودِ وَالنّصَارَى اتخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"

هذا هو الشاهد من الحديث، حيث يوجه النبي صلى الله عليه وسلم اللعنة على اليهود والنصارى لسبب محدد وهو "اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد".

* اللعن: هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، وهو دليل على أن هذا الفعل من كبائر الذنوب.

* السبب: هو تعظيم قبور الأنبياء والصالحين لدرجة أنهم جعلوها مساجد، يصلون عندها ويقصدونها للعبادة، وهذا هو عين الشرك. والسبب في كون هذا الفعل من الشرك الأكبر هو أنه يفتح باباً واسعاً للغلو في الصالحين، وقد يؤدي إلى عبادة القبور وأصحابها من دون الله تعالى.

"يُحَذّرُ مَا صَنَعُوا":

هذه الجملة هي تفسير من عائشة (رضي الله عنها) لسبب كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فهو لم يلعنهم لمجرد اللعن، بل أراد أن يحذر أمته مما فعلوه من الغلو في الصالحين، حتى لا تقع الأمة في نفس الخطأ الذي وقعت فيه الأمم السابقة.

"وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ":

أي لو لم يكن خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته من اتخاذ قبره مسجداً، لجُعِل قبره في مكان ظاهر مكشوف للناس. وهذا يدل على شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على التوحيد.

"غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا":

هذا تعليل صريح وواضح من النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، يؤكد أن دفنه داخل حجرة عائشة كان لسبب واحد، وهو سد الذريعة أمام من يريد أن يتخذ قبره مسجداً يُصلى فيه أو يُعبد من دونه. وقد جاء في حديث آخر في صحيح مسلم: "اللَّهُمَّ لا تجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ".

والمسلم عن جندب بن عبد الله " ، قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ ُ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدِ اتَّخَذَنِ خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لَا تَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ .

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو [في] " معنى قولها: (خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا).فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قيره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه، فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يُصلى فيه، يُسمى مسجدًا، كماقال : الجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا .

جندب بن عبد الله البجلي (رضي الله عنه): هو صحابي جليل، من قبيلة بجيلة، سكن الكوفة، وهو من أهل الفضل والجهاد. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث قليلة، ولكنها ذات شأن عظيم، وهذا الحديث الذي ذكره من أهم ما رواه، لأنه نقل كلام النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بخمس ليال.

"سمعتُ النبي، قبل أن يموت بخمسٍ":

هذا التوقيت له دلالة عظيمة، فكلام النبي صلى الله عليه وسلم في سكرات الموت هو بمثابة الوصية الأخيرة لأمته، ويشير إلى أهمية الموضوع وخطورته، وكأنه يقول: هذا آخر ما أوصيكم به فاحذروا.

"إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ ُ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنّ اللهَ قَدِ اتخَذَنِ خَلِيلًا، كمَا اتخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا":

الخلة: هي أعلى درجات المحبة وأكثرها عمقًا، وهي محبة خالصة لا يشوبها شيء.

النبي صلى الله عليه وسلم ينفي أن يكون له خليل من البشر، وهذا ليس تقليلًا من محبته لأصحابه، بل هو تأكيد على أن محبته الكاملة وخُلته قد اختص بها الله وحده، كما اختص بها نبيه إبراهيم عليه السلام. وهذا لئلا يغالي الناس في محبته فيقعون في الشرك.

"وَلَوْ كُنْتُ مُتّخِذًا مِنْ أُمّتِي خَلِيلًا، لَا تّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا":

هذا استثناء يؤكد أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) هو أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد الله. وهذا يدل على فضله العظيم ومكانته الرفيعة، ولكنه مع ذلك لم يبلغ درجة الخلة التي اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم ربه.

"أَلَا وَإِنّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تتّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ":

هذا هو بيت القصيد في الحديث. النبي صلى الله عليه وسلم يحذر أمته من الوقوع في نفس الخطأ الذي وقعت فيه الأمم السابقة من اليهود

والنصارى.

"يتخذون قبور أنبيائهم مساجد": هذا ليس معناه بالضرورة بناء مسجد على القبر، بل يشمل كل ما يؤدي إلى عبادة القبر، مثل الصلاة عنده، أو الطواف به، أو الدعاء عنده، أو قصده لأداء العبادة، حتى لو لم يُبن عليه مسجد.

* "أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ": هذا نهي صريح مؤكد من النبي صلى الله عليه وسلم. وقد جاءت صيغة النهي في آخر حياته لتأكيد خطورة هذا الأمر.

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعا: «إِنّ مِنْ شِرَارِ النّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالّذِينَ يَتّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ». ورواه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه " عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): هو صحابي جليل، من أوائل من أسلموا، ومن الفقهاء المقرئين. شهد جميع الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أقرب الصحابة إليه، حتى كان يلقب بـ "صاحب السواك والنعلين". تميز بعلمه الغزير وفقهه الدقيق، وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن يقرأ القرآن غضًا كما أُنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد" (صحيح ابن ماجه).

"إِنّ مِنْ شِرَارِ النّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ":

"شرار الناس": هذا الوصف يدل على أن هؤلاء القوم بلغوا من السوء والفساد منتهاه. "تُدْرِكُهُمُ السّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ": المقصود هنا من تقوم عليهم الساعة. وقد جاء في الأحاديث الأخرى أن الساعة تقوم على شرار الخلق.

"وَالّذِينَ يَتّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ": هذه الجملة هي تفسير للشق الأول من الحديث، فهي تبين أن شرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة هم الذين يتخذون القبور مساجد. "يتخذون القبور مساجد": هذا ليس معناه بالضرورة بناء مسجد على القبر، بل يشمل كل ما يؤدي إلى عبادة القبر، كالصلاة عنده، أو الدعاء عنده، أو الطواف به، أو قصده للعبادة. وهذا المعنى يتضح في قوله صلى الله عليه وسلم: "جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا" (متفق عليه)، فكل بقعة من الأرض تصلح للصلاة فيها فهي مسجد، وبالتالي فإن الصلاة على القبر أو عنده تجعله "مسجدًا" بمعنى مكانًا للصلاة، وهذا ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

باب مَا جَاءَ أَنّ الغُلُو فِي قبُور الصّالِحِينَ يُصِيرُهَا أَوْثانا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّه

روى مالك في الموطأ ، أنّ رَسُولَ اللّه قال: «اللّهُمّ لا تجْعَلْ قبْرِي وَثَنا يُعْبَدُ، اشْتَدّ غَضَبُ اللّهِ عَلَى قوْمٍ اتخَذُوا قبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ .

ولا بن جرير " بسنده، عن سفيان ، عن منصور، عن مجاهد:

أَفَرَيْتُمُ اللّتَ وَالعُزّى) [النجم: ١٩]. قال : كان يلت لهم السويق"، فمات، فعكفوا على قبره.

وكذا قال أبو الجوزاء، عن ابن عباس: (كان يلت السويق للحاج).

* مالك بن أنس (رضي الله عنه): هو الإمام مالك، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب كتاب "الموطأ" الذي يُعد من أصح كتب الحديث بعد الصحيحين. كان من أشد العلماء حراسة للسنة وحماية لجناب التوحيد.

* سفيان الثوري (رحمه الله): هو سفيان بن سعيد الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، كان عالماً فقيهاً حافظاً، من أئمة التابعين.

* منصور بن المعتمر (رحمه الله): من كبار التابعين وثقاتهم، كان فقيهاً ومحدثاً.

* مجاهد بن جبر (رحمه الله): من كبار التابعين وتلاميذ ابن عباس، وهو من أعلم الناس بالتفسير، وقد قيل: "إذا جاء التفسير عن مجاهد فحسبك به".

* ابن عباس (رضي الله عنهما): عبد الله بن عباس، حبر الأمة وترجمان القرآن، كان من أعلم الصحابة بالقرآن والسنة، وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة في الدين والعلم.

"اللّهُمّ لَا تجْعَلْ قبْرِي وَثنًا يُعْبَدُ":

هذا دعاء عظيم من النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه من الفوائد ما يلي:

"وثناً يُعبد": الوثن هو كل ما يُعبد من دون الله، سواء كان حجراً أو شجراً أو صورة أو قبراً. ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء يدل على أنه كان يخشى أن تغالي أمته في تعظيمه بعد وفاته، فيقعوا في ما وقع فيه الأمم السابقة.

"اشْتَدّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ":

"اشتد غضب الله": هذا يدل على أن هذا الفعل ليس ذنباً عادياً، بل هو من أعظم الذنوب التي تستجلب غضب الله الشديد، وهو غضب لا يُمكن للبشر أن يتحملوه.

"اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد": هذا هو سبب الغضب، وهو عين الفعل الذي حذّر منه في الأحاديث السابقة. وهذا يدل على أن هذا الفعل هو من وسائل الشرك الأكبر، لأنهم جعلوها موضعاً للعبادة.

قال مجاهد: "كان يلت لهم السويق، فمات، فعكفوا على قبره".

وقال أبو الجوزاء عن ابن عباس: "كان يلت السويق للحاج".

"يَلُتُ السويق": أي يخلط السويق بالماء أو السمن، والسويق هو طعام يصنع من الشعير أو القمح.

"عكفوا على قبره": العكوف هو الإقامة على الشيء بقصد تعظيمه.

هذا التفسير من كبار السلف يبين كيف بدأ الشرك في العرب، فهو لم يبدأ مباشرة بعبادة الأصنام، بل بدأ بالغلو في رجل صالح كان يُطعم الحجاج، فلما مات، غالى الناس في تعظيمه حتى اتخذوا قبره وثناً يعبدونه. وهذا هو عين ما حذّر منه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أن الشرك في الأمم كان سببه الغلو في القبور وأصحابها.

وعن ابن عباس رضي الله عنه ، قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وسلم زَائِرَاتِ القُبُورِ،وَالمُتّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ والشرج). رواه أهل السنن.

عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما): هو حبر الأمة، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد الفقهاء الأربعة من الصحابة، ومن أعلمهم

بالتفسير، وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "اللّهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل". كان له دور كبير في نشر العلم والفقه، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الأحاديث المهمة.

لَعَنَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وسلم

اللعن: هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، وهو دليل قاطع على أن الفعل الملعون عليه هو من كبائر الذنوب.

"زَائِرَاتِ القبُور":

المقصود هنا هو النساء اللاتي يكثرن من زيارة القبور، أو يزرنها مع البكاء والعويل والندب، وليس المقصود مجرد الزيارة للترحم على الميت.

*والعلماء قد اختلفوا في حكم زيارة النساء للقبور، فمنهم من قال بـ التحريم المطلق بناءً على هذا الحديث، ومنهم من قال بالكراهة، ومنهم من أجازها إذا كانت للعظة والعبرة وبدون مبالغة أو محاذير شرعية.

* والقول الراجح الذي ذهب إليه بعض أهل العلم أن النهي كان بسبب ما يرافق زيارتهن من نوح وصراخ، أو لعدم صبرهن، وقد دخل في اللعن من كانت زيارتها على هذا الوجه. أما إذا كانت للعظة والدعاء للميت دون محظور شرعي، فقد أفتى بعض العلماء بجوازها.

"وَالمُتّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ":

هذا الشق من الحديث يؤكد الأحاديث السابقة في النهي عن بناء المساجد على القبور، أو الصلاة عند القبور، أو قصدها للعبادة.

"المتخذين": تشمل الذكور والإناث، وهذا يدل على أن هذا الفعل محرم على الجميع.

"المساجد": سبق شرحها بأنها لا تعني بالضرورة البناء، بل تشمل أي مكان يُقصد للصلاة فيه، والصلاة على القبر أو عنده تجعله مسجداً، وهو ما يُنهى عنه.

"وَالسُّرُجَ":

* "السُرُج": هي المصابيح التي توضع على القبور.

* لعن النبي صلى الله عليه وسلم لمن يضعون السُرُج على القبور، وهذا يدل على أن هذا الفعل محرم.

فوضع السُرُج على القبور هو نوع من الغلو في تعظيمها، وهو مما يؤدي إلى الفتنة وعبادة القبور، لأنه يجعل القبر مميزاً ومقصوداً بالزيارة والتعظيم، وهذا قد يفتح باباً للشرك، وهو ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم.

باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وَسَدِّهِ كُلّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى الشِّرْكِ

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩].

{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ}

{لَقَدْ}: أداة توكيد.

* {جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ}: هذا الوصف يُشير إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم هو بشر من جنس البشر، وليس ملكًا ولا إلهًا. وهذا يُسهّل على الناس الاقتداء به وفهم دعوته.

* هذا الوصف له فائدة عظيمة، فقد كان الكفار يستعجبون من إرسال بشر إليهم، كما قال تعالى: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ} [يونس: 2].

{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ}

* {عَزِيزٌ عَلَيْهِ}: أي شاقٌ عليه ويصعب عليه.

{مَا عَنِتُّمْ}: أي ما يشقّ عليكم ويثقل على نفوسكم من الأمور الدينية والدنيوية.

هذا الوصف يُظهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته، فهو لا يُريد لهم الحرج والمشقة. لقد جاءت الشريعة الإسلامية مبنية على اليسر والتخفيف، ورفع الحرج عن الناس.

حَرِيصٌ عَلَيْكُم

{حَرِيصٌ عَلَيْكُم}: أي حريص على هدايتكم، وعلى أن تؤمنوا وتدخلوا الجنة.

هذا الوصف يُبيّن حرص النبي الشديد على الخير لأمته، فقد كان يتألم لعدم إيمان الكفار، كما قال تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف: 6].

يقول الإمام ابن كثير: "أي حريص على إيمانكم وهدايتكم، ونفعكم في الدنيا والآخرة".

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

بِالْمُؤْمِنِينَ: خصّ الله هذه الصفة للمؤمنين، لأن الرحمة الخاصة بالنجاة في الآخرة لا تشمل الكفار.

{رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}: هذان الاسمان هما من أسماء الله تعالى، وقد وصف بهما نبيه صلى الله عليه وسلم تشريفًا له.

الرأفة: هي أعلى درجات الرحمة.

الرحمة: هي الصفة الأوسع التي تشمل كل أنواع الرحمة.

هذا الوصف يُبيّن عظيم رحمة النبي بأصحابه وأمته، فهو يعطف عليهم ويُحسن إليهم، ويُقدّم لهم النصح والمساعدة في كل الأحوال.

فَإِنْ تَوَلَّوْا

فَإِنْ تَوَلَّوْا: أي فإن أعرضوا عنك وعن دعوتك، ورفضوا الإيمان.

هذا الجزء يُوضّح أن دور النبي صلى الله عليه وسلم ينتهي بالبلاغ

والإرشاد، فإن لم يقبلوا، فليس عليه شيء بعد ذلك.

فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ

حَسْبِيَ اللَّهُ: أي يكفيني الله.

هذا هو المنهج الذي يجب أن يتبعه الداعية عند إعراض الناس عن الحق. لا ييأس ولا يحزن، بل يعود إلى الله ويتوكل عليه. فإذا أعرض الخلق، يكفيه الخالق.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

هذا هو أصل التوحيد، وهو توحيد الألوهية.

التوكل على الله لا يكون إلا مع التوحيد الخالص. لا يُمكن للمؤمن أن يتوكل على الله حق التوكل إلا إذا آمن بأنه وحده المستحق للعبادة.

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

هذا هو مفتاح النجاة عند الشدائد.

التوكل على الله هو الاعتماد عليه في كل الأمور، مع الأخذ بالأسباب.

هذا القول يُظهر قوة إيمان النبي صلى الله عليه وسلم، فهو لا يعتمد على أحد سواه.

وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

هذا الوصف يُثبت عظمة الله وقدرته المطلقة.

الله هو رب العرش الذي هو أعظم المخلوقات وأكبرها، فإذا كان يملك هذا العرش العظيم، فهو قادر على كل شيء، وقادر على أن يكفي من توكل عليه.

هذا الوصف يُعطي طمأنينة وثقة للمتوكل على الله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لَا تجْعَلُوا بُيُوتكُمْ قبُورًا، وَلا تجْعَلُوا قبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيّ فَإِنّ صَلَاتكُمْ تبْلُغُنِي حَيْثُ [مَا كُنتُمْ». رواه أبو داود بإسناد حسن رواته ثقات . "

أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، من أشهر الصحابة، وأكثرهم روايةً للحديث النبوي. أسلم في السنة السابعة للهجرة، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم أربع سنوات، حفظ فيها الكثير من الأحاديث بفضل دعوة النبي له. تُوفي بالمدينة سنة 57 هجرية.

لا تجْعَلُوا بُيُوتكُمْ قبُورًا

لا تجعلوا: هذا نهي صريح من النبي صلى الله عليه وسلم.

بيوتكم قبورًا: يُقصد بهذا النهي عدم ترك الصلاة والعبادة في البيوت، لأن القبور ليست محلًا للعبادة.

فالبيت الذي لا تُصلى فيه النافلة، ولا يُقرأ فيه القرآن، ولا يُذكر فيه اسم الله، هو كالقبر الموحش الذي لا يُفعل فيه شيء من العبادة.

يُروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قضى أحدكم الصلاة في المسجد، فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا". [صحيح مسلم]

وهذا يدل على أن العبادة في البيوت أمر مطلوب ومبارك.

وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا

قبري: يُقصد به قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

عيدًا: كلمة "عيد" في اللغة العربية تُشير إلى الشيء الذي يُعاد ويُتكرر، سواء كان زمانًا أو مكانًا.

لا تتخذوا قبري محلًا للاحتفالات والاجتماعات الدورية، كأن تتخذوا يومًا معينًا أو وقتًا معينًا لتذهبوا إليه للاجتماع عنده والاحتفال به، كما يفعل الناس في الأعياد.

لا تتخذوا قبري مكانًا يُقصد بالزيارة بشكل مبالغ فيه، وكأنه مكان حج. فزيارته تكون على وجه السُنة، لا على وجه التشدد والإفراط الذي يُؤدي إلى الوقوع في الشرك.

هذا النهي يُعدّ سدًا لذرائع الشرك، فالغلو في تعظيم القبور هو من أسباب عبادة الصالحين، كما بيّن ذلك أثر ابن عباس في قصة "ودّ" و"سواع".

وَصَلُّوا عَلَيَّ

هذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم، وهو البديل الشرعي الصحيح لتعظيمه.

بدلًا من الغلو في قبره، أمرنا أن نصلي عليه ونُسلّم.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي أمر مشروع وعبادة عظيمة، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ مَا كُنْتُمْ

هذا هو السبب والعلة في الأمر بالصلاة عليه عن بُعد.

يُطمئننا النبي صلى الله عليه وسلم بأن صلاتنا عليه لا تحتاج إلى أن نكون قريبين من قبره، بل هي تصل إليه من أي مكان في الأرض.

هذا المعنى يُقوّي المنهج الصحيح في حبه وتعظيمه، وهو بالمتابعة والعمل بسنته، وبالصلاة والسلام عليه، وليس بالتعلق بالمكان.

يُبيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الملائكة تبلغه صلاة أمته وسلامهم عليه، كما في حديث: "إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني من أمتي السلام". [رواه النسائي وصححه الألباني].

وعن علي بن الحسين ، أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ، فيدخل فيها"، فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثا

سمعته [من أبي عن جدي عن رسول الله ، قال: لَا تتّخِذُوا قبْرِي عِيدًا، وَلَا تتّخِذُوا بُيُوتكُمْ قبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيّ، فَإِنّ تسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ [مَا] كنتم . رواه في المختارة".

* علي بن الحسين: هو أبو الحسن، علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، يُعرف بـ "زين العابدين" و "السجّاد". وهو من سادات التابعين وفقهائهم، ومن أحفاد النبي صلى الله عليه وسلم. يُروى عنه العلم الكثير، وكان زاهدًا ورعًا. تُوفي سنة 94 هجرية.

* عن أبيه: الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط النبي صلى الله عليه وسلم ، وريحانته، وأحد سيدي شباب أهل الجنة.

* عن جده: علي بن أبي طالب، رابع الخلفاء الراشدين، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم.

أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي، فيدخل فيها، فيدعو

فرجة: هي فتحة أو فجوة.

هذا الوصف يُصوّر لنا مشهدًا واقعيًا يُبيّن أن بعض الناس قد يقعون في البدع، حتى لو كانت نيتهم حسنة.

الرجل كان يظن أن الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم في تلك

الفجوة له فضيلة خاصة.

هذا الفعل يُعدّ من الوسائل الموصلة إلى الشرك، لأن الاعتقاد في الأماكن الخاصة بالصالحين قد يُؤدي إلى التعلق بغير الله.

فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله

{فنهاه}: هذا الموقف يُبيّن منهج السلف الصالح في إنكار المنكر؛ فقد كان علي بن الحسين لا يتردد في نهي الناس عن البدع.

ألا أحدثكم حديثًا...: هذا الأسلوب يُسمى الأسلوب التربوي، حيث لم ينهه بعنف، بل بيّن له أن ما يفعله يخالف السُنة، وقدم له الدليل الشرعي مباشرةً.

* سلسلة الإسناد: "من أبي عن جدي عن رسول الله" تُعطي الحديث قوة ومتانة، فجميع رواته من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

لَا تتّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا

لا تتخذوا: نهي صريح من النبي صلى الله عليه وسلم.

قبري عيدًا: يُقصد بهذا النهي التحذير من الغلو في قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

فلا يُتخذ مكانًا تُعاد إليه الزيارة بشكل دوري ومُتكرر كما يُعاد العيد.

ولا يُتخذ مكانًا للاجتماع والاحتفال، لأن هذا يُشبه ما فعله أهل الكتاب بقبور أنبيائهم.

هذا النهي يُعدّ سدًا لذرائع الشرك، لأن التعظيم المفرط للمكان قد يؤول إلى عبادة صاحبه.

وَلَا تتّخِذُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا

هذا النهي يُكمّل النهي السابق.

كما أن القبر ليس محلًا للعبادة، فإن البيت يجب أن يكون محلًا للعبادة، وليس كالقبر الموحش الذي لا يُذكر فيه اسم الله.

هذا يُشجّع على إحياء البيوت بالصلاة وقراءة القرآن وذكر الله.

وَصَلُّوا عَلَيّ

* هذا هو المنهج الصحيح في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم.

* بدلًا من التشدد في زيارة قبره، أمرنا بالصلاة عليه.

* الصلاة عليه عبادة عظيمة، وهي تُجدّد العهد به، وتُظهر محبته، وتُقرّب العبد إلى الله.

فَإِنّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ مَا كُنْتُمْ

هذه الجملة تُعدّ العِلّة في الأمر بالصلاة عليه من أي مكان.

النبي صلى الله عليه وسلم يُطمئن أمته بأن صلاتهم وسلامهم عليه تصل إليه، دون حاجة إلى التشدد في زيارة قبره.

هذا يُبيّن أن حب النبي صلى الله عليه وسلم ليس محصورًا في مكان، بل هو اتباع لسنته وطاعته، مع الصلاة عليه في كل زمان ومكان.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء : ٥١].

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ

ألم تر: هذا استفهام للتعجب والإنكار، أي: ألم ترَ يا محمد وتعجب من حال هؤلاء.

الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب: يُقصد بهم اليهود، لأن الآيات التي سبقت وتلت هذه الآية تتحدث عنهم. هم لديهم علم من الكتاب (التوراة)، ولكنهم لم يعملوا به. وهذا يُبيّن أن العلم وحده لا يكفي ما لم يُتبعه العمل الصالح.

يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ

الجبت: لفظ جامع لكل ما يُعبد من دون الله، وما لا خير فيه.

* قال الإمام عمر بن الخطاب: "الجبت: السحر".

* وقال الإمام ابن عباس: "الجبت: الصنم".

* وقال الإمام مجاهد: "الجبت: هو السحر".

* فالجبت يشمل السحر والكهانة والأصنام.

الطاغوت: مشتق من "الطغيان"، وهو كل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ بذلك.

قال الإمام ابن القيم: "الطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع".

ومن أمثلة الطاغوت: إبليس، والأصنام، والكهان، والسحرة، والحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله.

هذه الجملة تُبيّن أن أهل الكتاب الذين لديهم علم التوراة، تركوا توحيد الله ، وصدقوا بالباطل والسحر، وهذا يُعدّ خيانة عظيمة للعلم.

وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

يُقصد بهؤلاء الكفار مشركو قريش، الذين كان اليهود يتحالفون معهم ضد المسلمين.

هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا

هؤلاء: يُقصد بهم مشركو قريش.

الذين آمنوا: يُقصد بهم المسلمون.

أهدى سبيلا ً: أي أنهم أكثر هدايةً وطريقهم أفضل من طريق المسلمين.

هذا القول يُعدّ جريمة شنيعة من اليهود. لقد فضلوا عبّاد الأصنام على الموحدين الذين يتبعون الأنبياء. هذا القول نابع من الحسد والبغض للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وليس عن قناعة بالحق.

وقوله تعالى : قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرَ مِن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ [أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءالسبيل] [المائدة : ٦٠].

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ

قل: أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول هذا الكلام.

هل أنبئكم: أسلوب استفهام للتشويق والتقرير، أي: هل أُخبركم بأسوأ جزاء وأعظم عقوبة.

مثوبة: أي جزاء وعقاب.

المعنى: يا أهل الكتاب، أتلومونا وتصفون ديننا بأنه شر، وأنا سأخبركم بمن هو أسوأ منّا حالًا وجزاءً عند الله.

مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ

من لعنه الله اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله.

وغضب عليه: الغضب هو صفة لله تليق بجلاله، وتُعني سخطه على العبد.

هذه الجملة تُشير إلى أن اليهود استحقوا اللعنة والغضب الإلهي بسبب كفرهم، وعصيانهم، وتحريفهم لكتبهم، وقتلهم الأنبياء.

وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ

هذا الوصف يُشير إلى عقوبة حقيقية حدثت لليهود في الماضي.

يُذكر في القرآن أن الله مسخ جماعة منهم إلى قردة وخنازير بسبب تجاوزهم في يوم السبت. قال تعالى: {فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [البقرة: 65].

هذا المسخ كان عقوبة لهم في الدنيا، وهو دليل على شدة غضب الله عليهم.

وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ

الطاغوت: مشتق من الطغيان، وهو كل ما يُعبد من دون الله وهو راضٍ بذلك.

هذه الجملة تُعدّ أخطر وصف في الآية، فهي تُبيّن أنهم لم يكتفوا بانتهاك المحرمات، بل وصل بهم الأمر إلى الشرك الأكبر.

يُروى أن اليهود عبدوا العجل بعد خروجهم من مصر، وأنهم أطاعوا أحبارهم في تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ، وهذا نوع من أنواع عبادة الطاغوت.

* قال الإمام ابن عباس: "الطاغوت هو من حكم بغير ما أنزل الله".

* قال الإمام مالك: "الطاغوت هو الشيطان الذي يُعبد من دون الله".

* قال الإمام ابن جرير الطبري: "الطاغوت كل ما عُبد من دون الله من أصنام أو شياطين أو غير ذلك"

أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ

أولئك: إشارة إلى اليهود الذين اتصفوا بالصفات السابقة.

شرٌّ مكانًا: أي أن حالهم وموقعهم أسوأ حالًا من غيرهم.

وأضل عن سواء السبيل: أي أنهم أكثر بعدًا عن الطريق المستقيم.

هذه الجملة هي حكم قاطع من الله عز وجل بأن اليهود هم الأضل والأسوأ، وأنهم ليسوا على شيء من الحق.

قال تعالى: {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} [الكهف: 21].

قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ

الذين غلبوا على أمرهم: يُقصد بهم أصحاب النفوذ والسلطة والقوة في ذلك الزمان، الذين استقرّ رأيهم على أمر معين ونفّذوه، لأنهم يملكون القوة التي لا تُردّ.

هذا يُبيّن أن البدع والشرك في تعظيم الصالحين غالبًا ما تكون وراءها سلطة أو نفوذ، لأن العامة غالبًا ما يتبعون رؤساءهم.

لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا

لنتخذنّ: اللام والنون هنا للتوكيد، مما يدل على العزم والإصرار على تنفيذ هذا الأمر.

عليهم: أي على قبورهم، أو على المكان الذي كانوا فيه.

مسجدًا: أي مكانًا يُتعبد فيه لله.

هذا الفعل يُعدّ أصل البدعة والشرك في القبور، فمنه بدأ الناس في اتخاذ قبور الصالحين مساجد ومواضع للعبادة.

وعن أبي سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لَتَتْبِعُنّ سَنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذّةِ بِالقُذّةِ ، حَتّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ». قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟ قال: «فَمَنْ ؟. أخرجاه . "

أبو سعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخدري. من أشهر صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثرهم رواية للحديث. شارك في اثنتي عشرة غزوة مع النبي، وتوفي في المدينة سنة 74 هجرية. كان من فقهاء الصحابة، وعُرف بصدقه وورعه.

لَتَتَّبِعُنَّ

* اللام والنون: أداتا توكيد، تؤكدان أن هذا الأمر سيحدث لا محالة.

لتتبعن: أي ستمشون على نفس طريقهم ومنهجهم.

هذا اللفظ ليس أمرًا من النبي صلى الله عليه وسلم بالاتباع، بل هو إخبار عن أمرٍ سيقع في آخر الزمان، وهو اتباع بعض المسلمين لمسالك الأمم السابقة.

سَنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ

سَنَنَ جمع "سُنّة"، وهي الطريقة والمنهج.

من كان قبلكم: يُقصد بهم الأمم السابقة من اليهود والنصارى.

هذا يُؤكّد أن المسلمين سيقعون في نفس الأخطاء والانحرافات التي وقعت فيها الأمم السابقة.

حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ

حذو: أي مثل أو بمثل.

القُذّة: ريشة السهم.

حذو القذة بالقذة: هذا مثل عربي يُضرب في المماثلة التامة والمطابقة الكاملة. ريشتي السهم تكونان متشابهتين تمامًا حتى لا يختلف مسار السهم.

هذا المثل يُصوّر لنا أن التشابه بين المسلمين وبعض الأمم السابقة سيكون في أدق التفاصيل، وليس فقط في الأصول.

حَتّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ

حتى: أداة غائية، تُبيّن مدى هذا الاتباع.

جُحْرَ ضَبٍّ: الضب حيوان معروف يعيش في الصحراء، وجحره شديد الضيق.

* {لدخلتموه}: أي ستدخلونه.

هذا التشبيه يُؤكد أن المسلمين سيتبعونهم حتى في الأمور التي لا معنى

لها، أو التي ليس فيها أي فائدة، بل قد يكون فيها ضرر ومشقة.

قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟

* هذا السؤال من الصحابة يُبيّن أنهم فهموا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أن القصد هو اليهود والنصارى، لِما كان بين الأمة الإسلامية وبينهم من خلاف واضح في المنهج.

قال: فَمَنْ؟

هذا الاستفهام يُعدّ جوابًا بليغًا وقاطعًا.

فكأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ومن غيرهم؟"، فليس هناك أمة أخرى تتصف بهذه الصفات.

والمسلم، عن ثوبان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إِنّ اللهَ زَوَى لي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنّ أُمّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ ، وَإِنّي سَأَلْتُ رَبّ لِأُمّتِي أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامّةٍ ، وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنّ رَبّي قَالَ: يَا مُحَمّدُ ، إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنّهُ لا يُرَدُّ، وَإِنّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامّةٍ، وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

ثوبان بن بجدد: مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم وأعتقه. كان من أقرب الصحابة إليه، يُلازمه في حضره وسفره. عُرِف بصدقه ووفائه وحبه الشديد للنبي صلى الله عليه وسلم. تُوفي في حمص سنة 54 هجرية.

إِنّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا}

زوى لي الأرض: أي طواها وجمعها وقرّبها، حتى رآها النبي صلى الله عليه وسلم في صورة مُصغّرة.

فرأيت مشارقها ومغاربها: هذا يدل على أن ملك أمته صلى الله عليه وسلم سيصل إلى كل ما أُريَه.

وَإِنّ أُمّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا

هذا إخبار صريح من النبي صلى الله عليه وسلم عن مستقبل أمته، وهو ما حدث بالفعل.

فقد امتدّ ملك المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية

والعباسية إلى مشارق الأرض ومغاربها، ففتحوا بلاد فارس والروم، وهذا دليل من دلائل نبوته.

وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ

الكنزين: يُقصد بهما كنوز ملوك الفرس والروم.

الأحمر: كناية عن الذهب، وهو كنز الروم.

الأبيض: كناية عن الفضة، وهو كنز الفرس.

هذا أيضًا إخبارٌ عن أمرٍ غيبي وقع بالفعل. فبعد أن كانت هذه الكنوز تحت سلطة كسرى وقيصر، أصبحت غنائم للمسلمين، وهذا من أعظم دلائل نبوته.

وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامّةٍ

سألت ربي: هذا يُظهر مدى حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أمته، فقد كان يدعو لها دائمًا.

سنة عامة: أي مجاعة أو قحط شامل يُؤدي إلى هلاك الأمة بأكملها.

هذا الدعاء مُستجاب، فلم تُهلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم كلها بمجاعة شاملة تُفنيها.

وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ}

لا يُسلط عليهم: أي لا يُعطي القوة والقدرة.

عدوًا من سوى أنفسهم: أي من غير المسلمين.

فيستبيح بيضتهم: أي يستولي على جميع أرضهم، ويُنهي كيانهم، ويقتل رجالهم، ويأخذ نساءهم وأطفالهم.

هذا الدعاء أيضًا مُستجاب، فلم تستطع أمة من الأمم أن تُزيل المسلمين

من الوجود بشكل كامل.

وَإِنّ رَبّي قَالَ: يَا مُحَمّدُ، إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنّهُ لَا يُرَدّ

هذا يُبيّن أن بعض الأمور هي قضاء وقدر لا يُمكن تغييرها.

وَإِنّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ}

هذا هو مضمون إجابة الله لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم.

هذه الصفة هي منحة عظيمة لأمة محمد، لم تُعطَ لأمة أخرى.

وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا

هذا يُؤكّد أن المسلمين لن يُهلكوا جماعيًا حتى لو تجمّع عليهم كل أهل الأرض.

حَتّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا

هذا هو الشرط الذي يقع بسببه الهلاك الجزئي في الأمة.

فالهلاك لا يأتي من الخارج، بل يأتي من الداخل، بسبب الاختلاف والفتنة والقتال بين المسلمين أنفسهم.

هذا يُبيّن أن قوة الأمة في وحدتها، وأن ضعفها في تفرقها واختلافها.

ورواه البرقاني في صحيحه ، وزاد: وَإِنّمَا أَخَافُ عَلَى أُمّتِي الْأَئِمّةَ الْمُضِلّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السّيْفُ، لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السّاعَةُ

حَتّى يَلْحَقَ حَيّ مِنْ أُمّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنّهُ سَيَكُونُ فِي أُمّتِي [كَذّابُونَ ثَلَاثُونَ ، كُلّهُمْ يَزْعُمُ أَنّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النّبِيّينَ، لَا نَبِيّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِي عَلَى الْحَقّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

ثوبان بن بجدد: مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم وأعتقه. كان من أقرب الصحابة إليه، يُلازمه في حضره وسفره. عُرف بصدقه ووفائه وحبه الشديد للنبي صلى الله عليه وسلم.

تُوفي في حمص سنة 54 هجرية.

وَإِنّمَا أَخَافُ عَلَى أُمّتِي الأَئِمّةَ المُضِلِّينَ

أخاف على أمتي:هذا يُبيّن مدى شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ، فقد كان يُحذّرهم من أخطر ما سيُصيبهم.

الأئمة المضلّين: يُقصد بهم أصحاب المناصب الدينية أو الدنيوية الذين يقودون الناس إلى الضلال، سواء كان في العقيدة أو الأحكام.

هؤلاء الأئمة المضلّون هم أخطر من الأعداء الخارجيين، لأنهم يُفسدون الدين من الداخل، ويُلبسون الحق بالباطل.

وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السّيْفُ، لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ

وقع عليهم السيف: أي إذا بدأ القتال والفتنة الداخلية بين المسلمين.

لم يُرفع إلى يوم القيامة: هذا يُشير إلى أن الفتنة إذا بدأت في الأمة، فلن تتوقف بشكل كامل حتى قيام الساعة، وستُلازم الأمة في عصورها المختلفة.

وهذا ما حدث بالفعل، فقد بدأت الفتنة بقتل عثمان وعلي رضي الله عنهما، ولم تتوقف الفتن بين المسلمين إلى يومنا هذا.

وَلَا تَقُومُ السّاعَةُ حَتّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمّتِي بِالْمُشْرِكِينَ

يلحق حيٌّ: أي جماعة من المسلمين.

بالمشركين: أي ينضمون إليهم في عقائدهم وعباداتهم.

هذا إخبارٌ عن ردة بعض المسلمين، وهو ما حدث في بعض عصور الإسلام، حيث ارتدت بعض الجماعات أو انضمت إلى المشركين.

وَحَتّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمّتِي الأَوْثَانَ

فئام: أي جماعة أو طائفة.

تعبد الأوثان: أي تُعبد الأصنام.

هذا أيضًا إخبارٌ عن وقوع الشرك الأكبر في هذه الأمة، وهذا يُعدّ من أعظم

دلائل النبوة.

وهذا ما حدث بالفعل في بعض الأماكن، حيث عُبِدَت القبور والأضرحة من دون الله.

وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي

كذابون ثلاثون: هذا إخبار عن عدد معين من الدجالين الذين سيخرجون ويدّعون النبوة.

كلهم يزعم أنه نبي: هذا يُبيّن أنهم سيكونون مدعين للنبوة، ويُضلّون الناس بهذا الادعاء.

وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي: هذا يُعدّ من قواعد العقيدة الإسلامية، وهو أن محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء والرسل.

وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةٌ

طائفة من أمتي: أي جماعة قليلة.

على الحق:أي على المنهج الصحيح، وهو التوحيد والسنة.

منصورة: أي يُعينها الله ويُثبّتها على الحق.

هذا الحديث يُعدّ بشارة عظيمة للمسلمين، ويُبيّن أن الحق لن يزول أبدًا، وأنه سيبقى له أنصار.

لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ

هذا يدل على ثبات هذه الطائفة، وأنها لن تتأثر بترك الناس لها أو بمعارضة المخالفين.

حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

حتى يأتي أمر الله: يُقصد به الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين قبل قيام الساعة، فلا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق.

هذا يُبيّن أن الحق سيستمر إلى نهاية الزمان.

باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَنهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] [البقرة:.[١٠٢

* .{وَلَقَدْ عَلِمُوا}:

هذا تأكيد قوي من الله تعالى بأن بني إسرائيل كانوا على علم تام بحقيقة

الأمر. لم يكن جهلًا أو سهوًا، بل كان اختيارًا مقصودًا عن علم. هم يعلمون أن السحر شر، وأن عاقبته وخيمة.

* .{لَمَنِ اشْتَرَاهُ}:

"اشترى" هنا بمعنى اختار وبادل. أي من اختار السحر وأخذه بدلًا من كتاب الله والإيمان.

* .{مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ}:

هذه هي العاقبة الأليمة. "خَلَاق" تعني نصيبًا أو حظًا. أي أن من يتعامل

بالسحر ويتبعه لا نصيب له ولا حظ في رحمة الله في الآخرة، وهذا يدل على أن السحر كفر يخرج صاحبه من الملة، لأن الكافر هو الذي لا نصيب له في الجنة.

* .{وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ}:

"شَرَوْا" هنا بمعنى باعوا. وهذا تعبير بليغ يصور أنهم باعوا أنفسهم وحظهم في الآخرة بهذا السحر. بئس البيع وبئس الصفقة التي كانت نتيجتها الخسران المبين. هذا الذم الشديد يدل على عظم جرم السحر.

* .{لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}:

هذه جملة شرطية تفيد أن علمهم لم يكن علمًا نافعًا. لو كان علمهم حقيقيًا وصحيحًا ومصحوبًا بالعمل، لما أقدموا على هذا الفعل الشنيع. هذا التعبير يضعف من قيمة علمهم، ويشير إلى أنهم علموا الحقيقة لكنهم لم يعملوا بها.

وقوله تعالى: يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا] [النساء : ٥١]

* {يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}:

هذا الجزء من الآية يصف حالهم في العقيدة.

* الجبت: جاء في تفسيره أقوال كثيرة للسلف، وأشهرها أنه السحر. وقد

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "الجِبتُ السحر، والطاغوتُ الشيطان".

* الطاغوت: هو كل ما تجاوز حده وتعدى طوره، وكل ما عُبد من دون الله ورضي بذلك. يشمل الشيطان، والأصنام، والسحرة، وكل من يُطيعونه في معصية الله. إيمانهم بالجبت والطاغوت يعني أنهم يتبعون السحر

والشياطين وأهل الضلال، ويُصدّقونهم ويعملون بأقوالهم، تاركين كتاب الله.

* {وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا}:

هذا الجزء من الآية يكشف عن مدى انحرافهم وخيانة عهدهم.

* نزلت الآية في جماعة من اليهود ذهبت إلى مكة بعد غزوة أحد، وسألها المشركون: أنتم أهل كتاب، فما رأيكم في ديننا ودين محمد؟ فقال اليهود للمشركين: أنتم أهدى سبيلا ً من محمد وأصحابه. وهذا القول هو كفر صريح؛ إذ كيف يفضِّل أهل كتاب يؤمنون بالله على المؤمنين بالله ورسوله

قال عمر : الجبت السحر، والطاغوت الشيطان .

وقال جابر الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد.

وعن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنّ ؟ قَالَ: «الشّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النّفْسِ الّتِي حَرّمَ اللهُ إِلّا بِالحَقّ، وَأَكْلُ الرّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتّوَلّي يَوْمَ الزّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ». [أخرجاه]

وعن جندب " مرفوعا: حد الساحر : ضربه بالسيف. رواه الترمذي،

وقال: الصحيح أنه موقوف. "

* المُوبِقاتُ:

كلمة تُشير إلى الذنوب التي تُهلك صاحبها وتُورده موارد الهلاك في الدنيا والآخرة. أي أنها المهلكات. هذا اللفظ يُعطي دلالة على شدة هذه الذنوب وعظم خطرها.

* الشرك بالله:

هو أعظم الذنوب على الإطلاق، وأول ما يُذكر في الموبقات. وهو جعل شريك لله تعالى في عبادته، سواء كان صنماً، أو بشراً، أو أي شيء آخر.

* السِّحْرُ:

وهو أحد أنواع الكفر، وهو عَقدٌ ورُقىً تُؤثر في القلوب والأبدان. وذكره بعد الشرك مباشرة يدل على خطورته الكبيرة، فالسحر يتضمن استعانة بالشياطين وهو خروج عن الدين.

* قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ:

هذا يشمل أي نفس معصومة الدم، سواء كان مسلماً، أو ذمياً، أو معاهداً. إلا بالحق أي في الحدود الشرعية، كقتل القاتل، أو المحارب، أو المرتد.

* أَكْلُ الرِّبَا:

وهو الزيادة في المعاملات المالية المحرمة، سواء كانت في القروض أو البيع. والقرآن قد حذر منه تحذيراً شديداً

* أَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ:

وهو التصرف في مال اليتيم بالباطل، أو أخذه بغير وجه حق. وهذا يدل على أهمية حماية حقوق الفئة الضعيفة في المجتمع.

* التَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ:

أي الفرار من المعركة أثناء الجهاد في سبيل الله. وهو من الذنوب الكبيرة لأنه يضعف المسلمين ويُعرّضهم للهزيمة.

* قَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ:

أي اتهام المرأة العفيفة بالزنا. والغافلات أي اللواتي لا يخطر ببالهن هذا الأمر، والمؤمنات أي المؤمنات بالله ورسوله.

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة"، قال: كتب [إلينا] " عمر ابن الخطاب : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر " ، أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت". وصح عن حفصة

وكذلك صح عن جندب "".

قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

الراوي: هو بجالة بن عبدة التميمي، تابعي ثقة، من كبار التابعين الذين رووا عن عمر بن الخطاب. كان كاتباً لأمير البصرة زياد بن أبيه، ومشهوراً بقوة حفظه وروايته للأحاديث.

وعمر بن الخطاب: هو عمر بن الخطاب، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. عُرف بشدته في الحق، وعدله، وحزمه في إقامة شرع الله. هذا الأمر بقتل الساحر يدل على حزمه في تطبيق الحدود الشرعية والتخلص من الشرور التي قد تُفسد المجتمع.

أن اقتلوا كل ساحر وساحرة

هذا الأمر من عمر بن الخطاب لا يقتصر على نوع معين من السحر، بل يشمل كل ساحر وساحرة، وهذا يدل على خطورة جريمة السحر في الإسلام.

فقتلنا ثلاث سواحر

هذا الجزء من الحديث يُظهر أن حكم عمر بن الخطاب لم يكن مجرد أمر نظري، بل كان أمراً قد طُبق فعلياً. وقتل السواحر الثلاثة يُظهر أن هذا الحكم كان معمولاً به في عهد عمر.

وصح عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت

حفصة بنت عمر بن الخطاب، أم المؤمنين، إحدى زوجات النبي، وابنة عمر.

*هذا يدل على أن حكم قتل الساحر لم يكن رأياً فردياً من عمر، بل كان حكماً متفقاً عليه بين بعض كبار الصحابة. وحفصة طبقت هذا الحكم بنفسها على جاريتها التي قامت بسحرها.

وكذلك صح عن جندب

جندب الأزدي، وهو صحابي جليل، كان معروفا بشجاعته وشدته في الحق.

*الرواية عنه تُشير إلى أنه قتل ساحراً بنفسه، وهذا يُعزز الرأي القائل بأن هذا الحكم كان معمولا ً به.

قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة والجماعة، وأحد الأئمة الأربعة.

يُشير هذا القول إلى أن حكم قتل الساحر لم يكن فقط عن عمر وحفصة وجندب، بل كان رأياً متفقاً عليه بين عدد من الصحابة، وهذا يُعطي الحكم قوة ويُعزز من صحته.

باختصار، هذه الروايات تؤكد أن حكم الساحر في الإسلام هو القتل، وذلك لخطورة جريمة السحر التي تُفسد المجتمع، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن هذا الحكم يُطبق على كل ساحر، بغض النظر عن نوع سحره.

باب بَيَانُ شَيْءٍ مِنْ أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء"، [حدثنا قطن بن قبيصة"، عن أبيه "، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ».

* أحمد: هو الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة والجماعة، وأحد الأئمة الأربعة.

* محمد بن جعفر: هو محمد بن جعفر الهذلي البصري، المعروف بلقب "غندر"، وهو ثقة، من كبار شيوخ البخاري ومسلم.

* عوف: هو عوف بن أبي جميلة الأعرابي، ثقة، من رواة الحديث المشهورين.

* حيان بن العلاء: حيان بن العلاء التميمي، وهو شيخ بصري، مختلف في توثيقه. وقد قال عنه الإمام البخاري "لا يتابع على حديثه".

* قطن بن قبيصة: قطن بن قبيصة بن مخارق الهلالي، تابعي ثقة، يروي عن أبيه.

* أبوه: هو الصحابي قبيصة بن مخارق الهلالي، وقد وفد على النبي، وروى عنه أحاديث.

* العيافة:

هي زجر الطير والتنبؤ بالمستقبل من حركاتها وأصواتها. فكان أهل الجاهلية إذا أرادوا السفر أو القيام بأمر ما، يزجرون الطير، فإن طارت يميناً تفاءلوا، وإن طارت يساراً تشاءموا ورجعوا. وقد نهى النبي عن ذلك واعتبره من الجبت.

* الطَّرْق:

هو الضرب بالحصى أو الخط على الأرض للتكهن بالمستقبل. وهذا كان من طرق الكهانة والعرافة عند العرب قديماً. وهو من الأفعال التي تُنسب إلى

السحر أو الشرك الأصغر.

* الطِّيَرَة:

هي التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع. وهي أعم من العيافة، فتشمل التشاؤم من الطير، والحيوانات، والأشخاص، والأيام. وقد نهى النبي عن الطيرة وفسرها بأنها شرك.

قال عوف : العِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ والطَّرْقُ: الخط يُخط بالأ َرْض.

والجبت : قال الحسن : رنة الشيطان إسناده جيد .ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه : المسند منه".

ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم. يُلقب بـ "حبر الأمة" و"ترجمان القرآن" لدقة فهمه للقرآن

والسنة. روى عن النبي أحاديث كثيرة، وكان من أفقه الصحابة.

* مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ:

اقتبس: أي أخذ أو تعلم.

شعبة: أي جزء أو طائفة من علم النجوم.

النجوم: المقصود هنا هو علم التنجيم، وهو الاستدلال بحركات النجوم على الأحداث الأرضية، مثل التنبؤ بالمستقبل، أو معرفة الغيب، أو تحديد مصير الناس.

هذا اللفظ يُظهر أن التحذير ليس من تعلم علم الفلك (الذي يُعرف به أوقات الصلاة والقبلة)، بل هو من علم التنجيم الذي يُتعلق به القلب بغير الله.

* فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ:

هذا هو جوهر التحذير في الحديث. فتعلم التنجيم يُشبه تعلم السحر في كونهما يؤديان إلى الشرك بالله. فكما أن الساحر يدعي علم الغيب، فكذلك المنجم.

* الربط بين التنجيم والسحر يدل على أن التنجيم نوع من أنواع السحر،

لأنه يقوم على الاستعانة بالشياطين، أو الاعتقاد بتأثير النجوم على مصير الإنسان، وهو شرك.

* زَادَ مَا زَادَ:

هذا اللفظ يؤكد على أن الخطورة تتناسب طردياً مع التعمق في هذا العلم. فكلما تعلم الإنسان أكثر من علم التنجيم، كلما زاد نصيبه من السحر والشرك.

وهذا يُحذر من أن يبدأ الإنسان بجزء صغير منه، ثم يغرق فيه حتى يصبح ممارساً للسحر.

وللنسائي من حديث أبي هريرة : مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلّقَ شَيْئًا وَكِلَ إِلَيْهِ .

أبو هريرة: هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي، يُعرف بكنية أبي هريرة. كان أكثر الصحابة روايةً للحديث النبوي، وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالحفظ، فكان من أحفظ الصحابة.

* مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً:

العقدة: هي الربط أو الشدّ.

هذا يشير إلى أحد أهم أركان السحر، وهو عقد الخيوط أو الأوتار، وهو ما يُعرف بـ"عُقد السحر". وقد ذكر الله هذا الفعل في سورة الفلق: {وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}.

الحديث يُحدد بوضوح أن مجرد عقد العقد بهدف السحر هو فعل محرم ومُتصل بالسحر.

* ثُمّ نَفَثَ فِيهَا:

النفث: هو النفخ مع قليل من الريق، وهو ما يفعله الساحر أثناء قراءة التعاويذ الشيطانية.

هذا الفعل، وهو النفث في العقد، يُعدّ الخطوة الثانية في عملية السحر، ويُظهر الاعتماد على قوى الشر والشياطين.

* فَقَدْ سَحَرَ:

هذا تأكيد من النبي بأن الجمع بين عقد العقد والنفث فيها يُعتبر سحراً. وهذا يُجعل من هذا الفعل جريمة شرعية بحد ذاتها، حتى لو لم يترتب عليه ضرر ملموس، لأنه فعل مُتصل بالشياطين.

* وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ:

هذا هو جوهر الحديث وخطورته. فالحديث يُبين أن السحر ليس مجرد عمل محرم، بل هو شرك بالله تعالى.

الساحر لا يستطيع أن يقوم بسحره إلا بالاستعانة بالشياطين، وتقديم القرابين لهم، والتقرب إليهم، وهذا يُعدّ عبادة لغير الله، وهو الشرك.

* وَمَنْ تعَلَّقَ شَيْئًا وَكِلَ إِلَيْهِ:

أي الارتباط بشيء أو الاعتماد عليه.

هذا الجزء من الحديث يُعطي قاعدة عامة وهي: من يعتمد على شيء غير الله، فإن الله يتخلى عنه ويتركه إلى ذلك الشيء.

الساحر الذي يعتمد على الشياطين في سحره، فإن الله لا يُعينه ولا يُسدد خطاه، بل يتركه إلى الشياطين التي لن تنفعه.

هذا ينطبق على كل من يتوكل على غير الله، مثل من يلبس التمائم أو الخرز أو الخيوط، ويعتقد أنها تجلب له النفع أو تدفع عنه الضر.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «ألَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَاالعَضْهُ هِيَ النَّمِيمَةُ : القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ) رواه مسلم.

ابن مسعود: هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الهذلي. من أوائل من أسلموا، وصاحب سر رسول الله. كان من أعلم الصحابة بالقرآن والسنة، شهد له النبي بالعلم والفقه، وهو من فقهاء الصحابة.

* ألا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟

ألا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ: هذا الأسلوب استفهام يُراد به التشويق والاهتمام. النبي صلى الله عليه وسلم يريد جذب انتباه السامعين ليخبرهم بأمر مهم، وهو أن يعرفهم بماهية "العضه".

العَضْهُ: كلمة تأتي بمعنى الكذب، البهتان، والإفك. أصلها في اللغة هو عض الشجرة، أي قطعها. وهذا يُشير إلى أن النميمة تقطع العلاقات وتُفسدها بين الناس، مثلما تُقطع الشجرة.

* هِيَ النَّمِيمَةُ:

النميمة: هي نقل الكلام بين الناس على سبيل الإفساد. النمام يأخذ الكلام من شخص وينقله إلى شخص آخر بقصد إثارة الفتنة والخلاف والعداوة بينهما.

* القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ:

القَالَةُ: هي كثرة الكلام الذي يُقال، أو التحدث بالباطل، أو كلام السوء.

بَيْنَ النَّاسِ: أي أن هذا الكلام يُنقل من شخص إلى آخر، وهذا هو النميمة.

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا » .

* ابن عمر: هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب. كان من أكثر الصحابة اتباعًا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم. اشتهر بكثرة روايته للحديث، وكان من أئمة الفقه والحديث.

* إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا: * البيان: هو الفصاحة والبلاغة في الكلام. وهو القدرة على التعبير عن

الأفكار بوضوح وجاذبية.

* لسحرًا: كلمة "سحر" هنا تُستخدم في سياق التشبيه، وليس في سياق السحر الحقيقي (الذي هو كفر).

قال ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري": "المراد بالبيان في الحديث: إظهار الشيء وإيضاحه. ويكون سحراً بمعنى أنه يُغير الحقائق ويُقبح الحسن ويُحسن القبيح".

وقال ابن القيم: قال في "إعلام الموقعين": "البيان سحر لأن الساحر يُظهر الباطل في صورة الحق، والبيان يُظهر الحق في صورة الباطل أحياناً، ويُظهر الباطل في صورة الحق أحياناً".

باب مَا جَاءَ فِي الكُهّانُ وَنَحْوِهِمْ

روى مسلم في صحيحه عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ اللّه [أنه] " قال: مَنْ أَتَى عَرّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ يومًا » .

بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم :

لم تُذكر اسم زوجة النبي في رواية مسلم، ولكن هناك روايات أخرى في سنن الترمذي وأبي داود وابن ماجه تُبين أن الراوية هي حفصة بنت عمر بن الخطاب، أم المؤمنين، إحدى زوجات النبي.

* مَنْ أَتَى عَرّافًا:

أتى: أي ذهب إليه أو جاءه.

عَرّافًا: هو الذي يدعي معرفة الغيب عن طريق الكهانة، أو التنجيم، أو ضرب الرمل، أو قراءة الكف، أو استخدام الفنجان. ويُطلق عليه أيضاً "الكاهِن".

* الفرق بين العراف والساحر: العراف يدعي معرفة الغيب، أما الساحر فيقوم بأعمال السحر من عقد ونفث. وكلاهما محرم في الإسلام.

* فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ:

أي طلب منه أن يُخبره عن أمر غائب، سواء كان مستقبلياً، أو متعلقاً بضياع شيء، أو أي أمر آخر.

مجرد السؤال عن الغيب من العراف هو فعل محرم، ويُعتبر أول خطوة نحو تصديقه.

* فَصَدّقَهُ بِمَا يَقُولُ:

أي آمن بكلامه، واقتنع بأنه يملك معرفة الغيب. وهذا هو الخطر الأكبر

في التعامل مع العرافين.

هناك فرق بين مجرد السؤال والتصديق. مجرد السؤال يُؤدي إلى عدم قبول الصلاة، أما التصديق فيُعد كفراً بالله، كما ورد في روايات أخرى.

* لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا:

هذا هو الوعيد الشديد لمن يذهب إلى عراف ويُصدقه. فعدم قبول

الصلاة ليس معناه أن الصلاة لا تصح، بل معناها أن صلاة هذا الشخص لا يثاب عليها، وإن كان يجب عليه أن يؤديها.

هذا الوعيد يُبين خطورة التعامل مع العرافين، وأنه لا يُقتصر على عدم قبول الصلاة، بل هو ذنب عظيم يُؤثر على حياة الإنسان وعبادته.

وعن أبي هريرةرضي‌الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: مَنْ أتى كاهِنًا، فَصَدّقَهُ بِمَا

يَقُولُ، فَقَدْ كفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمّدٍ . رواه أبو داود".

وللأربعة، والحاكم، وقال : صحيح على شرطهما . [عن أبي هريرة : من أتى عَرّافًا أو كاهِنًا، فَصَدّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمّدٍ .

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا .)

* أبو هريرة: هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي، من أكثر الصحابة روايةً للحديث النبوي، وقد دعا له النبي بالحفظ، فكان من أحفظ الصحابة.

* ابن مسعود: هو الصحابي عبد الله بن مسعود الهذلي، من فقهاء الصحابة وعلمائهم، يُعرف بصدق روايته للحديث وفهمه العميق للدين.

* مَنْ أتى كاهِنًا:

* أتى: تعني ذهب إليه أو جاءه.

* كاهِنًا: هو الذي يدعي معرفة الغيب عن طريق التكهن، وقد يكون له مُعين من الجن والشياطين. والكهانة أشمل من العرافة.

* العَرّاف: في رواية أخرى، يُضاف "عَرّافًا". وهو الذي يدعي معرفة الأمور الضائعة أو المسروقة، أو ما شابه ذلك، ويستدل على ذلك بمقدمات يزعم أنها توصله إلى الحقيقة.

هذا اللفظ يشمل كل من يدعي معرفة الغيب أو المستقبل، سواء كان ساحرًا، أو كاهنًا، أو عرافًا، أو منجمًا.

* فَصَدّقهُ بِمَا يَقُولُ:

هذا هو مفتاح الحكم في الحديث. التصديق هنا يعني الإيمان بكلامه واعتقاد أنه يعلم الغيب.

* الفرق بين السؤال والتصديق: مجرد الذهاب والسؤال دون تصديق له حكم، أما التصديق فله حكم أشد.

والمعنى : من يُصدق الكاهن يُشرك مع الله في صفة من صفاته، وهي علم الغيب.

* فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمّدٍ:

* هذا هو الوعيد الأشد في الحديث.

* كَفَرَ: يعني أنه ارتكب فعلا ً يُخرجه من الملة، لأنه يُنافي أساس

الإيمان.

* بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمّدٍ: أي القرآن والسنة، اللذان يُثبتان أن علم الغيب لله وحده.

* المعنى: من يصدق الكاهن فهو يكذب القرآن الذي قال: {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}. وهذا يُعد كفرًا صريحًا.

* رواية أبي داود: "من أتى كاهنًا، فصدّقه بما يقولُ، فقد كفَرَ بما أُنزِلَ على محمدٍ". هذه الرواية تُركز على الكهانة، وتُبين أن التصديق بها يُعد كفرًا.

* رواية الأربعة والحاكم: "من أتى عرّافًا أو كاهنًا، فصدّقه بما يقولُ، فقد كفَرَ بما أُنزِلَ على محمدٍ".

هذه الرواية أشمل من سابقتها، حيث تُضيف العرافة إلى الكهانة، مما يدل

على أن كل من يدعي علم الغيب يُساويهما في الحكم.

* رواية أبي يعلى عن ابن مسعود: "موقوفًا".

الموقوف هو ما كان من قول الصحابي وليس من قول النبي. ومع ذلك، فإن هذا القول له أهمية كبيرة، لأن ابن مسعود من كبار فقهاء الصحابة، ولا يمكن أن يقول مثل هذا الكلام إلا وهو يعتقد أنه من الدين.

وعن عمران بن حصين مرفوعا: لَيْسَ مِنّا مَنْ تطيّرَ أوْ تُطيّرَ لَهُ، أوْ

تكهّنَ أوْ تُكهّنَ لَهُ ، أوْ سَحَرَ أوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أتى كاهِنًا، فَصَدّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ

كفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمّدٍ » رواه البزار " بإسناد جيد."

* عمران بن حصين:

هو الصحابي الجليل عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي. أسلم عام خيبر، وكان من فضلاء الصحابة وعبّادهم. كان يُعرف بفضله وورعه، ودُعِيَ ليكون قاضيًا في البصرة فرفض.

* لَيْسَ مِنّا:

هذا اللفظ من أشد ألفاظ الوعيد في السنة النبوية. لا يعني أن من فعل هذه الأفعال يخرج من ملة الإسلام، بل يعني أنه ليس على هدينا، وليس على طريقتنا الكاملة، وأنه قد ارتكب ذنبًا عظيمًا يُنافي كمال الإيمان.

* مَنْ تطيّرَ أوْ تُطُيّرَ لَهُ:

* تطيّرَ: هو التشاؤم من شيء معين، سواء كان طائرًا، أو حيوانًا، أو شخصًا، أو يومًا. فمثلا ً، كان أهل الجاهلية يتشاءمون من الغراب أو البومة.

* تُطُيّرَ لَهُ: هو أن يُفعل له ذلك، أي أن يطلب من شخص آخر أن يتشاءم له. وهذا يُشير إلى أن من يطلب هذا الفعل مثله مثل من يفعله.

هذا اللفظ يُحذر من الاعتقاد بأن المخلوقات لها تأثير في جلب النفع أو الضر، وهذا يُنافي التوكل على الله.

* أوْ تكهّنَ أوْ تُكُهّنَ لَهُ:

* تكهّنَ: هو أن يدعي علم الغيب، سواء عن طريق الاستعانة بالجن، أو قراءة الفنجان، أو غير ذلك من الطرق.

* تُكُهّنَ لَهُ: هو أن يطلب من الكاهن أن يتكهن له، أو أن يذهب إليه ليُخبره عن الغيب. وهذا يدل على أن من يطلب ذلك مشارك في الإثم.

* أوْ سَحَرَ أوْ سُحِرَ لَهُ:

* سَحَرَ: هو القيام بفعل السحر، وهو عقد ورقى وتعاويذ شيطانية تؤثر في الأبدان والقلوب.

* سُحِرَ لَهُ: هو أن يطلب من الساحر أن يقوم بالسحر له. وهذا يُدخل من يطلب السحر في نفس حكم الساحر، وهو الكفر.

* وَمَنْ أتى كاهِنًا، فَصَدّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمّدٍ:

* هذا الجزء من الحديث يُفصِّل ويُشدد على خطورة التصديق بما يقوله الكاهن.

* أتى كاهِنًا: أي ذهب إليه.

* فَصَدّقَهُ: أي آمن بكلامه واعتقد أنه يعلم الغيب.

* فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمّدٍ: هذا هو أشد الوعيد، ويعني أن من صدّق الكاهن قد كذب القرآن والسنة، اللذين يؤكدان أن علم الغيب لله وحده. وهذا يُعد كفرًا مُخرجًا من الملة.

ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : (ومَنْ أتى عرافا) إلى آخره .

قال البغوي : العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق، ومكان الضالة، ونحو ذلك .

وقيل: هو الكاهن.

والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.

وقيل : الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية : العراف اسم للكاهن [و] المنجم

[و] الرمال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق. "

وقال ابن عباس في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم: ما أرى

من فعل ذلك له عند اللّه من خلاق.

- باب مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عن جابر رضي الله "، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة؟ فقال: هِيَ مِنْ

عَمَلِ الشّيْطَانِ . رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود. "

* جابر: هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري، كان من أكثر الصحابة روايةً للحديث النبوي، وقد شهد مع النبي العديد من الغزوات. اشتهر بصدق روايته وحفظه الجيد للحديث.

* سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ:

* النشرة: هي نوع من العلاج الذي كان يُستخدم لإزالة السحر عن المسحور. وكان أهل الجاهلية يستعملون فيها طرقا سحرية أو شركية.

* المعنى: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم هذا النوع من العلاج، أي هل هو جائز أم لا؟

* هِيَ مِنْ عَمَلِ الشّيْطَانِ:

* هذا هو الجواب الحاسم من النبي صلى الله عليه وسلم.

* مِنْ عَمَلِ الشّيْطَانِ: أي أن هذا الفعل باطل ومحرم، لأنه يتضمن

الاستعانة بالشياطين، أو استخدام طرق سحرية أو شركية.

* هذا اللفظ يُشير إلى أن النشرة الجاهلية، التي كانت تُستخدم فيها

طلاسم وكلمات لا تفهم، أو استعانة بالجن، هي محرمة، لأنها ليست من الشريعة، بل من عمل الشياطين.

وقال: سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله .

وفي [صحيح البخاري عن قتادة : قلت لابن المسيب: رجل

به طب أو يُؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو يُنشر ؟ قال: لا بأس به، إنما

يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع، فلم ينه عنه. انتهى "

* قتادة: هو الإمام قتادة بن دعامة السدوسي البصري. كان من أئمة التابعين، ومشهورًا بقوة حفظه وروايته للأحاديث. كان من أهل العلم الذين يُرجع إليهم في الفقه والحديث.

* ابن المسيب: هو الإمام سعيد بن المسيب، أحد فقهاء المدينة السبعة. كان من كبار التابعين، وعالمًا جليلًا، يُعرف بورعه وعلمه الواسع. يُعتبر من أعظم علماء التابعين، وتُؤخذ أقواله في الفقه بجدية.

* رجل به طِبٌ:

* طِبٌ: في هذا السياق، كلمة "طِبٌ" تعني السحر. والمقصود أن الرجل قد أُصيب بالسحر.

* يسأل قتادة سعيد بن المسيب عن حكم علاج رجل أصيب بالسحر.

* أَوْ يُؤْخَذُ عَنْ امْرَأَتِهِ:

* يُؤْخَذُ: أي يُحبس أو يُمنع عن امرأته.

هذا يُشير إلى نوع معين من السحر، وهو سحر الربط، الذي يمنع الرجل من جماع زوجته. وهذا يُبين أن السؤال كان عن نوعين من السحر.

* أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَرُ؟

* يُحَلُّ عَنْهُ: أي هل يجوز فك السحر عنه.

* يُنْشَرُ: هي النشرة التي تحدثنا عنها سابقاً، وهي العلاج الذي يُستخدم لإزالة السحر.

* قَالَ: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع، فلم ينه عنه:

* هذا هو جواب سعيد بن المسيب، وهو يؤيد جواز النشرة في حالتها هذه.

* لا بأس به: أي أنه جائز شرعًا.

* إنما يريدون به الإصلاح: هذا هو العلة التي ذكرها سعيد بن المسيب

لجواز النشرة. فالهدف منها هو إصلاح حال المسحور وعلاجه، وليس الإفساد.

* فأما ما ينفع، فلم يُنهَ عنه: هذا قاعدة فقهية عظيمة. فكل ما فيه نفع للناس، ولم يرد نص صريح في تحريمه، فهو جائز.

* النشرة التي ذكرها سعيد بن المسيب: قول سعيد بن المسيب يُحمل على النشرة التي تُستخدم فيها وسائل مشروعة، مثل قراءة القرآن، أو الأدوية المباحة، أو ما شابه ذلك، وليس السحر.

كيف نجمع بين حديث جابر وأثر ابن المسيب؟

* حديث جابر يُحرم النشرة التي تُستخدم فيها أعمال شيطانية، وهذا هو ما كان يفعله أهل الجاهلية.

* أثر ابن المسيب يُجيز النشرة التي تُستخدم فيها وسائل مشروعة بهدف العلاج والإصلاح.لذلك، فإن القاعدة الشرعية هي: جواز العلاج بالرقية الشرعية، وحرمة العلاج بالرقية الشيطانية. وأثر ابن المسيب يُؤكد على هذه القاعدة، ويُبين أن العلاج إذا كان هدفه الإصلاح ووسيلته مشروعة، فهو جائز.

وروي عن الحسن"، أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر .

قال ابن القيم : النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز

باب مَا جَاءَ فِي التّطير

وقول الله تعالى : أَلَا إِنَّمَا طَيْرُهُمْ عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[الأعراف:.]١٣١

* أَلَا إِنَّمَا طَيْرُهُمْ عِندَ اللهِ:

* أَلَا: أداة تنبيه تُستخدم لجذب انتباه المستمع، وتُشير إلى أهمية ما سيُقال.

* إِنَّمَا: أداة حصر وقصر، تؤكد على أن الحكم مختص بما بعدها.

* طَيْرُهُمْ: هنا تُستخدم كلمة "طَيْرُهُمْ" بمعنى حظهم ونصيبهم من الخير

والشر، وليس بمعنى الطيور الحقيقية. وقد كان العرب قديماً يتفاءلون ويتشاءمون من الطيور، لذلك استُخدم هذا اللفظ للدلالة على التشاؤم.

* عِندَ اللهِ: أي أن كل ما يصيبهم من خير أو شر هو بقدر الله وحده، وليس بسبب موسى أو المؤمنين، وليس بسبب أي شيء آخر يتشاءمون منه.

* وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ:

* هذا الجزء من الآية يُبين السبب وراء التشاؤم، وهو الجهل.

* لا يَعْلَمُونَ: أي لا يعلمون أن الأمور كلها بيد الله، وأن ما أصابهم من مصائب هو بسبب ذنوبهم، وليس بسبب موسى أو من معه.

فالله تعالى يُعلمنا أن ما يظنه الناس سببًا لمصائبهم، مثل موسى

والمؤمنين في قصة فرعون، هو في الحقيقة لا علاقة له بالموضوع. فالأمر كله بيد الله، وهو الذي يملك النفع والضر.

والتشاؤم هو نوع من الشرك، لأنه يُعلق القلب بغير الله، ويُعتقد أن هناك شيئًا ما له تأثير مستقل في مجرى الأحداث.

وقوله : (قَالُوا طَيْرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) [يس:١٩].

* قَالُوا طَيْرُكُم مَّعَكُمْ:

* طَيْرُكُم: كما في الآية السابقة من سورة الأعراف، تُستخدم كلمة "طَيْرُكُم" بمعنى حظكم ونصيبكم من الشر والشقاء. أي أن مصائبكم ليست بسببنا، بل هي نتاج أعمالكم أنتم.

* مَّعَكُمْ: أي أن سبب مصائبكم هو منكم وفيكم. إنه يلازمكم بسبب سوء أفعالكم وكفركم.

فالأنبياء يُخبرون أهل القرية أن مصائبهم ليست من التشاؤم بهم، بل هي بسبب ذنوبهم وكفرهم الذي يلازمهم.

* أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ:

* هذا الجزء من الآية هو استفهام إنكاري.

* أَإِنْ: همزة الاستفهام هنا تُفيد الاستنكار والتوبيخ.

* ذُكِّرْتُمْ: أي إذا نُصِحْتُمْ وذُكِّرْتُمْ بِاللّٰه.

فالأنبياء يستنكرون على أهل القرية فعلهم. فهل من المعقول أن يكون ردكم على التذكير بالحق والنصيحة هو التشاؤم والتهديد بالقتل؟

* بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ:

* بَلْ: أداة للإضراب والانتقال من موضوع لآخر، تُستخدم هنا لتصحيح الخطأ وتوضيح الحقيقة.

* مُّسْرِفُونَ: أي مُجاوزون للحد في كفركم وظلمكم. والإسراف هنا ليس في المال، بل في المعصية والضلال.

فالأنبياء يُصححون مفهومهم الخاطئ، ويُخبرونهم أن المشكلة ليست فيهم، بل في أهل القرية الذين تجاوزوا الحد في المعصية والضلال.

وعن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا

هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ . أخرجاه".

زاد مسلم: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ .

أبو هريرة: هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي، من أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي، وقد دعا له النبي بالحفظ، فكان من أحفظ الصحابة.

* لَا عَدْوَى:

العدوى: انتقال المرض من شخص مريض إلى شخص سليم.

هذا النفي ليس نفياً لوجود العدوى، فالعدوى أمر ثابت علمياً. بل هو نفي للاعتقاد الجاهلي بأن العدوى تؤثر بذاتها وباستقلال عن إرادة الله. أي أن المرض لا ينتقل إلا بأمر الله وقدره.

* وَلَا طِيَرَةَ:

* الطيرة: هي التشاؤم من شيء معين، كطير، أو شخص، أو يوم.

لا يوجد شيء يسبب الشؤم بذاته، بل كل ما يحدث هو بقدر الله. التشاؤم باطل، وهو من أعمال الجاهلية.

* وَلَا هَامَةَ:

* الهامة: هي نوع من طيور الليل (البومة). كان أهل الجاهلية يعتقدون أن روح الميت إذا ماتت ولم تُدفن، تحولت إلى هامة، وأن هذه الهامة إذا حامت حول بيت الميت فهي تُنذره بالشر.

هذا الاعتقاد باطل، فليس للروح علاقة بهذا الطير، وليس لهذا الطير أي تأثير على حياة البشر.

* وَلَا صَفَرَ:

* صَفَرَ: اختلف العلماء في تفسيره:

* القول الأول: أنه شهر صفر، حيث كان أهل الجاهلية يتشاءمون منه.

* القول الثاني: أنه داء في البطن يصيب الإنسان.

على كلا التفسيرين، فإن الحديث يُبطل هذه المعتقدات. فليس لشهر صفر أي تأثير في الأحداث، وليس للمرض أي قدرة بذاته على التأثير.

الزيادة في رواية مسلم وَلَا نَوْءَ:

* النوء: هو سقوط نجم في الغرب عند الفجر، وطلوع آخر في الشرق. كان أهل الجاهلية يعتقدون أن النجوم هي التي تُنزل المطر، فيقولون: "مُطرنا بنوء كذا وكذا".

هذا الاعتقاد باطل، لأن الله هو الذي يُنزل المطر وحده، وليس للنجوم أي تأثير.

* وَلَا غُولَ:

* الغول: هو جنّي أو شيطان يتشكل في صورة إنسان أو حيوان ليُضل الناس في الصحراء.

هذا النفي لا يعني عدم وجود الغيلان، بل يعني أنها لا تستطيع أن تُضل الإنسان أو تقتله إذا كان متوكلا ً على الله.

ولهما عن أنس، قال: قال رسول الله : لَا عَدْوَى، وَلَا طِيرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ». قالوا: وما الفال ؟ قال: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ .

* أنس: هو الصحابي الجليل أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم. خدم النبي عشر سنوات، ودعا له النبي بالبركة في المال والولد والعمر، فكان من أكثر الصحابة مالًا وولدًا وأطولهم عمرًا.

* لَا عَدْوَى:

* العدوى: انتقال المرض من شخص مريض إلى شخص سليم.

هذا النفي ليس نفياً لوجود العدوى بحد ذاتها، بل هو نفي للاعتقاد الجاهلي بأن المرض ينتقل بقدرته الذاتية وبشكل مستقل عن إرادة الله.

فالنبي صلى الله عليه وسلم يُعلمنا أن العدوى لا تنتقل إلا بأمر الله وقدره.

* وَلَا طِيَرَةَ:

* الطيرة: هي التشاؤم من شيء معين، كطائر، أو حيوان، أو شخص، أو يوم.

هذا اللفظ يُبطل خرافة التشاؤم. لا يوجد شيء يسبب الشؤم بذاته، بل كل ما يحدث هو بقدر الله وحده. وهذا اللفظ يُؤكد أن التشاؤم من الشرك الأصغر، لأنه يُعلق القلب بغير الله.

* وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ:

* الفأل: هو الكلمة الطيبة التي يسمعها الإنسان فيُسَرّ بها، ويُحسن الظن ب الله.

هذا اللفظ يُقابل "الطيرة"، فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التشاؤم، ولكنه أحب التفاؤل، وهو أن يسمع المرء كلمة حسنة فيستبشر خيرًا.

* الفرق بين الفأل والطيرة:

* الطيرة: تشاؤم، وهي من عمل الشيطان. تُصرف عن العمل، وتُنافي التوكل.

* الفأل: تفاؤل، وهو من عمل الصالحين. يدفع إلى العمل، ويُقوي التوكل على الله.

* قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟

هذا سؤال من الصحابة للاستفسار عن ماهية الفأل، مما يدل على أنهم فهموا النهي عن الطيرة، ولكنهم لم يفهموا الفأل.

* قَالَ: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ:

هذا هو التفسير النبوي للفأل. هو أن يسمع الإنسان كلمة طيبة

.

ولأبي داود بسند صحيح عن عروة بن عامر " ، قال : ذُكِرَتِ الطيرة

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أَحْسَنُهَا الفَالُ، وَلَا تَرُدَ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حول وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ .

* عروة بن عامر: هو الصحابي عروة بن عامر القرشي. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث. وهو تابعي، ويُعتبر حديثه من أحاديث الثقات، وقد أخرج له أبو داود والترمذي.

* ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم:

* الطيرة: هي التشاؤم من شيء معين، مثل رؤية طير أو حيوان، أو سماع صوت، أو رؤية شخص معين، أو يوم معين، واعتقاد أن ذلك سيجلب الشر.

هذا يدل على أن الصحابة كانوا يسألون النبي عن حكم الطيرة التي كانت منتشرة في الجاهلية، وكيفية التعامل معها في الإسلام.

* فَقَالَ: أَحْسَنُهَا الفَأْلُ:

* الفأل: هو الكلمة الطيبة التي يسمعها الإنسان، فيستبشر بها ويُحسن الظن بالله.

النبي صلى الله عليه وسلم يُبين أن أفضل ما في الطيرة (وهي مذمومة) هو أن تُحوّل إلى فأل، وهو عكس التشاؤم. فبدلا ً من أن يتشاءم الإنسان، عليه أن يتفاءل. وهذا يُعلم المسلم أن يُحسن الظن بربه في كل أحواله.

* وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا:

هذا هو التحذير من الطيرة. فالنبي ينهى عن أن يُرجع المسلم عن حاجته أو يُصرف عن عمله بسبب التشاؤم. فمن يتشاءم ويعتقد أن التشاؤم سيضر به، فقد أشرك.

الطيرة تُنافي التوكل على الله. فالذي يتوكل على الله لا يلتفت إلى هذه الخرافات، بل يمضي في طريقه.

* فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ:

هذا هو العلاج النبوي للتشاؤم. إذا شعر المسلم بشيء من التشاؤم في قلبه، فإنه عليه أن يلجأ إلى الله بهذه الكلمات، ليتخلص من وسوسة الشيطان.

* اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ: هذا اعتراف من العبد بأن الخير كله بيد الله، فلا يملك أحد أن يجلب له الخير إلا الله.

* وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ: هذا إقرار بأن دفع الشر والمصائب لا يملكه أحد إلا الله.

* وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ: أي لا قدرة لي على التحرك من حال إلى حال، ولا قوة على فعل الخير أو ترك الشر، إلا بمعونتك وتوفيقك.

* الفرق بين الفأل والطيرة:

الطيرة من عمل الشيطان، وهي تُورث اليأس وسوء الظن بالله. أما الفأل فهو من التفاؤل، ويُقوي حسن الظن بالله.

وعن ابن مسعود مرفوعا [قال]: الطيرة شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا " إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ رواه أبو داود والترمذي وصححه.

وجعل آخره من قول ابن مسعود.

* ابن مسعود: هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الهذلي. من أوائل من أسلموا، وصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم. شهد له النبي

بالعلم والفقه، وهو من فقهاء الصحابة الذين يُرجع إليهم في العلم، وقدوة يُحتذى بها في التمسك بالسنة.

* الطيرة شِرْكٌ، الطيرة شِرْكٌ:

* الطيرة: هي التشاؤم من شيء معين، سواء كان ذلك طيرًا، أو حيوانًا، أو شخصًا، أو يومًا. فكان أهل الجاهلية إذا أرادوا السفر، ونظروا إلى الطير، فإن طارت يمينًا تفاءلوا، وإن طارت يسارًا تشاءموا ورجعوا.

* شِرْكٌ: هذا اللفظ هو أشد ألفاظ الوعيد. النّبي صلى الله عليه وسلم لم يقل "من الكبائر" أو "من المحرمات"، بل قال "شِرْكٌ". وهذا يُشير إلى أن الطيرة نوع من الشرك الأصغر، لأنه يُعلق القلب بغير الله تعالى، ويجعل في المخلوق قوةً مستقلة في جلب الخير أو دفع الشر.

* وَمَا مِنّا إلّا:

هذا اللفظ يُشير إلى أن الخاطر أو الوسوسة بالتشاؤم قد تقع في قلب كل إنسان، حتى الصحابة. وهذا يدل على أن هذا الأمر ليس سهلًا، وأن

الإنسان قد يجد في قلبه شيئًا من ذلك، ولكنه لا يترتب عليه الإثم ما لم يُصدق به أو يعمل بمقتضاه.

يُوضح الحديث أن الإنسان ليس آثماً إذا عرض في قلبه خاطر التشاؤم، بل الإثم يقع إذا استجاب له، وتراجع عن عمله، أو اعتقد أن هذا التشاؤم سيؤثر فيه.

* وَلَكِنّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتّوَكّلِ:

* يُذْهِبُهُ: أي يُزيله ويُخلصه من القلب.

* التوكل: هو الاعتماد الكلي على الله تعالى في جلب الخير ودفع الشر، مع الأخذ بالأسباب.

هذا الجزء من الحديث يُقدم العلاج النبوي للتشاؤم. فإذا وقع في قلب المسلم شيء من الطيرة، فعليه أن يلجأ إلى التوكل على الله، وأن يُسلم أمره له، وأن يعتقد أن النافع والضار هو الله وحده. والتوكل يزيل هذه الوساوس ويدفعها عن القلب.

ولأحمد من حديث [عبد الله بن عمرو : مَنْ رَدّتْهُ الطّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ، قالوا: فما كفارة ذلك يا رسول الله ؟ قال: «أَنْ تقُولَ: اللهُمّ لا خَيْرَ إلّا خَيْرُكَ، وَلا طَيْرَ إلّا طَيْرُكَ وَلا إلَهَ غَيْرُكَ .

هو عبد الله بن عمرو بن العاص، من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد العبادلة الأربعة (عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير). اشتهر بكثرة روايته للحديث، واهتمامه الشديد بالعبادة والزهد. كان يكتب ما يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم

بإذنه، وكان يلقب بـ"أكثر أهل الأرض حديثًا" بعد أبي هريرة.

* "من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك":

* الطيرة: هي التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم، كالتشاؤم بمرور طائر أسود، أو بسماع صوت بومة، أو برؤية شخص أعور، أو بمجرد معرفة أن يومًا ما هو يوم نحس. كان العرب في الجاهلية يتشاءمون بالطيور، فإذا رأوا طائرًا ساروا في اتجاهه أو رجعوا عنه، فإذا طار يمينًا تفاءلوا وإذا طار يسارًا تشاءموا.

* "ردته عن حاجته": أي منعتْهُ وأوقفتْه عن المضي في أمر أراده، بسبب هذا التشاؤم. فمثلا ً، إذا أراد السفر فرأى شيئًا يتشاءم منه، فيتوقف عن سفره.

* "فقد أشرك": هذا هو بيت القصيد. الشرك هنا هو الشرك الأصغر، لأنه تعلّق قلبه بغير الله، واعتقد أن هذا المخلوق له تأثير في جلب الخير أو دفع الضر، وهذا ينافي كمال التوحيد. فالطيرة تتضمن نوعًا من الاعتقاد في غير الله، وهذا الاعتقاد هو الذي يوصل إلى الشرك..

* "فما كفارة ذلك يا رسول الله؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك":

* "فما كفارة ذلك": أي ما الذي يمحو أثر هذا التشاؤم، وكيف يتخلص

الإنسان من إثم هذا الشرك الأصغر.

* "اللهم لا خير إلا خيرك": فيه إثبات أن الخير كله من الله وحده، فالله هو الذي بيده الخير، لا طائر ولا مخلوق. وهذا يدفع وساوس الشيطان.

* "ولا طير إلا طيرك": أي لا تأثير لأي شيء من الطيور أو الأيام أو الأرقام أو الأشخاص، بل كل شيء بقضاء الله وقدره. فالله هو الذي يجري الأقدار، وليس للمخلوقات أي تأثير مستقل.

* "ولا إله غيرك": هي كلمة التوحيد التي تجمع كل ما سبق. فإذا اعتقدت أن لا إله إلا الله، فكل خير ورزق ونفع وضر لا يكون إلا منه وحده، ولا يشركه في ذلك أحد.

وله من حديث الفضل بن عباس: إنّمَا الطّيّرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ ردك

هو الفضل بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخو عبد الله بن عباس. كان من أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يلقب بـ"قمر قريش" لحسن وجهه. لازم النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وكان رديفه على راحلته، وهو الذي أغمض عينيه صلى الله عليه وسلم عند وفاته.

* "إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك":

* هذا الحديث يوضح معنى الطيرة العملي. فالطيرة الحقيقية المحرمة هي التي يترتب عليها فعل أو ترك.

* "أمضاك": أي جعلك تمضي في أمرٍ كنتَ مترددًا فيه. كأن يكون الشخص مترددًا في أمر ما، فيرى شيئًا يتفاءل به، فيمضي في أمره اعتمادًا على هذا التفاؤل، لا على توكله على الله.

* "أو ردك": أي جعلك تتراجع وتتوقف عن أمر كنتَ عازمًا عليه. كأن يكون الشخص قد قرر السفر، فيرى طائرًا يتشاءم منه، فيرجع عن قراره. وهذا هو الوجه الأكثر شيوعًا وخطورة في التطير.

* المقصود من الحديث: أن مجرد شعور الإنسان بالخاطر أو الوسوسة لا يضره، فكل إنسان يمكن أن يمر بخاطر التطير، ولكن الخطورة تكمن في أن يؤثر هذا الخاطر على قراراته وأفعاله، فيمضي في أمر أو يتوقف عنه بناءً على هذا التشاؤم.

- بَاب مَا جَاءَ فِي التّنْجِيم

قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم الثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير

هو أبو الخطاب، قتادة بن دعامة السدوسي البصري. يُعتبر من كبار تابعي البصرة وأشهرهم، ومن أئمة التفسير والحديث والفقه. كان موصوفًا بالحفظ الواسع، وقوة الذاكرة، وجمع العلم. قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: "قتادة أحفظ أهل البصرة". كان رحمه الله ضريرًا، ومع ذلك كان من أعلم الناس وأكثرهم حفظًا. يُعد قوله هذا من الأقوال المعتمدة لدى السلف في تفسير آيات النجوم.

"خلق الله هذه النجوم لثلاث"

هذه العبارة هي بداية الأثر، وفيها يحدد قتادة الأغراض والحكم الإلهية من خلق النجوم، ويحصرها في ثلاثة، استنادًا إلى فهمه للنصوص القرآنية.

"جعلها زينة للسماء"

الله سبحانه وتعالى خلق النجوم لتكون مظهرًا جماليًا يُزيّن السماء، ويعكس عظمة الخالق وبديع صنعه.

"ورجومًا للشياطين"

الغرض الثاني من خلق النجوم هو أنها تستخدم في رجم الشياطين التي تحاول استراق السمع من السماء. هذه الشهب التي نراها ليست النجوم نفسها، بل هي شُعل من النار تُقذف على الشياطين من النجوم.

"وعلامات يُهتدى بها"

الغرض الثالث هو أن الله جعل النجوم علاماتٍ يهتدي بها الناس في سفرهم، سواء في البر أو البحر، خصوصًا في ظلام الليل، لتحديد الاتجاهات ومعرفة الطرق.

* "فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ":

يشدد قتادة على أن أي استخدام أو اعتقاد في النجوم يخرج عن هذه الأغراض الثلاثة التي حددها الله ورسوله، هو خطأ وضلال.

* "غير ذلك" هنا يشمل:

* الاعتقاد في تأثير النجوم على حياة الناس: كالقول بأن هذا النجم يجلب الخير أو ذاك الشر، أو أن حركة الكواكب تؤثر على أقدار البشر، وهذا ما يُعرف بـ علم التنجيم.

* الاعتقاد بأن النجوم هي سبب الحوادث الكونية: كأن يُنسب المطر إلى نجم معين (الأنواء)، وهو ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

* "وأضاع نصيبه":

من يتبع غير هذه الأغراض الشرعية، فإنه يضيع نصيبه من التوحيد والخير، ويُعرّض نفسه للعقوبة، لأن هذا الفعل يدخل في باب الشرك.

فالاعتقاد في تأثير النجوم يُعد من الشرك الأصغر، وقد يصل إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد أن النجم هو الذي ينفع ويضر دون الله.

* "وتكلف ما لا عِلمَ له به":

هذه الأقوال والادعاءات حول النجوم مبنية على الظن والتخمين، لا على علم صحيح. فكل من يدعي أن النجوم تؤثر على الأقدار، فإنه يتكلم في أمر غيبي لا يعلمه إلا الله، وهو بذلك يتكلف ويُقوّل نفسه ما لا تستطيع. وهذا نهي صريح عن الخوض في علم التنجيم.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب" عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق .

وعن أبي موسى، قال رسول الله : ثلاثة لا يَدْخُلُونَ الجَنّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وَمُصَدّقٌ بِالسّحْرِ، وَقاطِعُ الرّحِمِ"، رواه أحمد وابن حبان في صحيحه

هو عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، يُكنى بأبي موسى. صحابي جليل،

من قراء الصحابة وفقهائهم. كان حسن الصوت بقراءة القرآن، وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد أُوتيَ هذا مزماراً من مزامير آل داود". كان واليًا على البصرة والكوفة في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما. اشتهر بعلمه وزهده وورعه.

"ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ"

هذا التعبير، أو ما شابهه مثل "ليس منا"، أو "لا يؤمن"، هو من أساليب الوعيد الشديد والزجر في السنة النبوية.

* ذهب أهل العلم في تفسير هذا اللفظ إلى قولين رئيسيين:

* القول الأول: أن المراد هنا لا يدخلونها ابتداءً مع الفائزين الأولين، أي أنهم قد يُعاقَبون في النار بقدر ذنوبهم ثم يدخلون الجنة برحمة الله. وهذا ينطبق على أصحاب الكبائر الذين ماتوا على التوحيد، لأن أهل السنة

والجماعة لا يكفرون أحدًا بذنب ما لم يستحله.

* القول الثاني: أن المراد لا يدخلونها إن استحلوا فعل هذه الكبائر، لأن استحلال الحرام المعلوم من الدين بالضرورة كفر مخرج من الملة. فمن استحل شرب الخمر أو قطع الرحم أو تصديق السحر فقد كفر وخرج من

الإيمان.

"مُدْمِنُ الخَمْرِ"

هو الذي يُديم شرب الخمر ولا يتركه، ويُصرّ عليه، ويُصبح عادة عنده. وهذا أشد من شربها لمرة واحدة، لأنه يدل على استخفاف بأمر الله وإصرار على المعصية.

"وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ"

هو الذي يؤمن بتأثير السحر، ويُصدّق أقوال السحرة والكهان والعرافين، ويعتقد أنهم يعلمون الغيب أو أنهم يستطيعون جلب النفع أو دفع الضر.

* السحر حقيقة وله تأثير، وقد يُصيب بإذن الله الكوني (أي بمشيئة الله)، ولكن لا يجوز الاعتقاد أن الساحر يفعل ذلك بقدرته الذاتية.

* تصديق الساحر في دعواه علم الغيب هو الذي يوصل إلى الكفر، لأن علم الغيب لله وحده.

"وَقَاطِعُ الرّحِمِ"

هو الذي يهجر أقاربه من جهة الأب والأم، ويقطع التواصل معهم دون سبب شرعي، فلا يصلهم بالزيارة أو السؤال أو الإحسان.

- باب مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقاء بالأ َنْوَاء

وقول الله تعالى (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) [الواقعة : ٨٢].

* "وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ"

أي: تجعلون شكركم على رزق الله ونعمته التي يسوقها إليكم (خاصة المطر الذي هو قوام الرزق)، فكلمة "الرزق" هنا أريد بها "شكر الرزق" أو "حظكم ونصيبكم من الرزق".

* "أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ"

أي: تجعلون الشكر هو التكذيب، أو بدل التكذيب، وذلك بنسبة المطر

والنعمة إلى غير الله، كقولهم: "مُطِرنا بنَوْء كذا وكذا".

* التكذيب هنا هو: جحد النعمة ونسبتها إلى الأنواء (منازل القمر

والنجوم) أو لغير خالقها ومُنزلها، وهو الله سبحانه.

* الحسن البصري: كان يقول: "بئس ما أخذ قوم لأنفسهم، لم يُرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب". أي لم يكن حظهم من هذه النعمة العظمى إلا التكذيب بها.

وعن أبي مالك الأشعري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ الفَخْرُ بالأ َحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأ َنساب وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ [على الميت » ، وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ». رواه مسلم

أبو مالك الأشعري رضي الله عنه اختلف العلماء في اسمه على أقوال، وقيل إن اسمه كعب بن عاصم الأشعرية من قبيلة الأشعرين اليمنية، التي قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن في سفينة، وهم الذين فيهم

قوله تعالى: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) [المائدة: ٥٤]

وكان من أهل الصفة، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث.

الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ

الفخر هو التكبر والمباهاة، والأحساب جمع "حَسب"، وهو ما يعدّه الإنسان من مآثر آبائه وأجداده من شرف، وكرم، وسؤدد، فيرى لنفسه فضلاً بسببهم دون أن يكون له عمل صالح يرفعه.

والفخر بالأحساب المذموم هو الذي يترتب عليه التكبر على الناس، أو احتقار من دونه في النسب، أو التعلق بأمجاد الآباء دون السعي لاكتساب المجد الشخصي بالتقوى. إنما الميزان الحقيقي عند الله هو التقوى والعمل الصالح.

الطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ

الطَّعْنُ هو العيب والذم والقدح، والأنساب هي الأصول التي يُنسب إليها الإنسان. والمقصود هو التكلم في نسب الآخرين بغير حق، كادعاء نقص في النسب أو عيب أو إلحاق نسبهم بغير أصولهم.

هذه الخصلة محرمة، وهي من كبائر الذنوب، وتؤدي إلى قطع أواصر المحبة والوحدة بين المسلمين، وهي اعتداء على عرض المسلم الذي أمر الشرع

وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ

الاستسقاء هو طلب السقيا (المطر). والاستسقاء بالنجوم هو إضافة نزول المطر إلى طلوع أو سقوط نجم معين (نوء)، كأن يقول القائل: "مُطِرْنا بنَوْءِ كذا"، اعتقاداً منه أن النجم هو الفاعل والمُنزِل للمطر.

هذه الخصلة هي من الشرك الأصغر، بل قد تكون شركاً أكبر إن اعتقد أن النجم هو الخالق والمُدبّر لنزول المطر دون الله تعالى. وهي منافية لأصل التوحيد في الربوبية الذي يوجب إفراد الله تعالى بالخلق والتدبير

والتصريف.

وَالنِّيَاحَةُ [على الميت]

النِّياحة هي رفع الصوت بالبكاء على الميت، وتعداد محاسنه وذكرها على وجه التسخط على قضاء الله وقدره، أو شق الجيوب ولطم الخدود ونحوه.

النياحة محرمة تحريماً شديداً، وهي من أفعال الجاهلية التي تتنافى مع الصبر والتسليم لقضاء الله وقدره. ومجرد البكاء بغير صوت أو بغير تسخط جائز، لقوله صلى الله عليه وسلم لما مات ابنه إبراهيم: «إِنّ العَيْنَ تدْمَعُ، وَالقلبَ يَحْزَنُ، وَلَا نقُولُ إِلّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ». (متفق عليه).

ولهما عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ، قال: صَلّى النّا رَسُولُ اللّه ِ صلى الله عليه وسلم صَلَاة الصبح بالحديبية على إِثْرِ سَمَاء كانَتْ مِنَ اللّيْلِ، فَلَمّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النّاس، فَقَالَ : هَلْ تدْرُونَ] " مَاذَا قَالَ رَبّكُمْ ؟ قَالُوا : اللّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ [اللّه تعالى: (قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرُ ، فَأَمّا مَنْ قَالَ: [مُطِرْنَا]

بِفَضْلِ اللّه ِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرُ بِالكَوْكَبِ، وَأَمّا مَنْ قَالَ: [مُطِرْنَا]

بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرُ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ .

زيد بن خالد الجُهَني رضي الله عنه من قبيلة جهينة القُضاعية.من مشاهير الصحابة، شهد صلح الحديبية، وله أحاديث رواها في الصحيحين وغيرهما. وهو من رواة الفقه والسنن.

عاش طويلا ً وتوفي بالمدينة المنورة في خلافة معاوية رضي الله عنه، وقيل بعد ذلك.

صَلّى لَنَا رَسُولُ اللّه ِ صلى الله عليه وسلم صَلَاة الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ

إشارة إلى وقت وقوع الحادثة، وهو بعد صلاة الفجر في منطقة الحديبية التي كانت موقعاً لمعاهدة الصلح المشهورة. وهذا يدل على أن الحديث مرتبط بوقوع نعمة المطر مباشرة بعد ليلة ممطرة، وهو ما يبرر سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لتعليمهم حقيقة الشكر.

والحادثة وقعت في وقت نزول آيات سورة الواقعة أو في وقت مقارب لنزولها، مما يربط الحديث بالآية (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)، وهذا ما أشار إليه كثير من المفسرين والسلف.

عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ

"إِثْرِ سَمَاءٍ" أي: عقب مطر نزل من السماء. وهي إشارة إلى النعمة الحاضرة التي تستوجب الشكر.

يوضح السياق أن السبب المباشر لهذا التعليم النبوي هو ظهور النعمة (المطر)، ليختبر الله العباد: هل يشكرونها وينسبونها إليه، أم يجحدونها وينسبونها إلى غيره؟

هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن وحي أو إلهام أو كلام أطلعه الله عليه، لا عن كلام من القرآن أو ما شابهه، ويسمى هذا "الحديث القدسي" أو خبر الوحي. إجابة الصحابة (الله ورسوله أعلم) هي قمة الأدب وحسن التفويض في الأمور الغيبية.

هذا الحديث القدسي غاية في الأهمية، إذ ينقل مباشرة تقسيم الله للناس بناءً على موقفهم من نعمة المطر.

أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ

هذه الجملة تبيّن أن الكفر هنا ليس بالضرورة كفراً يخرج من الملة (الشرك الأكبر) لدى كل من نَسَبَ المطر لغير الله، ولكنه ينقسم إلى:

* كفرٌ أكبر: لمن اعتقد أن النجم هو الذي يخلق المطر وينزله استقلالاً.

* كفرٌ أصغر (جحود النعمة): لمن لم يعتقد في النجم أنه الفاعل، ولكنه نسبه إليه كعادتهم في الجاهلية، أو سَبَبٍ لا تأثير له، فهو كفر بالنعمة أو شرك أصغر.

فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ

هذا هو الإيمان الكامل بالربوبية، حيث نسب النعمة إلى مصدرها الحقيقي، وهو الله تعالى بفضله ورحمته، وهذا هو الشكر الذي يزيد النعم. قوله "كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ" أي جاحد لدوره في الإنزال، ومُتبرئ من اعتقاد تأثيره.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ

النوء هو نجم يزول ويطلع مقابله في فجر كل ثلاثة عشر يوماً، وكانت العرب تزعم أن المطر يسقط عند سقوط هذا النجم وطلوع غيره، فكانوا يضيفون المطر إليه.

* الوعيد (كافر بي): الكفر هنا هو كفر بنعمة الله وجحود لها، لأنه صرفها إلى غير منعمها. أما قوله "مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ" فهو تصديق لتأثيره وإسناد النعمة إليه.

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه"، وفيه: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، فأنزل الله هذه الآيات]: فَلا أُقسِمُ بِمَوَاقِعِ النُجُومِ) وَإِنَّهُ لَقسَمٌ أَوْ تعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٢) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُون (1) لا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ تنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ أَفَهَذَا الحَدِيثِ أَنتُم مدْهِنُونَ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ] [الواقعة: ٧٥-٨٢] .

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حبر الأمة وترجمان القرآن. ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة والفقه في الدين، فصار أعلم الصحابة بالقرآن والتفسير. توفي في الطائف سنة ٦٨ هجرية.

قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا

هذا هو القول الجاهلي الذي ينسب المطر إلى النجم (النوء)، مدّعين أن اعتقادهم في تأثير النجم كان صحيحاً. وهذا القول هو جحود صريح للنعمة ، لأنهم جعلوها دليلا ً على صدق تأثير المخلوق الضعيف (الكوكب) بدلا ً من أن يجعلوها دليلا ً على فضل الخالق القوي (الله تعالى).

فَأَنزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَاتِ: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

يفتتح الله تعالى الكلام بالقسم العظيم، وقد أقسم بمكان سقوط النجوم ومسيرها فهذا القسم توبيخ مزدوج:

فالنجوم التي أقسم بها هي نفسها التي ينسبون إليها المطر! وكأن الله يقول: إن هذه النجوم عظيمة ومسيرها مُحكم، ولكن هذا العظَمَة هي دليل

على عظمتي أنا الخالق والمدبر، لا دليل على فاعليتها الذاتية في إنزال المطر.

(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)

هذا هو المقسَم عليه: أن القرآن كريم عظيم محفوظ في اللوح المحفوظ (الكتاب المكنون)، لا يمسّه من الملائكة إلا المطهرون.

فبعد أن أقسم الله بعظمة مخلوقاته (النجوم) ليرد على الشرك، أكد عظمة وحيه (القرآن)، الذي هو مصدر رزق الهداية والعلم. فكيف يقابلون هذه العظمة بالإهانة والجحود؟

(تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)

تأكيد لمرجعية القرآن ومصدره الحقيقي، فهو تنزيل من الخالق المدبر لكل شيء.

إذا كان القرآن تنزيلا ً من رب العالمين، فكيف يجرؤون على التكذيب به؟ وهو الرب الذي ينزل المطر والرزق أيضاً!

(أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ)

"الحديث" هو القرآن الكريم، و"تُدْهِنُونَ"أي: تتهاونون وتلينون وتتغافلون عن التصديق به، أو تداهنون به المشركين خوفاً منهم أو طلباً لدنياهم.

قال الضحاك وغيره: "أي تكذّبون به وتستهزئون به وتتركوه".

(وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)

هذه هي الآية التي يتناولها الأثر التفسيري لابن عباس، وتجمع بين المعنيين:

* المعنى الأبرز (النعمة المادية): تجعلون شكركم على نعمة المطر (الرزق) هو التكذيب بالله ونسبة المطر للنوء.

* المعنى العام (النعمة المعنوية): تجعلون حظكم ونصيبكم من هذا القرآن العظيم (الرزق الحقيقي) هو التكذيب به والامتناع عن الإيمان.

باب قَوْلُ اللّه تعَالَى :

وَمِنَ النّاسِ مَن يَتّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كحُبِّ اللّهِ [وَالّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّهِ وَلَوْ يَرَى الّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنّ القُوّةَ لِلّهِ جَمِيعًا وَأَنّ اللّهَ شَدِيدُ العَذَابِ] [البقرة : ١٦٥].

(وَمِنَ النّاسِ مَن يَتّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أندَادًا)

تُشير الآية إلى فئة من البشر ضلّت عن طريق التوحيد، فاتخذت مع اللّه آلهةً أخرى، أو أصناماً، أو مخلوقات تُعظّمها وتجعلها بمنزلة اللّه.

* الأنداد: جمع نِدّ، وهو المثيل أو النظير أو الشريك. والمشركون لم يعتقدوا أن أندادهم هي التي خلقتهم ورزقتهم، بل أقروا بأن اللّه هو الخالق (توحيد الربوبية). لكنهم جعلوا هذه الأنداد شركاء في المحبة والعبادة.

(يُحِبُّونَهُمْ كحُبِّ اللّهِ)

هذا هو صُلب الشرك الأكبر الذي أخرج هؤلاء من دائرة الإيمان. فهم يمنحون هذه الأنداد المحبة العظيمة المقتضية للذل والتعظيم والطاعة المطلقة، التي لا ينبغي أن تُصرَف إلا لله وحده.

* الفرق بين محبة اللّه ومحبة المخلوق:

* محبة اللّه: هي الأصل والأعلى، وهي محبة عبودية وتأله، فيها الذل والخضوع والتسليم، وبها يكون الخوف والرجاء الحقيقيان.

* محبة المخلوق: هي محبة طبيعية (كالزوجة والولد والمال) أو محبة في اللّه (كحب الأنبياء والصالحين). وهذه المحبة يجب أن تكون تابعة لمحبته تعالى، وألا ترقى إلى درجة محبة العبودية والتعظيم التي لا تكون إلا لله.

(وَالّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّهِ)

هذا ميزان عادل ومقارنة إيمانية. المؤمنون يحبون اللّه حباً أقوى وأعمق

وأثبت من حب المشركين لأندادهم.

(وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ)

هذا وعيد وتهديد للمشركين الذين اتخذوا الأنداد. الظلم هنا هو الشرك، لقوله تعالى على لسان لقمان: (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: ١٣].

فالآية تصور مشهداً من يوم القيامة، حيث يرى المشركون العذاب بأعينهم بعد الموت.

(أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)

عند رؤية العذاب، يتبين للمشركين جهلهم وخطأهم؛ إذ سيعلمون يقيناً أن القوة كلها لله وحده، وأن أندادهم التي أحبوها وعظموها لا تملك لهم ضراً

ولا نفعاً ولا قوة لدفع العذاب عنهم.

وقوله (تعالى): قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة: ٢٤].

ذكرت الآية ثمانية أصناف من المحبوبات التي جُبلت النفوس على التعلق بها، ورتبتها ترتيباً بديعاً يشمل كل ما يعزّ على الإنسان:

* الآباء والأبناء: يمثلون الأصل والفرع.

* الإخوان والأزواج: يمثلون القرابة الموازية والقرابة بالصهر.

* العشيرة: يمثلون الرابطة الاجتماعية الكبرى والقوة والحماية.

* الأموال التي اكتُسبت (اقْتَرَفْتُمُوهَا): يمثلون المكتسبات التي أفنى

الإنسان عمره في تحصيلها.

* التجارة التي يُخشى كسادها: تمثل مصدر الرزق اليومي الذي لا يستغنى عنه.

* المساكن التي تُرضَى وتُستطاب: تمثل الاستقرار والأمن والراحة الجسدية.

هذه الأصناف هي كل ما يميل إليه قلب الإنسان طبعاً، ولهذا جعلها الله طرف الميزان الذي يختبر به صدق العبد.

(أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ)

فالآية لا تنهى عن محبة هذه الأشياء طبيعةً، فالإسلام دين الفطرة. ولكنها تنهى عن تقديم هذه المحبة على محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله، بحيث تصير هذه المحبوبات حاجزاً أو عائقاً عن أداء الواجبات الشرعية أو ترك المحرمات.

* قدمت الآية ثلاثة أمور يجب أن تكون هي الأولى في قلب المؤمن:

* محبة الله: وهي محبة التأله والعبودية التي تُفرد له سبحانه.

* محبة رسوله: وهي محبة الإتباع والتصديق والطاعة، وهي تابعة لمحبته تعالى.

* الجهاد في سبيله: وهو بذل الجهد والطاقة لإعلاء كلمة الله، وهو من أعظم علامات صدق المحبة.

(فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ)

"فَتَرَبَّصُوا" تعني: فانتظروا وتوقعوا ما سيأتيكم من عقاب. هذا أمر تهديد ووعيد شديد، وليس أمراً للتخيير أو الإباحة.

* "حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ": الأمر هنا هو العقوبة أو العذاب أو القضاء الحاسم، سواء في الدنيا بفتح بابه ورفع العوائق، أو في الآخرة بالحساب والعذاب.

(وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)،

أي لا يوفقهم إلى الخير. والفسق هنا هو الخروج عن طاعة الله وتقديم محبة المخلوق على محبة الخالق، وهو أعظم أنواع الفسق.

عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ؛ حَتّى أَكُونَ أَحَبّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ». أخرجاه.

أنس بن مالك بن النّضْر الأنصاري الخزرجي.خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، خدمه عشر سنين، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة في المال والولد والعمر، فكان من أكثر الصحابة مالا ً وولداً وعمراً.

كان من أكثر الصحابة رواية للحديث، حيث لازم النبي صلى الله عليه وسلم ملازمة تامة.

توفي بالبصرة سنة ٩٣ هجرية، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة.

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ»

هذا النفي ليس نفياً لأصل الإيمان الذي يخرج صاحبه من الملة، بل هو نفي لكمال الإيمان الواجب الذي ينجي من الوعيد ويدخل الجنة بلا حساب. أي: لا يبلغ أحدكم الدرجة الكاملة من الإيمان ولا يذوق حلاوته حتى تتحقق فيه هذه الصفة.

«حَتّى أَكُونَ أَحَبّ إِلَيْهِ»

"أكون" أي: يصير الرسول صلى الله عليه وسلم هو المحبوب المُقدّم في القلب والعمل على كل المخلوقات.

* حقيقة هذه المحبة: ليست محبة طبعية كحب المرء لماله وطعامه، بل هي محبة اختيارية إيمانية تتجسد في:

*تقديم أمره صلى الله عليه وسلم على هوى النفس ومطالب الأهل.

* والدفاع عنه وعن سنته ونصرتها بالجهد والمال.

* الرضا بحكمه: التسليم المطلق لحكمه الشرعي.

«مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ»

ذكر هذين الصنفين بالذات لأنهما أقرب الناس وألصقهم بالنفس:

* الوالد: هو سبب الوجود الذي يوجب البرّ والتعظيم.

* الولد: هو قطعة من القلب وفلذة الكبد التي تدعو إلى الحنان والشفقة والتضحية بالنفس من أجله.

لما كانت محبة هذين الصنفين فطرية جُبلت عليها النفوس ولا يستطيع أحد التخلص منها، كان التحدي الإيماني هو: أن تكون محبة الرسول صلى الله عليه وسلم أعمق وأقوى بحيث تطاع أوامره حتى لو تعارضت مع مصلحة الولد أو رغبة الوالد.

«وَالنّاسِ أجْمَعِينَ»

تعميم يشمل كل من سواه صلى الله عليه وسلم من الأهل، والعشيرة، والمال، والتجارة، والوطن، وحتى النفس التي بين الجنبين.

ولهما عنه، قال: قال رسول : ثلاثَ مَنْ كُنّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنّ حَلاوَة الإيمَانِ: أنْ يَكُونَ اللّه ُ وَرَسُولُهُ أحَبّ إلَيْهِ مِمّا سِوَاهُمَا، وَأنْ يُحِبّ المَرْءَ لا يُحِبّهُ إلا اللّه ، وَأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إذْ أنْقذهُ اللّهُ مِنْهُ كمَا يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ فِي النّارِ .وفي رواية «لا يَجِدُ أحَدٌ حَلاوَة الإيمَانِ حَتّى ..... [إلى آخره "]"

«وَجَدَ بِهِنّ حَلاوَة الإيمَانِ»

"حلاوة الإيمان" هي لذة الإيمان وسكون القلب به، والارتياح للطاعة، وتحمل المشقة في سبيل الله. وهي حالة معنوية قلبية يُكرم الله بها المؤمن الصادق، فيُصبح الإيمان أحبّ إليه من الدنيا وما فيها.

* الإيمان ليس مجرد كلام يُقال باللسان، بل هو حقيقة لها أثرها في القلب، متى ذاقها العبد تحوّلت حياته كلها إلى طاعة وسعادة.

*قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "حلاوة الإيمان هي طمأنينة القلب بـالله، وانشراح الصدر لدينه، ورضاه به رباً وإلهاً، وبمحمد رسولا ً، وبالإسلام ديناً."

«أنْ يَكُونَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أحَبّ إلَيْهِ مِمّا سِوَاهُمَا»

هذا هو أصل الأصول وهو شرط محبة التأله والعبودية؛ أن تكون محبة الله

ورسوله مُقدّمة على كل محبوب دنيوي: النفس، والمال، والأهل، والوطن.

والتقديم هنا تقديم اختيار وإرادة عند التعارض، لا تقديم طبع (فإن المرء يميل طبعاً إلى ولده).

* كيفية التحقق؟

تتحقق هذه المحبة بـ:

* تقديم أمر الله ورسوله على هوى النفس.

* الرضا بحكمهما والتسليم لهما دون تردد أو حرج.

* بذل الغالي والنفيس في طاعتهما.

«وَأَنْ يُحِبّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلّا لِلّهِ»

أن تكون المحبة بين المؤمنين مبناها الإخلاص لله تعالى، لا لغرض دنيوي، أو مصلحة شخصية، أو قرابة، أو جاه، أو مال. بل يحبه لطاعته لله ولا لتزامه بشرعه وسنته.

«وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللّهُ مِنْهُ»

هذه هي علامة التبرؤ الكامل من الكفر والشرك، ومَنّة الله على العبد بالإيمان. فالمؤمن الصادق يرى الكفر قذارة وشراً، ويكره العودة إليه كراهيةً مساوية أو أشد من كراهيته أن يُرمى في النار.

* القياس بالنار: المقارنة بـ «كمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النّارِ» دليل على أن كراهية الكفر هي أمر ضروري فطري في قلب المؤمن، لأن الكفر يؤدي إلى نار الآخرة، فكانت كراهية سببه مساوية لكراهية نتيجته.

* كلام السلف: قال الإمام الطبري رحمه الله: "هذا الحديث يوجب الإيمان الكامل للمستجمع لهذه الخصال، ويوجب على من لم يجدها أن يتكلفها، وأن يجاهد نفسه لتحصيلها."

وعن ابن عباس قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنها تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان - وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس

على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا. رواه ابن جرير .

وقال ابن عباس في قوله تعالى: وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦)

قال: المودة.

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «اللّهم علمه الكتاب»، فصار حبر

الأمة وترجمان القرآن.

كان أفقه الصحابة في التفسير والسنن، وأقواله وأثاره في الفقه والتوحيد والتفسير مرجع للأمة.توفي في الطائف سنة ٦٨ هجرية.

"مَنْ أَحَبّ فِي اللّه ، وَأَبْغَضَ فِي اللّه ، وَوَالَى فِي اللّه ، وَعَادَى فِي اللّه "

هذه الأربع هي أركان الولاء والبراء الإيمانية، وهي من أوثق عُرى الإيمان. المحبة والبغض، والموالاة والمعاداة، يجب أن تكون من أجل الله تعالى وشرعه.

* أحبّ في اللّه: أحبّ المسلم المؤمن بسبب إيمانه وطاعته لله، لا لدنيا ولا لغرض.

* أبغض في اللّه: أبغض الكافر أو العاصي بسبب كفره أو معصيته، لا لحاجة شخصية.

* والى في اللّه: ناصر وعاضد المؤمنين الصادقين واتخذهم أولياء.

* عادى في اللّه: تبرأ من الكافرين والمشركين وأظهر العداء لهم في قلبه ولسانه وعمله.

"فَإِنّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللّه بِذَلِكَ"

ولاية اللّه هي القرب منه، ومحبته لعبده، ونصرته له، وهي أرفع درجات

العلاقة بين العبد وربه. يؤكد ابن عباس أن هذه الولاية لا تُنال إلا بتحقيق شرط الحب والبغض القائم على التوحيد.

"وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ"

"طعم الإيمان" هو نفسه "حلاوة الإيمان" المذكورة في حديث أنس السابق، وهي اللذة المعنوية والطمأنينة القلبية.

* يؤكد ابن عباس أن مجرد كثرة العبادات الظاهرة (كالصلاة والصيام) لا تكفي لوجدان هذه الحلاوة ما لم تُصحب بسلامة الباطن، وأهمها سلامة الحب والبغض، الذي لا يكون إلا لله. فإذا اختل الولاء والبراء، اختل أساس العمل، ولو كان كثيراً.

"وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا"

تنبيه وإخبار من ابن عباس عن واقع الناس في عصره (وهو يصدق على كل عصر). غالبية العلاقات والصداقات والتحالفات بين الناس قائمة على المصلحة الدنيوية المشتركة (تجارة، مصلحة، مساعدة، جوار، إلخ).

قوله "لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا" يعني: لا ينفعهم في الآخرة، بل قد ينقلب وبالا ً عليهم. فكل مودة لغير الله مصيرها الزوال والعداوة يوم القيامة.

قال ابن عباس في قوله تعالى: (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) [البقرة: ١٦٦]، قال: المودة.

تأتي الآية في وصف حال المشركين الذين اتخذوا أنداداً يحبونهم كحب الله، وما يؤول إليه أمرهم يوم القيامة: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ).

"الْأَسْبَابُ" تعني هنا الصلات والعلاقات وعهود المودة التي كانت بينهم في الدنيا. فكل وشيجة لم تُبنَ على أساس الإيمان والتقوى تُصبح هباءً منثوراً يوم القيامة، وتنقطع كل صلة سوى صلة التوحيد والإيمان.

باب قول الله تعَالى :

إِنمَا ذَلِكُمُ الشَيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ) [آل عمران : ١٧٥].

: {إِنمَا ذَلِكُمُ الشَيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ}

هذه الجملة تحمل معنيين رئيسيين عند المفسرين، وكلاهما صحيح ومفيد في الباب:

* يُخَوِّفكم بأوليائه: هذا هو القول الأكثر ترجيحاً عند كثير من السلف

والمفسرين كابن عباس وغيره، أي: إن هذا الذي يلقي في قلوبكم الخوف

والجبن من المشركين هو الشيطان، وهو يخوّفكم من هؤلاء الكفار الذين هم أولياؤه وأتباعه. والمقصود أن الشيطان يُعظِّم شأن الكفار في نفوس المؤمنين ليثبطهم عن الجهاد وطاعة الله.

* يُخَوِّفُ أولياءه (المنافقين والكفار): أي إن الشيطان يخوّف أتباعه أن يسيروا مع المؤمنين للقتال، أو يلقي في قلوب أوليائه المخاوف والجبن ليتخلفوا عن معاندة الحق، أو يخوّف المنافقين من المشركين لئلا يخرجوا مع المؤمنين. وهذا القول يشير إلى أن الخوف الحقيقي ليس من صفات أولياء الله، بل هو من صفات أعدائه.

{فَلَا تخَافُوهُمْ وَخَافُونِ}

هذه الآية تؤسس لقاعدة إيمانية عظيمة: حصر الخوف العبادي بالله وحده.

* {فَلَا تخَافُوهُمْ}: نهي صريح عن الخوف من المخلوقين كالكفار، أو من فوت الرزق، أو زوال النعمة، أو أذى البشر، الخوف الذي يؤدي إلى ترك أمر الله أو ارتكاب نهيه.

* {وَخَافُونِ}: أمر بالإخلاص في الخوف وتوجيهه لله سبحانه وتعالى.

* الخوف المحمود: هو خوف العبد من ربه الذي يحمله على طاعته

والامتثال لأمره واجتناب نهيه، خوفٌ يمنع من الوقوع في المعاصي، وهذا

هو خوف العبادة الذي لا يجوز صرفه لغير الله.

* {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}:

* الآية تختم بجعل الخوف من الله دليلا ً وعلامة على صدق الإيمان. فإذا وجد المؤمن في قلبه خوفاً يمنعه من طاعة الله (كخوف الفقر يمنعه من الصدقة، أو خوف البشر يمنعه من قول الحق)، فعليه أن يراجع إيمانه. الخوف من الله هو ميزان الإيمان.

وقوله تعالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَءَاتَى الزَّكوةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ) [التوبة : ١٨].

"يعمر مساجد الله"

تشمل العمارة في الآية معنيين متكاملين:

* العمارة الحسية (المادية): وهي بناء المساجد، تشييدها، ترميمها، وصيانتها، وتنظيفها.

* العمارة المعنوية (الروحية): وهي إحياء المساجد بعبادة الله، من صلاة وذكر وقراءة قرآن واعتكاف وطلب علم. وهذا هو المعنى الأعظم المقصود بالآية.

{مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ}

* الأصل: الإيمان هو الأساس الذي تنبني عليه كل الأعمال. لا تقبل عمارة حسية أو معنوية من كافر أو مشرك.

{وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ}

* أركان الإسلام العملية: خص الله تعالى ركنين عظيمين من أركان الإسلام بعد الشهادتين:

* إقامة الصلاة: وهي أهم مظاهر عمارة المساجد، والصلاة هي عمود الدين. وذكر الإقامة يشمل أداءها على الوجه الأكمل بالخشوع والمحافظة على أوقاتها وشروطها.

* إيتاء الزكاة: وهي دليل على صدق الإيمان وتقديم حق الله على حق النفس والمال. وذكرها يدل على أن العلاقة بالله (الصلاة) والعلاقة بالخلق (الزكاة) كلاهما جزء لا يتجزأ من الإيمان.

{وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ}

* لب التوحيد: هذه الصفة هي خاتمة الأوصاف، وهي ميزان الإخلاص في عمارة المساجد. الخشية هنا هي الخوف العبادي الذي يقتضي التعظيم

والذل، وهو خوف يمنع صاحبه من مخالفة أوامر الله أو ترك طاعته خوفاً من المخلوقين.

{فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}

* "عسى" في القرآن: كلمة "عسى" إذا جاءت من الله تعالى فإنها تفيد التحقيق والوجوب. أي أن من جمع هذه الصفات العظيمة (الإيمان، الصلاة، الزكاة، وإخلاص الخشية)، فإنه مُهتدٍ حقاً.

الهدى هنا يشمل: الهداية إلى الصراط المستقيم في الدنيا، والهداية إلى الجنة في الآخرة. فجعل الله عمارة المساجد بهذه الصفات الخمس، طريقاً موصلاً إلى الهدى.

وقوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ] الآية [العنكبوت : ١٠].

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ}

يظهرون الإيمان ويُعلنونه، ويُشاركون المؤمنين في ظاهر الطاعات. هذا

الإعلان يجعلهم بين صفوف المسلمين في أوقات السعة والأمن.

ب. ضعف الصبر واليأس من البلاء

{فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ}

* "أُوذِيَ فِي اللَّهِ": أي ناله أذى وضر أو اضطهاد بسبب إيمانه، سواء كان هذا الأذى سخرية، أو ضرباً، أو تهديداً بالمال والرزق، أو بالقتل.

* "جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ كعَذَابِ اللهِ": هذا هو جوهر النفاق أو ضعف اليقين. ومعناه أن هذا الشخص يرى أن أذى الناس له أشد عليه من عذاب الله!

* فهو يخاف من تهديد البشر وفقدان دنياه خوفاً ينسيه أو يُهوّن عليه عذاب الآخرة.

* وبالتالي، يتخلى عن دينه أو يتراجع عن إظهاره ليُرضي الناس أو ليسلم من أذاهم، مُفضلا ً السلامة الدنيوية الفانية على الثبات على الحق والنجاة الأخروية.

{وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ}

* هؤلاء المذبذبون لا يشاركون في البلاء والتضحية، لكنهم سريعو التلوّن

والانتهازية.

* إذا جاء النصر والفتح والغنائم للمؤمنين، سارعوا إلى التظاهر بالثبات

والإيمان، وحلفوا أنهم كانوا معهم في الصف، ليس حباً في الإيمان ولكن طمعاً في المشاركة بالغنيمة والأمن.

* هذا السلوك يوضح أن إيمانهم مرتبط بالمصلحة والمنفعة الدنيوية، وليس التزاماً بمبدأ التوحيد.

{أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ العَالَمِينَ}

هذا استفهام إنكاري يجمع بين الوعيد والتهديد لهؤلاء المتلونين، وبين التثبيت للمؤمنين الصادقين:

عن أبي سعيد مرفوعا: إِنّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ: أَنْ تُرْضِيَ النّاسَ بِسَخَطِ اللّه، وَأَنْ تحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللّه ، وَأَنْ تذَمّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، إِنّ رِزْقَ اللّه لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيص، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ .

أبو سعيد الخدري، واسمه سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخدري، وهو من الصحابة الكرام المشهورين، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة.

"أَنْ تُرْضِيَ النّاسَ بِسَخَطِ اللّه"

هذا المظهر هو أخطر علامات ضعف اليقين والتوحيد، وهو متعلق بـ "خوف المخلوق".

أن يترك العبد أمراً واجباً أو يرتكب معصية، خوفاً من لوم الناس أو فقدهم لمصلحة، أو سعياً لكسب مدحهم ورضاهم، مقدماً رضاهم على رضا الله، وخوفهم على خوف الله.

"وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ "

* المعنى: أن يبالغ العبد في شكر وثناء المخلوقين على حصول الرزق

والمنافع منه، معتقداً أن الرزق جاء باستحقاق من هذا المخلوق أو أن هذا المخلوق هو المصدر الأساسي له، وينسى المنعم الأصلي وهو الله سبحانه

وتعالى.

"وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ"

هذا المظهر عكس العلامة الثانية، وهو يتعلق بـ "التسخط على القضاء

والقدر".

* المعنى: أن يلوم العبد أو يذم أو يعاتب الناس بمرارة، لاعتقاده أنهم هم الذين منعوا عنه الرزق أو الخير الذي كان ينتظره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في نظير هذا: "العبد الموحد لا يرى لغير الله تدبيراً ولا قضاء، بل يرى الخلق كلهم مسخرين تحت أمره وقدره، فلا يخشى غيره ولا يرجو غيره".

"إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ"

هذه الجملة هي القاعدة التي تعلل وتؤكد الأسباب الثلاثة لضعف اليقين، وهي خلاصة التوحيد في باب الرزق:

* "لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ": مهما سعى الإنسان واجتهد وحرص بغير قضاء الله، فلن ينال شيئاً لم يكتبه الله له. هذا يدعو المؤمن إلى السعي المشروع والاطمئنان، لا القلق والجزع والتحايل على الشرع لأجل الرزق.

* "وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ": مهما حاول المخلوقون منع الرزق أو كراهيته لك،

فإذا أراده الله لك فسوف يصلك رغماً عنهم. هذا يزرع في القلب الشجاعة في الحق، وعدم الخوف من الأذى في سبيل الله (وهو ما يُعالج العلامة الأولى).

وعن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهُ بِسَخَطِ النّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] ، وَأَرْضَى عَنْهُ النّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النّاسَ» رواه ابن حبان في صحيحه ."

عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، وهي زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأفقه نساء الأمة وأعلمهن.

"مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهُ بِسَخَطِ النّاسِ"

هذه الجملة هي أساس التوحيد العملي، وهي تتضمن أعلى مراتب الإخلاص واليقين:

* "اِلْتَمَسَ": طلب وبحث عن رضا الله بالجد والاجتهاد، وجعله الغاية والقصد الأوحد.

* "رِضَا اللهُ": الطاعة المطلقة لأمر الله ونهيه، والحرص على ما يُحبه سبحانه.

* "بِسَخَطِ النّاسِ": رغم علم هذا العبد بأن فعله هذا سيُغضب بعض الناس أو كلهم، وقد يترتب عليه ضرر دنيوي (كفقد مال، أو منصب، أو سمعة، أو التعرض لأذى).

"رَضِيَ اللهُ عَنْهُ":

هذا هو الهدف الأسمى والغاية الكبرى. رضا الله يمحو جميع سخط الناس، وهو أعظم نعمة ينالها العبد في الدنيا والآخرة.

"وَأَرْضَى عَنْهُ النّاسَ":

هذه هي المعجزة الإلهية في المعاملة: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه. الله تعالى يقلب قلوب الناس، فيجعلهم راضين عن هذا المخلص

الصادق، أو على الأقل يلقي له القبول في الأرض، فلا يضره سخط من سخط من الناس، ويسلمه من شرورهم.

"وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّه"

هذه الجملة هي دليل ضعف اليقين أو النفاق العملي، وهي تعني الخضوع لخوف المخلوق ورجائه:

* "اِلْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ": جعل سعيه وهدفه هو نيل محبة الناس ومدحهم، أو دفع أذاهم وشرهم.

* "بِسَخَطِ اللَّهِ": لتحقيق هذا الرضا البشري، قام بترك واجب أو فعل محرم، مخالفاً أمر الله.

"سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ"

وهذه هي العقوبة العظمى: غضب الله تعالى وحرمانه من رضاه. ومن غضب الله عليه، فماذا يبقى له من خير؟

"وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ"

جزاءً له من جنس عمله، فإن من سعى لرضا الناس بمعصية الله، فإن الله يُسلط عليه هؤلاء الناس فلا يرضون عنه أبداً، ويجعله عرضة لذمهم وطعنهم. يخسر الدين ويكسب سخط الناس أيضاً!

باب ما جاء في قول الله تعالى :

وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [المائدة : ٢٣].

(وعلى الله فتوكلوا)

أمر للمؤمنين بأن يُفَوِّضوا أمورهم كلها لله وحده، ويعتمدوا عليه بصدق قلوبهم في جلب النفع ودفع الضر.

*تقديم الجار والمجرور (وَعَلَى اللهِ) يفيد قصر التوكل على الله دون سواه. فإذا اتخذ المؤمن الأسباب المادية (كالإعداد للقتال أو السعي للرزق)، فلا يجوز له أن يعتمد عليها بقلبه، بل يجب أن يبقى قلبه متوكلا ً على خالق

الأسباب ومُسَبِّبِها وهو الله.

(إن كنتم مؤمنين)

هذا الشرط يربط التوكل بالإيمان، فإذا كان الإيمان موجوداً وحقيقياً في القلب، فإنه يستلزم حتماً التوكل على الله.

فالمؤمن الذي يوقن بأن الله هو القادر المطلق، والوكيل الكافي، والقوي العزيز، لا يمكن أن يخاف من قوة مخلوق أو يخشى المستقبل، بل يتوكل على ربه في كل شدة.

وقوله : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ وَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَنًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الأنفال : ٢].

هذه الآية الكريمة هي حصر وبيان لصفات المؤمنين الصادقين الذين يستحقون اسم الإيمان الكامل. تبدأ الآية بأداة الحصر "إنّمَا" لتدل على أن هذه الصفات هي الأركان الأساسية التي يقوم عليها كمال إيمان العبد.

(إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ):

* الوجَل هو الخوف مع التعظيم.

* المؤمن الصادق، عند سماعه ذكر الله أو أمره ونهيه أو وعيده، تضطرب قلوبهم وتخشع، خوفاً من عظمة الله، وعقابه على تقصيرهم، وحرصاً على

طاعته. هذا الخوف يدفعهم إلى العمل والاجتهاد في العبادة.

(وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)

* عندما تُقرأ عليهم آيات القرآن الكريم، فإنهم لا يكتفون بالسماع، بل تتحرك قلوبهم للتفكر والتدبر، فيزداد يقينهم بالله وبصدق رسالة نبيه.

* هذه الزيادة تكون بالعلم الجديد واليقين الراسخ، والامتثال للأوامر،

والانزجار عن النواهي. (وفي هذا دليل على أن الإيمان يزيد وينقص).

(وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)

*تقديم الجار والمجرور (وَعَلَى رَبِّهِمْ) يفيد حصر الاعتماد على الله وحده.

* المؤمنون الصادقون يفوضون أمورهم كلها إلى الله وحده، ويثقون بوعده وكفايته، فلا يلتفتون إلى الأسباب المخلوقة إلا لكونها وسائل أمر بها الله، مع العلم بأن النفع والضر بيد الله.

[٦٤ وقوله تعالى ": يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّه ُ وَمَنِ اتبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ)

الأنفال:]

هذه الآية الكريمة جاءت في سياق الحديث عن الجهاد والإعداد له في سورة الأنفال، وهي تحمل رسالة تثبيت وتقرير للعناية الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه.

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ)

* يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ: نداء تشريف وتعظيم من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

* حَسْبُكَ اللهُ: "حَسْبُكَ" أي: كافيك وناصرك ومعينك. والمعنى: الله وحده كافيك في كل ما يهمك، في أمر دعوتك، وفي مواجهة أعدائك، وفي تثبيت المؤمنين. هذا إعلان إلهي بالكفاية المطلقة للنبي صلى الله عليه وسلم.

(وَمَنِ اتبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ)

* اختلف المفسرون في معنى الواو في "وَمَنِ اتبَعَكَ" على قولين رئيسيين،

وكلاهما يحمل معنى الثناء والتثبيت:

* القول الأول (كفاية الله للنبي والمؤمنين): أن الواو هنا عاطفة، أي: الله كافيك وكافٍ أيضاً للمؤمنين الصادقين الذين اتبعوك.

* المعنى: يثبت الله النبي والذين معه بأن الله يتولى كفاية الجميع ونصرهم ورعايتهم، وهذا وعد إلهي لمن استقام على الاتباع.

* القول الثاني (كفاية الله والنبي للمؤمنين): أن الواو استئنافية، والمعنى: الله كافيك وحدك، وكافيك أنت أيضاً للمؤمنين الذين اتبعوك، أي أنك سبب في كفايتهم وعون لهم بإرشادك وقيادتك لهم.

* المعنى: هذا تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه أصبح القائد الذي يُطمأن به ويُعتمد عليه (بإذن الله وعونه) في تثبيت وكفاية أتباعه.

وقوله تعالى: وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ [الطلاق : ٣].

هذه الآية الكريمة هي قاعدة إيمانية عظيمة ووعد إلهي قاطع يمثل جوهر التوكل على الله. جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن أحكام الطلاق وتفريج الهموم والمصاعب لمن يتقي الله، لكن حكمها عام وشامل لكل أمور الحياة.

(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ)

* الشرط: تعني "من يعتمد ويفوض أمره بصدق وإخلاص على الله وحده في جميع شؤونه: الرزق، النصر، تفريج الكرب، وتدبير الأمور".

* التوكل هنا هو عمل قلبي يشمل اليقين التام بأن الله هو المالك والمدبر، مع بذل الأسباب المشروعة وعدم الركون إليها.

(فَهُوَ حَسْبُهُ)

* الجزاء والنتيجة: "فَهُوَ حَسْبُهُ" تعني: فالله كافيه ما أهمه، وناصره، ومغنيه، وواقيه من كل سوء.

* هذا وعد من الله لا يتخلف، بأن من توكل عليه بصدق، تولى الله أمره بنفسه، فكفاه شؤون الدنيا والآخرة، وسهل له الصعب، وجلب له الخير، ودفع عنه الشر.

وعن ابن عباس ، قال: (حسبنا اللّه ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قالوا له: إنّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَنَا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [ال عمران : ١٧٣). رواه البخاري [و النسائي) .

هذه الكلمة العظيمة، "حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"، هي إعلان للتوكل المطلق واليقين التام باللّه في أصعب الظروف.

"حَسْبُنَا اللّهُ" معناها: اللّه كافينا، وهو الذي يكفلنا ويغنينا عن غيره.

"وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" معناها: ونِعْمَ المُفَوّض إليه الأمر، ونِعْمَ النصير والقائم بشؤوننا.

باب ما جاء في قول الله تعَالَى :

أفَأمِنُوا مَكرَ اللهِ فَلَا يَأمَنُ مَكرَ اللهِ إلَّا القَومُ الخَسِرُونَ) [الأعراف: ٩٩)،

الآية تحذير شديد من الأمن من عذاب الله ومكره.

* مكر الله: هو استدراجه للعبد بالنعم والعافية مع استمراره في المعاصي، حتى يأخذه بالعذاب فجأة دون أن يشعر أو يتوب. قد يظن العاصي أن إمهال الله له دليل على رضاه، فيتمادى في الغفلة.

* الخاسرون: هم القوم الذين يغفلون عن هذا المكر الإلهي ولا يخافون من مفاجأة العقوبة، بل يطمئنون لسلامة أحوالهم الظاهرة وهم مقيمون على الذنوب. إن عدم الخوف من مكر الله هو صفة الهالكين الخاسرين في الدنيا والآخرة، لأنه يُفضي إلى الإصرار على المعصية.

وقوله "وَمَن يَقنَطُ مِن رَّحمَةِ رَبِّهِ إلَّا الضَّالُّونَ" (الحجر: ٥٦)

الآية تحذير من اليأس والقنوط من رحمة الله ومغفرته.

* القنوط: هو اليأس التام من حصول الخير وتفريج الكرب والمغفرة.

* الضالون: هم القوم الذين يرتكبون هذا الذنب العظيم. لا ييأس من رحمة الله إلا الجاحدون الكافرون الذين لا يعرفون عظمة رحمة الله التي وسعت كل شيء، أو الجهال بقدرة الله على المغفرة مهما عظمت الذنوب. القنوط ينافي التوحيد والثقة بالله.

وعن ابن عباس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر؟ فقال:

الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالْيَأسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ .

ابن عباس هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، حَبْر الأمة وتُرجمان القرآن. دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالفقه في الدين وتعليم التأويل. عُرف بعلمه الواسع، وخاصة في التفسير.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر

الكبائر هي كل ذنب رتب عليه الشرع حداً في الدنيا، أو وعيداً بالعذاب في

الآخرة، أو غضباً ولعنة، أو نفي للإيمان. هذا الحديث يذكر ثلاثاً من أخطرها.

الشِّرْكُ بِاللهِ

الشِّرك هو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، وهو أن يُسوّى غير الله به في خصائص الألوهية كالعبادة والدعاء

والاستعانة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ

(اليأس) هو القنوط التام، وقطع الرجاء من رحمة الله وتفريجه للكرب

والهموم. و"روح الله" أي رحمته وفتحه وعافيته التي يحيي بها القلوب. الكبيرة والآداب: يعد كبيرة لأنه سوء ظن بالله العظيم، وتكذيب لصفة رحمته الواسعة وقدرته المطلقة. القرآن: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ

الأمن من مكر الله هو اطمئنان العبد لعدم مؤاخذة الله له على ذنوبه، مع إصراره على المعصية، ظناً منه أن إمهال الله له وإدرار النعم عليه دليل على رضاه. | الكبيرة والآداب: يعد كبيرة لأنه استخفاف بعقوبة الله وجهل بمكره واستدراجه للعبد بالنعمة. القرآن: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وعن ابن مسعود

، قال: أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ

مَكْرِ اللهِ، وَالقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ». رواه عبد الرزاق .

| ابن مسعود | هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي رضي الله عنه. كان

سادس ستة دخلوا الإسلام، ومن أوائل المهاجرين. لُقِّب بـ "صاحب السِّواك والنّعلين" لخِدمته للنبي صلى الله عليه وسلم. كان من أعلم الصحابة بالقرآن وفقهه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم عنه: «مَن سَرّهُ أن يقرأ القرآنَ غَضًا كما أُنْزِلَ، فليقرأْهُ على قراءةِ ابنِ أُمِّ عبدٍ (ابن مسعود)» (رواه أحمد).

| الإِشْرَاكُ بِاللهِ |

هو أعظم الذنوب على الإطلاق، ويتمثل في جعل ند أو شريك لله تعالى في أي من حقوقه الخاصة به (الربوبية، الألوهية، الأسماء والصفات).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]،

و﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

| وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ |

الأمن هو الشعور بالطمأنينة والاطمئنان لعدم العقوبة. مكر الله هو استدراجه للعبد بالنعم والعافية، مع تماديه في المعاصي، حتى يأخذه فجأة بعذاب لا يتوقعه.

قال تعالى ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

[الأعراف: ٩٩]. قال الإمام القرطبي في تفسير الآية: "الأمن من مكر الله جهل به، وبما يفعله بعباده، وهو من أعظم الغرور."

| وَالقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ |

القنوط هو اليأس التام وقطع الرجاء من أن يرحم الله العبد، أو يغفر له ذنبه ، أو يفرج كربه، مهما كانت ذنوبه عظيمة.

قال تعالى ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

| وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ |

اليأس هنا بمعنى اليأس والقنوط (وهو تكرار للمعنى السابق، أو ذكر لمعانٍ متقاربة للتأكيد على شدة قبحه). روح الله تعني فرجه ورحمته وعافيته. الربط: يفسر المفسرون هذا بأنه نوع من سوء الظن بالله، واليأس من الفرج في الشدائد الدنيوية والروحية.

باب من الإيمان بـاللّه الصّبْرُ عَلَى أقدار اللّه

وقوله تعالى:مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِـاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن : ١١]، قال علقمة": (هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند اللّه، فيرضى ويُسلم) .

(مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ)

كلمة "مُصِيبَةٍ" تشمل كل ما يكرهه الإنسان ويصيبه من شرور وأقدار: في النفس، أو المال، أو الصحة، أو الأهل.

قوله: "إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ" يقرر حقيقة إيمانية راسخة، وهي أن لا شيء يحدث في الكون إلا بمشيئة اللّه وإرادته وعلمه وقضائه وقدره. لا يمكن لمصيبة أن تقع بالصدفة أو خارج نطيطرة القدر الإلهي.

(وَمَن يُؤْمِن بِـاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ)

* هذا هو الجزاء العظيم لمن استوعب الحقيقة الأولى. "وَمَن يُؤْمِن بِـاللهِ" أي: يصدق ويوقن بأن هذه المصيبة قُدِّرت بإذن اللّه وحكمته.

* "يَهْدِ قَلْبَهُ": الهداية هنا هي هداية للتسليم والصبر والرضا. أي أن اللّه يثبت قلب المؤمن عند وقوع المصيبة، فيصبر ولا يجزع، ولا يتسخط على قضاء ربه، بل يعلم أن وراء هذا البلاء حكمة وخيراً.

> تفسير السلف (قول علقمة): قول التابعي الجليل علقمة بن قيس في تفسيرها: "هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند اللّه، فيرضى ويُسلم"،

هو أبلغ تفسير لهذه الهداية القلبية. فالإيمان بالقدر يتحول إلى سكينة نفسية ورضا قلبي.

(وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

* هذا الجزء تأكيد وتذييل للحكمة الإلهية. اللّه عليم بكل شيء قبل وقوعه

وبعده؛ عليم بالصائر والنتائج، عليم بما يصلح لعباده وما لا يصلح.

* وجود المصائب ليس عن جهل أو غفلة، بل عن علم كامل وحكمة بالغة يعلمها الله وإن خفيت على البشر.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ، أن رسول الله ، قال: اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ : الطَّعْنُ فِي [النَّسَبِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ .

| اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ |

خصلتان أو عادتان موجودتان وممارستان بين الناس.

إشارة إلى أن هاتين الخصلتين موجودتان وشائعتان في المجتمع، مما يستدعي التحذير منهما.

| هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ |

وصف هاتين الخصلتين بالكفر، وهو أشد وصف للتحذير والزجر.

ليس المقصود به الكفر المخرج من الملة (الكفر الأكبر)، باتفاق جمهور أهل العلم والسلف، بل كفر عملي أو كفر أصغر. سُمي كفراً لأنهما من أعمال الجاهلية التي يرفضها الإسلام، ويشبهان أعمال الكفار.

| الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ |

الطعن هو الذم، أو الانتقاص، أو التشكيك في أصول العائلات، أو نسب الشخص.

والطعن في النسب هو اعتداء على أعراض الناس ومكانتهم، وإثارة للفتن

والأحقاد القبلية الجاهلية التي جاء الإسلام بمحوها. الطعن ينافي الأخوة

الإسلامية والمساواة التي أقرها الشرع.

| وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ |

النِّيَاحَة هي رفع الصوت بالبكاء على الميت، وتعداد محاسنه والافتخار بها بصوت عالٍ، مصحوباً أحياناً بضرب الخدود وشق الجيوب. | خطورته: هو اعتراض على قضاء الله وقدره، وعدم رضا بقسمته. الإسلام أباح البكاء

الطبيعي بالعين، لكنه حرّم النياحة والجزع، لأنها تفتقد التسليم وتنافي الصبر الواجب عند المصيبة. |

ولهما عن ابن مسعود مرفوعا : لَيْسَ مِنّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيّةِ .

| لَيْسَ مِنّا |

هذه العبارة لا تعني خروج الفاعل من ملة الإسلام (الكفر الأكبر)، بل تعني أنه ليس على طريقتنا الكاملة أو سنتنا الحسنة، وأنه ارتكب ذنباً عظيماً من كبائر الذنوب.

| مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ |

هذا الفعل هو أول مظاهر الجزع والسخط على القدر، لأنه تصرف ينافي الصبر والتسليم لأمر الله.

| وَشَقّ الجُيُوبَ |

هذا الفعل هو أيضاً مظهر من مظاهر الاعتراض الشديد والهلع، وهو عادة جاهلية لا تليق بمسلم يؤمن بأن الأمر كله بيد الله.

| وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيّةِ |

أن ينادي عند المصيبة بألفاظ مأخوذة من عادات الجاهلية، كـ "وا ثبوراه"

وعن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العقوبة في الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ [اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرّ ، أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتّى يُوَافِي

بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ .وقال النبي : إِنْ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمَ البَلَاءِ، وَإِنّ اللهَ تعالى إِذَا أَحَبّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السّخَطُ حسنه الترمذي.

| إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ |

الإشارة إلى إرادة الخير الأبدي للعبد، وهو صلاح حاله في الآخرة ونجاته من العذاب. | هذا هو محض رحمة الله بالمؤمنين. قال ابن القيم رحمه الله:

"المؤمن إذا أصابته شدة، كانت كفارة لذنوبه."

| عَجّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا |

أي: يُقدر عليه المصائب والأمراض والهموم والمشكلات في حياته الدنيوية. هذه العقوبات المؤقتة في الدنيا تعمل عمل المكفرات للذنوب، فتطهّر العبد من خطاياه قبل لقاء ربه، حتى يخرج نقيًا يوم القيامة.

| وَإِذَا أَرَادَ [اللهُ بِعَبْدِهِ] الشّرّ |

المراد به هنا هو العبد الذي لا يحبه الله، وهو الفاسق أو الكافر المصر على ذنبه. الشرّ هنا هو العذاب الشديد في الآخرة. الشاهد من القرآن: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الذِي يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٢].

| أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ |

أي: تركه في عافية ونعمة وسلامة ظاهرة، ولم يعاقبه على ذنوبه في الدنيا. | هذا هو الاستدراج والمكر الإلهي الذي حذرت منه الآية: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]. يظن العاصي أن عدم المؤاخذة دليل الرضا، فيتمرد.

| حَتّى يُوَافِي بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ |

أي: يدخر له ذنوبه ومؤاخذاته كاملة دون تكفير دنيوي. | يوافي الله يوم القيامة مثقلا ً بذنوبه التي لم تُكفّر، فيكون جزاؤه العذاب الشديد كاملا ً

باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَى أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ)

* أُمِرَ النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعلِن حقيقة نفسه، وهي أنه بشر من بني آدم، يعتريه ما يعتري البشر من خصائص ومحدودية. هذا ينفي عنه صفات الألوهية والربوبية التي قد ينسبها إليه الغُلاة.

*الفارق الوحيد والامتياز الأعظم للنبي هو الوحي الذي اختصه الله به. هو بشر، لكنه مُبلِّغ عن الله. هذا يرفع من شأنه دون إخراجه من حدود البشرية.

(أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)

* هذا هو جوهر الوحي الذي أُنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء: التوحيد الخالص.

* المعنى: لا معبود بحق، ولا رب خالق، ولا مُدبّر للأمر إلا إله واحد، لا شريك له في ألوهيته ولا ربوبيته.

(فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ)

* هذا هو المحرك والدافع الأعظم للمؤمن. "يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ" تعني: من كان يؤمن بالبعث والحساب ويطمع في ثواب الله ورؤيته في الجنة.

* هذا الرجاء يوجب على المؤمن اتباع المنهج الإلهي، الذي يتلخص في شرطين:

* (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)

* هذا هو شرط صحة العمل. يجب أن يكون العمل خالصاً لوجه الله، لا يُراد به رياء، ولا سمعة، ولا طمع في مدح الناس.

* يشمل ذلك اجتناب الشرك الأكبر والأصغر، كالرياء.

* (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا)

* هذا هو شرط قبول العمل. يجب أن يكون العمل صواباً وموافقاً لما جاء في شريعة الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

* العمل الصالح هو ما اجتمع فيه الإخلاص والمتابعة.

وعن أبي هريرة مرفوعا: قَالَ اللهُ تعَالَى: أنا أَغْنَى الشرَكاءِ عَنِ الشرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». رواه مسلم .

| أبو هريرة |

هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه، أشهر صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثرهم رواية للحديث النبوي على الإطلاق. أسلم في العام السابع للهجرة، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم، فكان حافظاً لسنته، وهو من فقهاء الصحابة. |

| مرفوعًا |

يعني أن هذا الكلام قد رفعه أبو هريرة ونسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، الذي نقله بدوره عن ربه تبارك وتعالى (حديث قدسي).

| قَالَ اللهُ تعَالَى |

إشارة إلى أن هذا الحديث هو حديث قدسي، أي أن معناه من عند الله، ولفظه منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

| أنا أَغْنَى الشرَكاءِ عَنِ الشرْكِ |

أغنى: اسم تفضيل يدل على الغنى المطلق. الشركاء: المقصود بهم من يُشرَكُ به مع الله.

الله تعالى هو الغني بذاته عن كل شيء، ولا يحتاج إلى عمل العبد، فضلا ً عن أن يقبل عملا ً فيه شريك له. فالله كامل لا يقبل النقص ولا التجزئة في حقه. |

| مَنْ عَمِلَ عَمَلًا |

أي: كل عبادة أو طاعة أو قربة يقصد بها العبد التقرب إلى الله (كصلاة، صدقة، جهاد، دعاء...).

يشمل هذا اللفظ كل أنواع العبادات الظاهرة والباطنة، من الشعائر إلى النيات. |

| أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي |

أي: لم يخلص هذا العمل لله وحده، بل قصد به الرياء أو السمعة أو تحقيق مصلحة دنيوية أو تقرباً لغير الله (الشرك الأصغر أو الأكبر).

المقصود: هو الشرك في النية والقصد، وهو ما يُعرف بالرياء (الشرك

الأصغر)، أو الإشراك في أصل العبادة (الشرك الأكبر).

| تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ |

هذا هو الجزاء والعقاب الإلهي للعمل المشوب بالشرك. تركتُه: أي رفضتُ وقبولي لهذا العمل، وأسقطتُ الأجر المترتب عليه.

النتيجة: العمل الذي لم يُبنَ على الإخلاص يُردُ على صاحبه، ولا يقبل الله منه إلا ما كان خالصاً لوجهه.

وعن أبي سعيد مرفوعا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المسيح الدّجّالِ ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللّه. قَالَ: الشّرْكُ الخَفِيُّ: يَقُومَ الرّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ» رواه أحمد . "

| أبو سعيد |

هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري، صحابي جليل من شباب الصحابة، شهد غزوة الخندق وما بعدها. كان من المكثرين لرواية الحديث ومن فقهائهم.

| مرفوعًا |

يعني أن هذا الكلام قد نسبه أبو سعيد مباشرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهو حديث نبوي شريف.

| أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدّجّالِ؟ |

استفتاح لشد انتباه الصحابة، والمسيح الدجال هو أعظم فتنة تصيب الأمة في آخر الزمان.

المقارنة بين الشرك الخفي والدجال تدل على أن فتنة الشرك الخفي (الرياء) أشد وأعم خطرًا على دين الفرد من فتنة الدجال، لأنها قد تهلك العمل دون أن يشعر العبد.

| قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ |

استجابة الصحابة وحرصهم على معرفة ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم. | يدل على فطنة الصحابة ورغبتهم في التزود بالعلم النافع الذي يحفظ عليهم دينهم.

| الشِّرْكُ الخَفِيُّ | هو ما يُعرف بـ الرياء أو الشرك الأصغر. سُمِّي خفياً لأنه يتسلل إلى نية العبد ولا يراه الناس، وهو كدبيب النمل. | تفسير السلف: قال سعيد بن جبير في تفسيره لقوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: "من الشرك الخفي ما يدخل في النية، وهو الرياء."

| يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي | تحديدٌ لموطن وقوع هذا الشرك، وهو العبادات القولية والفعلية، والصلاة هي رأس العبادات العملية. | الدلالة: يوضح أن العمل الصالح نفسه قد يتحول إلى ذنب بسبب النية، فالصلاة التي هي قربة تُفسَدُ بالرياء.

| فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ |

أي: يُحسنها ويُطيلها، ويزيد من خشوعها أو هيئتها الظاهرة. | هذا التحسين ليس لله، بل هو للفت انتباه الآخرين وكسب مدحهم. قال الإمام النووي: أي يُجمِّلها ويُحسنها فوق ما كان يفعل لو كان خالياً.

| لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ |

هي النية الخفية التي أفسدت العمل؛ وهي فعل الطاعة لأجل ملاحظة الناس لا لأجل الله.

الخلاصة: هذا العمل لم يُخْلَص لله تعالى، بل جُعل فيه شريك (وهو نظر المخلوقين)، وقد مرّ في الحديث القدسي السابق: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

باب مِنَ الشّرْكِ إرَادَةُ الإ ِنسَانِ بِعَمَلِهِ الدّنْيَا

وقوله تعالى : (مَن كانَ يُرِيدُ الحَيَوَةَ الدّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (10) أُولَئِكَ الّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلّا النّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ [هود: ١٥-١٦].

(مَن كانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدّنْيَا وَزِينَتَهَا)

* الآية تتحدث عن الشخص الذي تكون النية الأصلية والأساسية وراء أعماله الصالحة (كالصدقة، أو طلب العلم، أو الجهاد الظاهر) هي تحقيق مصلحة دنيوية بحتة.

(نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ)

* وعد من الله بأن يعطي هؤلاء الأشخاص مقابل أعمالهم الدنيوية كاملا ً غير منقوص في هذه الحياة. فإذا أراد بعمله مالا ً، حصل عليه، أو جاهاً، ناله.

* ويوضح الله تعالى أنه حتى لو كانت نيتهم دنيوية، فإنهم لن يُظلموا أو يُنقصوا من جزاء عملهم الدنيوي الذي سعوا إليه.

(أُولَئِكَ الّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلّا النّارُ)

* هذا هو الجزاء المروع. لما كانت نيتهم مقصورة على الدنيا، كانت مكافأتهم مقصورة على الدنيا، فلم يتبق لهم في الآخرة إلا النار والعذاب.

قال تعالى"وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مّا كانُوا يَعْمَلُونَ".

أي أن جميع أعمالهم التي عملوها (كالأعمال الصالحة الظاهرة التي لم يقصدوا بها وجه الله) بَطلَتْ وذهبت أدراج الرياح، ولم يُجْنوا منها أي ثواب أخروي.

و في الصحيح عن أبي هريرةقال: قال رسول الله :

تعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ تعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تعِسَ عَبْدُ الحَمِيلَةِ: إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ"، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ .

| أبو هريرة |

هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه. أشهر الصحابة وأكثرهم رواية للحديث. كان ملازماً للنبي صلى الله عليه وسلم بعد إسلامه، ودعا له النبي بالحفظ، فكان حافظاً لسنته ونقل هذا الحديث الذي يُقرر أصلا ً من أصول الزهد والإخلاص.

| تعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ |

تعِسَ: دعاء عليه بالتعاسة، والهلاك، والانكباب، والتعثر. عبد الدينار

والدرهم: ليس المقصود العبادة بالمعنى المطلق، بل هو مَنْ أحب المال حباً شديداً وجعل غايته الكبرى وسيده الذي يتبعه.

| تعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تعِسَ عَبْدُ الحَمِيلَةِ |

الخميصة والحميلة: نوعان من الثياب الثمينة والمزخرفة.

التعاسة تشمل أيضاً من كانت محبته وغايته في الملابس الفاخرة والمظاهر والزينة الزائلة.

| إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ |

هذا هو الميزان الحقيقي لعبودية الدنيا، وهو سخطه لعدم حصوله على مطلوبه.

الرضا والسخط مرتبط بالمخلوق لا بالخالق. قال النووي: هذا هو معنى كونه عبداً للدينار، لأنه يرضى لرضاه ويسخط لسخطه. وهذا ينافي الرضا

بالقضاء الإلهي.

| تعِسَ وَانْتَكَسَ |

انتكس: أي سقط على رأسه، أو انعكس قلبه فصار الخير عنده شراً والشر خيراً. | النتيجة: الهلاك وعدم التوفيق، فكلما حاول النهوض للخير، انتكس وسقط في حب الدنيا.

| وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ |

شِيكَ: أي أصابته شوكة صغيرة. فَلَا انْتَقَشَ: أي لا يقدر على إخراجها. العقوبة: هذا كناية عن العجز والخور والذل. إذا أصابته أدنى مصيبة أو صعوبة، لم يستطع الخروج منها، لأنه لا يستعين إلا بغير الله.

| طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ |

طُوبَى: كلمة تدل على الغبطة والخير الكثير والجنة. عبد: أي عبدٌ لله حقيقي، وليس عبداً لمخلوق.

| أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ |

كناية عن البعد عن الترف والزينة، والانشغال بالجهاد، حيث لا وقت لتسريح الشعر أو تنظيف القدمين من غبار المعركة. | الزهد والإخلاص: هذا يجسد الزهد الحقيقي وترك المظاهر طلباً لرضا الله. |

| إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ |

الحِراسة: السهر لحماية المسلمين من العدو.

وهذا يمثل التسليم التام لأمر القيادة، حيث يقوم بالمهام الصعبة التي لا يطلبها غالباً إلا المخلصون.

| وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ |

السّاقة: مؤخرة الجيش، وهي موضع مهم لحماية الجيش من الخلف، أو حمل الأثقال، وغالباً ما يُترك لأقل الناس شهرة.

الإخلاص الخفي: هذا يمثل القبول التام لأي منصب، سواء كان في المقدمة (الشهرة) أو المؤخرة (الخفاء). غايته العمل لله لا الظهور للناس.

| إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ |

أي إذا أراد الانصراف أو الراحة، رُفض طلبه. | الاحتساب: هذا يجسد كمال الصبر واحتساب الأجر رغم عدم نيل الرغبة. |

| وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ |

أي ليس له وجاهة أو منزلة بين الناس (عبداً مغموراً)، فشفاعته وطلبه لا يُقبل.

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحْرِيم مَا أَحَلَ اللّه [أَوْ تحليل " مَا حَرّمَ اللّه " فَقَدِ اتّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّه

وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر ؟!)

وقال الإمام أحمد بن حنبل : عجبت " القوم عرفوا الإسناد وصحته،

ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النور: ٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قبله شيء من الزيغ فيهلك. "

| يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ |

هذا تعبير مجازي عن شدة الغضب الإلهي والوعيد بالعقوبة. هو تحذير صارم وتهديد بالعذاب الدنيوي بسبب مخالفة الأمر الإلهي.

| أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ |

إشارة إلى حجة الشرع القاطعة؛ وهي النص الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم (السنة). ابن عباس يحتج بالنص الصحيح.

| وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟ |

إشارة إلى الاجتهاد البشري، حتى ولو كان من قِبل أعظم الصحابة (أبو بكر وعمر)، فهما ليسا بمعصومين.

| عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ |

العجب هنا هو استنكار شديد. عرفوا الإسناد وصحته يعني: ثبت لديهم النص النبوي يقيناً بأنه حديث صحيح لا شك فيه.

| وَيَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ |

سفيان هنا هو مثال للعالم المجتهد (قد يكون سفيان الثوري أو ابن عيينة).

والمقصود: يتركون النص الثابت ويتبعون رأي فقيه أو مجتهد، رغم علمهما بصحة الحديث.

| أَتدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ |

هذا هو التفسير العميق الذي قدمه الإمام أحمد لخطورة المخالفة. ليست الفتنة مجرد بلاء، بل قد تكون فتنة عقدية تؤدي إلى الشرك.

| لَعَلَّهُ إِذَا رَدّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكُ | الزَّيغ هو الميل والانحراف عن الحق.

و عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: اتخَذُوا أحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [التوبة: ٣١]، فقلت له : إنا لسنا نعبدهم. قال: أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلّ اللّه ُ، فَتُحَرِّمُونَه، وَيُحِلُّونَ مَا حَرّمَ اللّهُ، فَتُحِلُّونَه؟».

فقلت: بلى، قال: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ». رواه أحمد والترمذي وحسنه] .

| عدي بن حاتم |

هو الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي، ابن حاتم الطائي المشهور بـ الكرم. أسلم في السنة التاسعة للهجرة، وكان قبل إسلامه نصرانياً. قصته مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث هي محاورة مباشرة كشفت له

| اتخَذُوا أحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ |

الأحبار: علماء اليهود. الرهبان: عُبّاد النصارى. أربابًا: آلهة يتصرفون في أمر التشريع والطاعة. | الآية: تدل الآية على أن النصارى واليهود جعلوا لعلماءهم حق التشريع المطلق، وهو ما يختص بـالله وحده.

| فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ |

عدي رضي الله عنه (وكان نصرانياً) فهم أن العبادة هي مجرد السجود

والدعاء لغير الله، فنفى أن يكونوا يعبدون الرهبان بهذا المعنى الظاهر.

سؤال عدي يدل على أن الشرك في الطاعة كان أمراً خفياً وغير واضح حتى لأهل الكتاب أنفسهم، مما يوضح أهمية التفسير النبوي.

| أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ، فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَتُحِلُّونَهُ؟ |

سؤال النبي صلى الله عليه وسلم يكشف المعنى الحقيقي لعبادتهم: وهي طاعتهم طاعة مطلقة في تحليل الحرام وتحريم الحلال.

الحلال والحرام لا يملكه إلا الله، فمن أطاع مخلوقاً في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه، فقد جعله شريكاً لله في خصائص الألوهية.

| فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ |

اعتراف عدي بوقوع هذا الفعل، وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم الواضح: أن هذه الطاعة المطلقة في التشريع هي العبادة التي قصدتها الآية.

وأكد النبي صلى الله عليه وسلم أن العبادة ليست مجرد ركوع وسجود، بل هي الانقياد التام والطاعة المطلقة للمشرّع.

باب قول الله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وتوفيقا [النساء: ٦٠-٦٢].

(أَلَمْ تَرَ)

الخطاب موجّه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى كل من يصلح له الخطاب. وهو استفهام إنكاري بمعنى التعجُّب والاستغراب، أي: ألم يصل إلى علمك يا محمد، أو ألم تعلم وتستغرب حال هؤلاء؟

(يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا)

* يَزْعُمُونَ: الزعم هو الادعاء، وقد يُطلق على القول الذي لا أساس له من الصحة (الكذب). هم يدّعون أنهم آمنوا بـالقرآن (مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) و بـالكتب السابقة كالتوراة والإنجيل (وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ).

(يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ)

هذا هو الفعل الذي يفضح نفاقهم. فبدلا ً من اللجوء إلى حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عند النزاع، يفضلون الذهاب إلى الطاغوت.

* الطاغوت: هو كل ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مُطاع. وفي سياق الحكم، هو كل ما يُحكم به خلاف شرع الله تعالى ورسوله. وقد فُسِّر في أسباب النزول بكعب بن الأشرف اليهودي، أو كاهن من كُهّان العرب كانوا يرتشون للحكم. وهو يشمل اليوم كل الأنظمة والقوانين التي تتعالى على شريعة الله.

(وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ)

تأتي الجملة لبيان عظم جرمهم؛ فهم لم يُؤمروا فقط بالتحاكم إلى الشرع،

بل أُمروا بأن يكفروا بالطاغوت ويتبرؤوا منه؛ لأن التوحيد يقوم على ركنين: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله (لا إله إلا الله). فكيف يجمعون بين أمرين متناقضين: الإيمان بالرسول والتحاكم إلى عدوه؟

(وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)

تُبيّن الآية أن التحاكم إلى الطاغوت ليس مجرد خطأ عابر، بل هو نتيجة وسوسة وقيادة من الشيطان، الذي يهدف إلى إبعادهم عن جادة الصواب بُعدًا لا أمل معه في الرجوع، فيؤدي بهم إلى الهلاك الأبدي.

(تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ)

عندما يُدعى هؤلاء المنافقون إلى مرجعية الحق التي يدّعون الإيمان بها، وهي:

* مَا أَنزَلَ اللَّهُ: (القرآن).

* الرَّسُولِ: (السنة، والحكم الذي يصدره الرسول صلى الله عليه وسلم).

(رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا)

* تصف الآية رد فعلهم، فتؤكد أن هؤلاء المدّعين ليسوا مؤمنين، بل هم المنافقون الحقيقيون.

* يَصُدُّونَ عَنكَ: أي يُعرضون عنك وعن حكمك.

* صُدُودًا: الصدود هنا هو المصدر الذي يفيد التوكيد. والمعنى: يُعرضون إعراضًا شديدًا، وكاملا ً، ونفوراً تاماً، لا يرغبون معه في حكم الشرع. وهذا الفعل هو العلامة الفاصلة بين المؤمن الصادق والمنافق.

(فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ)

هذا استفهام تهديدي يفيد التعجب من حالهم، أي: كيف سيكون وضعهم عندما يقع عليهم عقاب أو بلاء؟ وهذا البلاء يكون نتيجة سوء صنيعهم ومخالفتهم لشرع الله (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ).

(ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ)

عندما تحل بهم المصائب، أو يحتاجون إلى عون المسلمين، أو يُطالبون

بحقوقهم، فإنهم يضطرون للرجوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ويسعون لتبرير فعلهم السابق بالتحاكم إلى الطاغوت. فيأتون يحلفون بالله (كذباً وغدراً).

(إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا)

* إِنْ أَرَدْنَا: (إن) هنا نافية بمعنى: ما أردنا.

* يُقسمون على أن هدفهم من التحاكم إلى غير الشرع لم يكن نابعاً من رفض حكم الله، بل كان القصد منه مجرد:

* إِحْسَانًا: أي الإصلاح بين الطرفين باللين والمداراة والمجاملة (المداهنة)، وتجنُّب الأحكام الصارمة.

* تَوْفِيقًا: أي التوفيق والجمع والتأليف بين المتخاصمين بالحلول الوسطية، أو إرضاء كل الأطراف.

* وهذه حجة باطلة؛ لأن التحاكم إلى غير الشرع في حد ذاته هو نقيض

للإحسان والتوفيق، إذ لا إحسان ولا توفيق إلا بتحكيم شرع الله تعالى.

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ)

* الإفساد: هو ضد الصلاح. ويشمل في الآية كل عمل يخالف شرع الله، ويُلحق الضرر بالدين أو الدنيا أو بالناس. يدخل فيه:

* الإفساد العقدي: كالكفر والنفاق.

* الإفساد الاجتماعي: كإثارة الفتنة، والنميمة، والخيانة، والمعاملات الفاسدة.

* الإفساد السياسي: كمعاداة شرع الله وإثارة القلاقل.

* القائلون لهم هم المؤمنون الناصحون. ويُنهونهم عن هذه الأفعال.

(قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)

* الادعاء: هذا هو رد المنافق والمتعالي. فهم لا يكتفون بإنكار الإفساد، بل يدّعون عكسه تماماً، مستخدمين أداة الحصر "إنّمَا" للتأكيد على أنهم هم المصلحون الحقيقيون على وجه الحصر.

وغايتهم من هذا القول هي تبرير أفعالهم وتزيينها، وإظهار أن ما يقومون به من نفاق ومكر هو عين الحكمة والمصلحة والسياسة الصحيحة، ويدّعون أن من ينهاهم جاهل بالواقع.

وقوله: وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ }· [الأعراف : ٥٦].

(وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا)

الآية تقرر أن الله قد أصلح الأرض ابتداءً، أي: أصلحها بالتوحيد والشرائع وبعثة الأنبياء. فبإرسال الرسل وبيان الحق، استقامت أمور الدين والدنيا.

* الإفساد المحرم: هو كل ما يخالف الشرع ويضر بالدين أو بالناس. يدخل في ذلك:

* الإفساد العقدي: بالشرك والكفر والبدع.

* الإفساد الدنيوي: بالظلم والبغي والعدوان وتخريب البيئة والمجتمع.

* المعنى: بعد أن أصلح الله الأرض وهداها، لا تعودوا أنتم لتُفسدوها بالمعاصي والمخالفات، فالإفساد بعد العلم والإصلاح أعظم إثماً.

(وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا)

* الدعاء: يشمل هنا العبادة كلها (لأن الدعاء هو العبادة)، ويشمل طلب الحاجات.

وأمر الله بعبادته ودعائه على حالة من التوازن الروحي، لتجمع بين:

* الخوف: الخوف من عذاب الله وعقابه وسخطه، وهذا يدفع إلى ترك المعاصي.

* الطمع (الرجاء): الطمع في رحمته وثوابه ومغفرته، وهذا يدفع إلى فعل الطاعات.

وقوله: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [المائدة:

(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ)

* حكم الجاهلية: يُقصد به كل قانون أو نظام تحكيمي أو عرف يخالف شريعة الله التي أنزلها على رسله. يشمل ذلك الأهواء، والآراء البشرية،

والسنن البالية التي لا تستند إلى وحي.

* الإنكار والتوبيخ: الاستفهام هنا ليس لطلب المعلومة، بل هو إنكار شديد وتوبيخ لمن يترك حكم الله الواضح طلباً لحكم البشر الناقص أو حكم الجاهلية الظالم.

(وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا)

* الاستفهام التقريري: هذا الاستفهام يعني: لا أحد أحسن حكماً من الله على الإطلاق.

* الحكمة الإلهية: حكم الله هو الأعدل والأصوب والأرحم بالعباد؛ لأنه صادر عن علم مطلق وحكمة شاملة ورحمة واسعة، بخلاف أحكام البشر التي يشوبها الجهل والهوى والظلم.

(لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

* اليقين: هو كمال الإيمان والتصديق الجازم دون أدنى شك.

* الاختصاص: الآية تؤكد أن من يدرك حقيقة كمال حكم الله ويفضله على غيره هم فقط القوم الموقنون الذين استنارت قلوبهم بالحق. أما من لا يوقن ، فإنه يعرض عن حكم الله ويلجأ إلى غيره.

عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم " حَتّى يَكُونَ هَوَاهُ تبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ». قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

| عبد الله بن عمرو |

هو عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي رضي الله عنهما. كان من

أكثر الصحابة علماً ورواية للحديث، وكان يكتب ما يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم بإذنه، في صحيفة سماها "الصادقة". عُرف بزهده وعبادته وتأخر وفاته.

| أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ |

إثبات أن هذا القول مرفوع ومسند مباشرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

| لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم |

نفي الإيمان هنا يدل على نفي كمال الإيمان الواجب أو المستحب، وليس نفياً لأصل الإيمان الذي يُخرج صاحبه من الملة (كما هو منهج أهل السنة في تفسير نفي الإيمان في الوعيد).

الإيمان هنا إيمان صحيح كامل ومقبول. فمن لم يحقق هذا الشرط، فهو ناقص الإيمان، آثم، وقريب من الزلل.

| حَتّى يَكُونَ هَوَاهُ |

الهوى هو ميل النفس ورغبتها ومحبتها. الهوى في الأصل ميل فطري، لكنه يُذمّ إذا مال إلى ما يغضب الله.

المقصود: أن تكون المحبة والرغبة والميل النفسي الذي في القلب خاضعاً وموافقاً للشرع، لا معانداً أو مخالفاً له.

| تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ |

تبَعًا: أي تابعاً وخاضعاً ومنقاداً. لِمَا جِئْتُ بِهِ: أي لجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن والسنة، وهي الشريعة الكاملة.

الخلاصة: يجب أن تكون كل رغبات العبد وميوله محكومة وموجهة بالشرع ، بحيث لا يشتهي إلا ما أحله الله، ولا يكره إلا ما كرهه الله.

وقال الشعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة

فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم - لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ولا يميل في الحكم " وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ويميلون في الحكم " - فاتفقا على أن يأتيا كاهنا في

جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ يَزْعُمُونَ أَنّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ] الآية. "

وقيل : نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: تترافع إلى النبي ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف"، ثم بعد ذلك ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول : أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

| الشعبي |

هو عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي، من كبار التابعين وأئمة الفقه والعلم

والحديث، أدرك أكثر من خمسمائة من الصحابة. قوله يُعدُ تفسيراً موثوقاً عند السلف، لأنه ينقل غالباً عن قصص وقعت في زمن الصحابة.

| كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ المُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ خُصُومَةٌ |

المنافق هو من يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر، واليهودي هو من أهل الكتاب. اجتماع الخصومة بينهما هو سبب نزول الآية.

الآية لم تنزل لتحذير الكافرين، بل لتحذير من يدّعي الإيمان، فالمنافق هو المخاطب الأساسي بالتحذير. |

| فَقَالَ اليَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ... |

اليهودي يختار حكم النبي صلى الله عليه وسلم لأنه يعلم أن حكمه عادِل وغير مرتشٍ، ولو كان الحكم عليه.

هذا اعتراف من الخصم بأن الشريعة الإسلامية هي الأعدل والأحكم. وهو دليل على أن عدل الشريعة كان ظاهراً حتى لأعدائها.

| وَقَالَ المُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى اليَهُودِ... |

المنافق يختار التحاكم إلى اليهود، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ويميلون في الحكم. | العلامة الفارقة للنفاق: تفضيل حكم البشر الظالم (القائم على الهوى والرشوة) على حكم الله ورسوله، طمعاً في مصلحة دنيوية.

| فَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ |

بعد رفض كل منهما اقتراح الآخر، اختارا التحاكم إلى الطاغوت وهو الكاهن (الذي يدّعي علم الغيب).

الطاغوت: هذا يفسر قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾،

فالكاهن هنا أحد أشكال التحاكم إلى غير ما أنزل الله.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ |

كعب بن الأشرف كان من كبار يهود المدينة، وكان معروفاً بعدائه للإسلام

والرشوة. طلبه يمثل رغبة في التحاكم إلى الطاغوت الظالم. | نفي الإيمان: تفضيل التحاكم إلى كعب بن الأشرف على حكم النبي صلى الله عليه وسلم هو عين النفاق الذي نفاه الله بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾.

| ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ |

لجوء الخصمين إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد عدم رضاهما بحكم النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا يوضح أن القضية لم تحل عند النبي، فاستمرا في الخصومة ولجأ إلى عمر ليحكم بينهما كقاض.

| فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ |

عمر يستثبت من الرجل الذي رفض حكم النبي صلى الله عليه وسلم وطلب حكماً غيره، فأقر الرجل بفعله.

إقرار المنافق برفض حكم النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد أن قصده كان رفض الشريعة لا مجرد الخطأ.

| فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ |

حكم عمر بن الخطاب الفوري بالقتل على الرجل.

هذا الفعل من عمر رضي الله عنه كان بناءً على فهمه لـ وجوب الرضا التام بحكم النبي صلى الله عليه وسلم، وأن رفض حكمه (بعد ثبوته) مع الإقرار با لإيمان هو كفر مُخرج من الملة (ردة)، لأن رفض حكم النبي صلى الله عليه

وسلم هو تكذيب له ولربه.

باب مَنْ جَحَد شَيْئًا مِنْ الأ َسْمَاء والصفات

وقول الله تعالى: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبّي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكّلتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) [الوعد : ٣٠].

هذه الآية الكريمة هي إعلان صريح وثابت لـعقيدة التوحيد والتوكل، وهي تأتي في سياق الحديث عن كفر المشركين بصفات الله وأسمائه.

(وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرّحْمَنِ)

* تشير الآية إلى جحود المشركين وإنكارهم لاسم الله "الرحمن". فقد كان بعضهم يرفض هذا الاسم عند سماعه، أو ينكر الصفة التي يتضمنها (وهي الرحمة الواسعة).

(قُلْ هُوَ رَبّي لا إِلَهَ إِلا هُوَ)

أُمِرَ النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعلن بكل ثقة ويقين أصل التوحيد رداً على كفرهم. فالله هو "رَبّي" (المُربّي والمالك والمدبّر)، وهو "لا إِلَهَ إِلا هُوَ" (لا معبود بحق سواه).

(وَإِلَيْهِ مَتَابِ)

* المتاب هو المرجع والمآب، وهو أيضاً التوبة.

* المعنى الأول هو أن المرجع والمصير في كل الأمور، دقيقها وجليلها، هو إلى الله وحده.

* المعنى الثاني (وهو الأقوى هنا): أني أتوب وأنيب وأرجع إليه في كل أموري، لا ألجأ لغيره في طلب العون أو المغفرة.

وفي صحيح البخاري : قال علي رضي الله عنه : حَدّثوا النّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أتُرِيدُونَ أن يُكذّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ ؟!.

| علي رضي الله عنه | هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي

القرشي، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره (زوج فاطمة الزهراء). كان من أوائل من أسلم، وأحد الخلفاء الراشدين الأربعة. عُرف بعلمه الغزير، وزهده، وشجاعته، وحكمته البالغة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

| حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ |

حدِّثوا: أي علِّموا وأخبروا الناس بأمور الدين والعلم. بما يعرفون: أي بما يدركونه وتستوعبه عقولهم، ولا يجاوز مستوى فهمهم. | القاعدة: وجوب التدرج في التعليم والدعوة، ومخاطبة كل قوم على قدر عقولهم وقدرتهم على الاستيعاب، والبدء بالأصول والمحكمات قبل الفروع والمتشابهات.

| أَتُرِيدُونَ أَن يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟ |

استفهام إنكاري بمعنى: لا تفعلوا ذلك. هذا الجزء هو تعليل للنهي وسؤال تحذيري. | التعليل: التحديث بأمور دقيقة جداً أو متشابهة لا يستوعبها عقل العامة قد يؤدي بهم إلى سوء الفهم أو الإنكار التام لهذا الكلام، فيصبح تكذيباً لما نُسب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس : أنه

رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي في الصفات استنكارا لذلك فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند مُحكمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عندمتشابيه. انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله يذكر (الرحمن)، أنكروا ذلك، فأنزل الله

تعالى فيهم: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ } [الرعد: ٣٠].

| ابن عباس |

الصحابي الجليل عبد الله بن عباس، حبر الأمة وترجمان القرآن. كان من أعلم الصحابة بتأويل النصوص.

| ابن طاوس عن أبيه |

طاوس بن كيسان اليماني (من كبار التابعين)، وروى عن ابنه عنه. طاوس من تلاميذ ابن عباس ومن أعلم التابعين.

| رَأى رَجُلًا انْتَقَضَ |

الانتفاض هو الاضطراب والارتعاد، كناية عن الاستنكار الشديد أو الخوف غير المنضبط من النص.

| لَمّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ فِي الصِّفَاتِ |

أي حديثاً يتعلق بصفة من صفات الله تعالى (كالنزول، أو اليد، أو الغضب، ونحوها). هذا الرجل لم يستوعب النص، فظنه نقصاً أو تشبيهاً.

| فَقَالَ: مَا فَرَقَ هَؤُلَاءِ؟ |

فَرَقَ تعني: ما الذي أفزع هؤلاء وأرعبهم وجعلهم يستنكرون؟ هو تساؤل إنكاري من ابن عباس على عدم ثبات قلوبهم.

| يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ |

المُحكم هنا: هي الآيات والأحاديث الواضحة البينة التي يسهل فهمها، كالتي تتحدث عن الوعد والوعيد، أو الأحكام والأوامر الشرعية. الرقة: الخشوع والتأثر القلبي.

| وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ |

المتشابه: هنا يقصد به نصوص الصفات التي قد يلتبس فهمها على غير الراسخين في العلم، وربما قادتهم إلى التشبيه أو التعطيل بسبب عدم إدراك المعنى الصحيح.

باب قول الله تعالى :

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثمّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الكافِرُونَ [النحل :٨٣].

"يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ"

* "يَعْرِفُونَ": تعني يدركون ويقرون ويعترفون. والمقصود هنا هو الاعتراف بالنعمة في قرارة النفس.

* "نِعْمَتَ اللهِ": المقصود بها كل ما أنعم الله به على عباده، من نعمة الحياة، والصحة، والرزق، والأمن، والهداية، والإيمان. والآية هنا جاءت بعد ذكر نعم الله الواسعة على البشر، مثل خلق البيوت، والملابس، والسفن، والأنعام.

* توضيح: الكفار والمشركون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقرّون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، وهو الذي أنعم عليهم بهذه النعم، وهذا ما يُسمى "توحيد الربوبية". قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنّ اللهُ} [لقمان: 25].

"ثمّ يُنكِرُونَهَا"

* "ثمّ": حرف عطف يفيد التراخي والترتيب، ويعني أن الإنكار يأتي بعد المعرفة. فالمسألة ليست مسألة جهل، بل هي مسألة إنكار وجحود عن عمد.

* "يُنكِرُونَهَا": أي يجحدونها، ولا يشكرون عليها، ولا يعترفون بها بعبادتهم لغير الله.

* كيف يكون الإنكار؟

* بنسبة النعمة إلى غير الله: كأن يقول: "حصلت على هذا الرزق بذكائي" ، أو "أصبت الصحة بمهارتي"، أو "نجحت بفضل فلان". وهذا يخرج من دائرة الشكر لله إلى الشرك.

* بالعبادة لغير الله: وهذا هو أعظم أنواع الإنكار، فمع اعترافهم بأن الله هو الذي أنعم عليهم، إلا أنهم يصرفون العبادة لغيره من الأصنام أو الأوثان أو الأولياء. وهذا هو الشرك الأكبر.

"وَأَكْثَرُهُمُ الكافِرُونَ"

"أَكْثَرُهُمُ": هذا اللفظ يُشير إلى أن هذا السلوك ليس نادرًا، بل هو الغالب على الناس. وهذا فيه تنبيه للمؤمنين حتى لا يقعوا في هذا الفخ.

"الكافِرُونَ": أي الجاحدون بإنكارهم للنعمة. والكفر هنا ليس مجرد الكفر

باللسان، بل هو كفر بالعمل.

* الكفر نوعان:

* كفر النعمة: وهو أن يُنكر الإنسان فضل الله عليه ويُنسب النعم إلى غيره.

* كفر الدين: وهو الكفر الذي يُخرج من الملة بسبب الشرك بالله.

* التلازم بينهما: كفر النعمة هو وسيلة لكفر الدين، لأن من أنكر نعمة الله، فلن يشكره، وإذا لم يشكره، فقد يشرك به.

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل : هذا مالي، ورثته عن آبائي) .

وقال عون بن عبد الله : (يقولون: الولا فلان، لم يكن كذا وكذا]) .

وقال [ابن قتيبة: (يقولون هذا بشفاعة ألهتنا) .

وقال أبو العباس - بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: «أنّ الله ـ تعالى قالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ..... الحديث، وقد تقدم: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يُضيف إنعامه إلى غيره ويُشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم كانت الريح طيبة، والفلاح" حاذقا"،

ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير [انتهى "].

باب قول الله تعالى :

فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ [البقرة : ٢٢]

"فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا"

* "فَلَا تَجْعَلُوا": هذا نهيٌ جازمٌ من الله تعالى لعباده. والنهي في القرآن يفيد التحريم، مما يدل على أن ما يأتي بعده هو من أعظم المحرمات.

* "لِلَّهِ": اللام هنا للاستحقاق، أي لا تجعلوا لله الذي هو الإله الحق المستحق للعبادة وحده، أندادًا.

* "أَندَادًا": جمع "نِدّ"، والندّ هو المثيل أو النظير أو الشريك.

* المعنى اللغوي: الند هو الشيء الذي يضادّ ويقابل الشيء الآخر في صفاته.

* المعنى الشرعي: الندّ هو كل ما يُشرَك مع الله في العبادة، سواء كان صنمًا، أو نبيًا، أو وليًا، أو كوكبًا، أو حجرًا، أو شجرًا. فكل من يُعبَد من دون الله فهو ندّ لله في زعم من يعبده.

"وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ"

هذا الجزء من الآية هو الذي يُلزم العباد بالحجة ويقطع عليهم العذر. أي: " لا تجعلوا لله أندادًا، في حين أنكم تعلمون أنه لا خالق ولا رازق ولا مدبّر لهذا الكون سواه".

* ماذا يعلمون؟:

* يعلمون أن الله هو الخالق: هم يُقرّون بأن الله هو الذي خلقهم ورزقهم، ولم يخلق الأصنام أو الأولياء شيئًا. قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنّ اللهُ} [لقمان: 25].

* يعلمون أن الأنداد لا تنفع ولا تضر: هم يعلمون في قرارة أنفسهم أن هذه الآلهة المزعومة عاجزة وضعيفة. قال تعالى: {وَالّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيّانَ يُبْعَثُونَ} [النحل: 20-21].

قال ابن عباس في الآية: (الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة [هذا]"، لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا؛ هذا كله به شرك). رواه ابن أبي حاتم .

الراوي هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. يُلقّب بـ"حبر الأمة" و"ترجمان القرآن" لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم له بالفقه في الدين وتأويل القرآن، حيث قال: "اللّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل". كان من أعلم الصحابة وأكثرهم رواية للحديث، ويُعد مرجعًا في التفسير والفقه.

"الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل"

هذه العبارة البليغة تُصوّر مدى خفاء الشرك الأصغر. فكما أن دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء في ظلام الليل يكاد لا يُرى ولا يُسمع، كذلك الشرك الأصغر قد يتسلل إلى قلب المسلم ولسانه دون أن يشعر.

"وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي"

هذا مثال على الشرك الأصغر في القول، وهو الحلف بغير الله.

هذا الفعل يقع فيه كثير من الناس اليوم، كأن يحلف بحياة شخص أو رأس أبيه أو غير ذلك. والحلف هو تعظيم للمحلوف به. فإذا حلف الإنسان بغير الله، فإنه يعظّم ذلك المخلوق كما يعظّم الله.

* والحلف بغير الله لا يُعد شركًا أكبر مخرجًا من الملة إلا إذا اعتقد الحالِف أن المحلوف به له منزلة وقدرة كمنزلة الله وقدرته. وإلا فهو شرك أصغر.

"وتقول: لولا كليبة [هذا]، لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص"

هذا مثال على الشرك الأصغر في الاعتقاد والتعلق، وهو تعليق النجاة أو الحماية على سبب من الأسباب دون إرجاع الفضل إلى الله.

هذا القول يتضمن نسبة الفضل في دفع الضر إلى "الكلب" أو "البط" أو أي سبب آخر، دون ذكر إرادة الله وقدرته. كان ينبغي أن يقول: "لولا أن الله جعل هذا الكلب سببًا لنجاتنا" أو "لولا أن الله دفع عنا بوجود هذا الكلب".

"وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان"

هذا مثال على الشرك الأصغر في الألفاظ، وهو التسوية بين إرادة الله وإرادة المخلوق.

* الجمع بـ"الواو" التي تفيد المساواة في العطف (ما شاء الله وشئت) يُشعر بأن مشيئة العبد مساوية لمشيئة الرب، وهذا منافٍ للتوحيد.

"لا تجعل فيها فلانا؛ هذا كله به شرك"

هذه الجملة تأكيدٌ من ابن عباس على أن هذه الألفاظ والاعتقادات التي ذكرها هي من الشرك الأصغر. وهو يوضح أن على المسلم أن يصحح لسانه وقلبه، وأن يجعل كل الأمور راجعة إلى مشيئة الله وحده.

وعن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ». رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم . "

صادقا) .

هو أبو حفص، عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، الخليفة الثاني الراشد، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بـ"الفاروق" لأنه فرّق بين الحق والباطل. كان من أعظم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم علمًا وقوةً في الحق وزهدًا. عُرف بشدته في الدين، وعدله في الحكم، وفراسته في الرأي.

"مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله

* الحلف: هو اليمين، واليمين هي توكيد الشيء باسم من أسماء الله أو صفة من صفاته.

* "بِغَيْرِ الله": أي باسم أو صفة من صفات مخلوق، وليس من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

* أمثلة الحلف بغير الله: أن يقول الرجل "والنبي"، أو "والكعبة"، أو

"بشرفي"، أو "وحياتي"، أو "بأبي"، أو "ورأس فلان"، أو "بأمانة فلان". كل هذه الأمور محرمة.

فالحلف يُعد تعظيمًا للمحلوف به. والتعظيم المطلق لا يكون إلا لله وحده. فإذا حلف الإنسان بغير الله، فإنه يعظّم هذا المخلوق كما يُعظّم الله، وهذا من الشرك.

"فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ"

هذا هو بيت القصيد في الحديث، وفيه وعيد شديد لمن حلف بغير الله.

"كفر":

* كفر أصغر: وهو الكفر العملي الذي لا يُخرج من الملة. وهذا هو المقصود هنا. فالحلف بغير الله هو من الكفر الأصغر، لأنه لا يُبطل أصل الإيمان، ولكنه يُنقص من كمال التوحيد.

* كفر أكبر: وهذا يكون في حالة واحدة، إذا اعتقد الحالف أن المحلوف به له من العظمة والقدرة ما يجعله مساويًا لله. وهذا غالبًا لا يكون إلا من الجهال أو عباد الأضرحة الذين يعتقدون في أصحابها القدرة المطلقة.

"أشرك":

* شرك أصغر: وهذا هو الذي يُصطلح عليه في هذا الحديث. الشرك

الأصغر هو ما كان وسيلةً إلى الشرك الأكبر، أو ما كان فيه تشبه بالشرك

الأكبر.

* الجمع بين "كفر" و "أشرك": كلمة "أو" في الحديث تُفيد التخيير، بمعنى أن الفعل إما أن يكون كفرًا أصغر وإما أن يكون شركًا أصغر، وكلاهما يُطلق على هذا الذنب. والوعيد فيهما يدل على عظم الذنب وخطورته.

وقال ابن مسعود: (لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن. كان من السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين (إلى الحبشة وإلى المدينة). شهد بدرًا

والمشاهد كلها. كان من أقرب الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان

يخدمه ويلازمه. اشتهر بعلمه بالقرآن، حتى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد" (صحيح ابن ماجه)، وهو ابن مسعود. كما كان فقيهًا ورعًا.

"لأن أحلف بالله كاذبًا"

أي أن أُقسم باسم الله تعالى، أو بصفة من صفاته، وأنا أعلم أني كاذب فيما أقول.

الحلف بالله كاذبًا هو من الكبائر. وهو يُعرف باسم "اليمين الغموس"، لأنها تغمس صاحبها في النار.

واليمين الغموس خطيرة جدًا لأن فيها استخفافًا باسم الله تعالى، واستخدامًا لاسم الله في الباطل والكذب.

"أحب إليّ"

هذا التعبير لا يعني أن الكذب حلال، بل هو أسلوب للمقارنة يُستخدم لبيان تفضيل شرّ على شرٍ آخر، وأن أحدهما أهون من الآخر.

لم يُحب ابن مسعود الكذب، بل أراد أن يقول إن ذنب الحلف بغير الله أعظم وأخطر من ذنب الحلف بالله كاذبًا.

"من أن أحلف بغيره صادقًا"

أن أقسم بمخلوق (مثل: النبي، الكعبة، الولي، أو رأس أبي) وأنا صادق فيما أقول.

الحلف بغير الله شرك أصغر.

لماذا يكون الحلف بغير الله، حتى وإن كان صاحبه صادقًا، أشد من الحلف بالله كاذبًا؟

* لأن الحلف بغير الله شرك.

والشرك لا يُغفر: قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48].

أما ذنب الكذب، فإذا مات صاحبه عليه، فإنه تحت المشيئة، إن شاء الله غفر

له وإن شاء عذبه. وهذا يدل على عظم الشرك وقُبحِه، حتى ولو كان أصغر.

وعن حذيفة ،عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا : مَا شَاءَ اللهُ وَشَاء فُلَانٌ، وَلَكِنْ [قولوا : مَا شَاءَ اللّه ُ وَحْدَهُ ثُمّ شَاءَ فُلَانٌ» رواه أبو داود بسند صحيح

هو حذيفة بن اليمان العبسي، صحابي جليل، كان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين، لا يعلم أسماءهم إلا هو. شهد غزوة أحد والخندق، وكان من المقربين من النبي صلى الله عليه وسلم. عُرف عنه شدة ورعه، وعظيم فهمه في مسائل الإيمان والشرك.

"لا تقولوا : مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ"

* "لا تقولوا": هذا نهيٌ من النبي صلى الله عليه وسلم، والنهي يفيد التحريم. أي أن هذا القول محرمٌ شرعًا.

* "مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ": هذه الصيغة من القول فيها الجمع بالواو بين مشيئة الله ومشيئة المخلوق. والواو في اللغة العربية تفيد المساواة

والاشتراك، مما يُوحي بأن مشيئة المخلوق مساوية لمشيئة الخالق، وهذا ينافي كمال التوحيد ويُعد من الشرك الأصغر.

* لماذا حُذِّر من هذا القول؟:

* لأن مشيئة المخلوق لا يمكن أن تكون إلا بعد مشيئة الخالق. فلا يشاء العبد شيئًا إلا بعد أن يشاءه الله له.

* هذا القول قد يؤدي إلى الغلو في تعظيم المخلوق، وربما يوصل إلى الشرك الأكبر إذا اعتقد القائل أن المخلوق يملك التصرف في الكون مع الله.

"وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللّه ُ وَحْدَهُ ثُمّ شَاءَ فُلَانٌ"

* "وَلَكِنْ قُولُوا": هذا إرشاد وتوجيه من النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصيغة الصحيحة التي تناسب التوحيد.

* "مَا شَاءَ اللّه ُ وَحْدَهُ": فيها تأكيد على أن المشيئة المطلقة والكاملة لله وحده، ولا يشاركه فيها أحد.

* "ثُمّ شَاءَ فُلَانٌ": فيها استخدام لـ"ثم" التي تفيد الترتيب والتراخي، مما يُوضح أن مشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الخالق، وليست مساوية لها.

أي أن مشيئة الله سبحانه وتعالى سابقة، ثم تأتي مشيئة العبد بعدها، وهي في الأصل من مشيئة الله. قال تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: 29].

وجاء عن إبراهيم النخعي: (أنه يكره أن يقول": أعوذ بالله وبك"، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك. قال : ويقول : لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا : ولولا

هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، فقيه ومحدث كوفي، وأحد كبار

تلاميذ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. كان يُعد من أئمة أهل الكوفة في الفقه، وكان يُعرف بورعه وزهده وعلمه الغزير. يُعتبر قوله هذا من الفقه الدقيق الذي تلقاه عن شيوخه من الصحابة.

"أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك"

كره إبراهيم النخعي استخدام حرف الواو في هذا السياق.

وحرف الواو في اللغة العربية يفيد المساواة والاشتراك في الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه. فقول "أعوذ بالله وبك" يوحي بأن الاستعاذة بالله والاستعاذة بالمخلوق متساويتان، وهذا شرك.

*والاستعاذة هي عبادة، وهي طلب الحماية من شيء مخيف.

والاستعاذة المطلقة لا تكون إلا بالله وحده، لأنه القادر على الحماية من كل شيء. أما الاستعاذة بالمخلوق في شيء لا يقدر عليه إلا الله فهي شرك أكبر. والاستعاذة به فيما يقدر عليه، كأن يستعيذ به من حيوان مفترس وهو قادر على أن يحميه، فقد يكون ذلك جائزًا، ولكن الأولى تركه.

*كراهة النخعي لهذا القول هي كراهة تحريم، لأنها قد توقع في الشرك

الأصغر، وهو التشبيه بين الخالق والمخلوق.

"ويجوز أن يقول: بالله ثم بك"

أجاز النخعي استخدام حرف "ثمّ" بدلا ً من الواو.

وحرف "ثمّ" في اللغة يفيد الترتيب والتراخي، مما يعني أن الاستعاذة

بالله أولا ً، ثم يأتي بعد ذلك الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه، مع التسليم بأن هذا المخلوق لا يستطيع شيئًا إلا بإذن الله.

"ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: ولولا الله وفلان"

هذا الجزء من الأثر يكرر القاعدة التي ذكرها النخعي في الجزء الأول، ويُطبقها على سياق آخر.

قول "لولا الله وفلان" فيه تسوية بين الله والمخلوق في النِعم، والواو هنا تفيد أن فضل الله وفضل فلان متساويان أو متشاركان، وهذا ينافي التوحيد.

* الصحيح: قول "لولا الله ثم فلان" يُثبت أن فضل الله هو الأصل والمنبع، وأن فضل المخلوق يأتي بعده، وبسبب تمكين الله له. فكل نعم المخلوق هي من الله أولا ً وآخراً.

باب مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَع بالحلف بالله

عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ؛ مَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّه ِ فَلْيُصَدِّقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّه فَلْيَرْضَ؛ وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّه. رواه ابن ماجه بسند حسن

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما. هو أحد المكثرين من رواية الحديث النبوي، ويُعرف بشدة اتباعه للسنة النبوية واجتهاده في العبادة. كان ورعًا زاهدًا، توفي سنة 73 هـ.

«لَا تحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»

هذا هو النهي الأول في الحديث، وهو نهي صريح عن الحلف بغير الله، سواء كان الآباء أو الأنبياء أو الكعبة أو غيرها. الحلف هو تعظيم للمحلوف به، والتعظيم المطلق لا يكون إلا لله وحده.

في صحيح مسلم، عن ابن عمر أيضًا، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ». هذا الحديث يؤكد أن الحلف بغير الله هو شرك أصغر لأنه يضع شيئًا آخر في مرتبة التعظيم التي تخص الله.

قال ابن مسعود: "لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا".

وهذا يوضح أن كذب اليمين بالله أخف من شرك اليمين بغير الله.

«مَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّه ِ فَلْيُصَدِّقْ»

هذا أمر للمؤمنين بأن يقبلوا الحلف بالله. عندما يحلف لك أخوك المسلم

بالله، فعليك أن تصدّقه وتثق به، لأن الله تعالى هو الذي شهد على صدق المؤمن بيمينه. هذا من آداب المعاملة بين المسلمين، وهو يدل على حسن الظن.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]. وهذه الأخوة تقتضي الثقة المتبادلة.

«وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ»

هذا اللفظ يؤكد على الرضا بالحق. إذا أُقيمت لك الحجة باليمين بالله، فعليك أن ترضى بذلك ولا تصر على الشك، فالله هو الحكم، واليمين به هي أعظم ما يقطع النزاع.

عن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: "كانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خُصُومَةٌ فِي بِئْرٍ، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيهَا كاذِبٌ؛ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالًا، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» [رواه مسلم].

هذا الحديث يؤكد أن الحكم هو لله، وأن اليمين بالله هي الحجة القاطعة.

«وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ»

هذا اللفظ فيه تهديد شديد لمن يرفض الرضا باليمين بالله. "ليس من الله" تعني أنه قد حُرم من توفيق الله وحمايته، وقد يكون المعنى أنه ليس على هدي الإسلام الكامل. رفض الرضا بيمين الله هو استهتار بحقه سبحانه، ويُعد كبرًا وعصيانًا.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

والرضا بأحكام الله هو من أصول الإسلام.

قال ابن القيم: "إن الله جعل اليمين بالله قاطعة للنزاع، فمن لم يرضَ بها فقد استخف بحرمة الله وعظمته".

باب ما جاء في قول : ما شاء اللّٰه وشِئْتَ

عن قتيلة": أن يَهُودِيًا أتى النّبِيُّ ، فَقالَ: إنّكمْ تُشْرِكُونَ تقولُونَ: مَا شَاءَ اللّٰه ُ وَشِئْتَ، وتقولُونَ: وَ الكعْبَةِ فَأَمَرَهُمُ النّبِيُّ مرحبا صلى اللّٰه عليه وسلم إذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ

يَقُولُوا: وَرَبِّ الكعْبَةِ، وَأَن يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللّٰه ُ ثُمّ شِئْتَ. رواه النسائي وصححه.

الراوية هي الصحابية الجليلة قتيلة بنت صيفي، وقيل إنها قتيلة بنت قيس، وقيل إنها قتيلة بنت عمرو. لها صحبة، وروت حديثًا واحدًا عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، وهو هذا الحديث.

«أن يَهُودِيًا أتى النّبِيّ صلى اللّٰه عليه وسلم»

هذه العبارة تدل على أن بعض أهل الكتاب كانوا يحضرون مجالس النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ويتكلمون معه، وقد يكون غرضهم الجدل أو طلب الحق. وفي هذا الحديث، كان اليهودي يرى خطأً وقع فيه بعض المسلمين، فقام بتصحيحه بناءً على ما يعرفه من توحيد الأنبياء. وهذا يدل على أن الحق قد يأتي من أي مصدر، وأن المؤمن يجب أن يقبل الحق ولو جاء من غير المسلمين.

«فَقالَ: إنّكمْ تُشْرِكُونَ»

هذا اللفظ صريح في اتهام بعض المسلمين بالشرك. وهذا الاتهام ليس شركًا أكبر مخرجًا من الملة، بل هو شرك أصغر يقع في اللفظ. والشرك الأصغر هو كل ما أدى إلى الشرك الأكبر أو كان وسيلة إليه، أو كان فيه تعظيم لغير اللّٰه تعالى، وهو لا يغفر إلا بالتوبة.

«تقولُونَ: مَا شَاءَ اللّٰه ُ وَشِئْتَ»

هذا هو اللفظ الأول الذي أنكره اليهودي. الواو هنا تفيد التساوي والمشاركة.

فقول "ما شاء الله وشئت" يضع مشيئة المخلوق في مرتبة مساوية لمشيئة الخالق، وهذا ينافي التوحيد الخالص لله تعالى.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا ً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "ما شاء الله وشئت". فقال له النبي: «أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟! قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ» [رواه أحمد].

هذا الحديث يؤكد أن الواو في هذا السياق تعد من الشرك الأصغر.

قال ابن القيم: "هذا من باب الأدب مع الله، فإن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب، فلا يجوز أن تجعل بالواو التي تفيد التسوية".

«وَتَقُولُونَ: وَالكَعْبَةِ»

هذا هو اللفظ الثاني الذي أنكره اليهودي. الحلف بغير الله، سواء كان بالكعبة أو بالآباء أو بالأنبياء، هو شرك أصغر، لأن الحلف تعظيم، والتعظيم المطلق لا يكون إلا لله وحده.

أجمع العلماء على تحريم الحلف بغير الله. قال ابن مسعود: "لأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا".

«فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الكَعْبَةِ»

هذا هو التصحيح النبوي. بدلًا من الحلف بالكعبة، أمرهم النبي أن يحلفوا برب الكعبة. فالحلف هنا ليس بالمخلوق (الكعبة)، بل بالخالق (رب الكعبة). وهذا يدل على أن التعظيم يجب أن يكون لله وحده.

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج: 40]. الله سبحانه يحلف بما شاء من خلقه، أما المخلوق فلا يحلف إلا بالله.

«وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ»

هذا هو التصحيح النبوي للفظ الأول. استخدام "ثم" بدلًا من "الواو" يزيل شبهة التساوي، لأن "ثم" تفيد الترتيب والتعقيب مع التراخي، مما يدل على أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 29]. هذه الآية تؤكد أن مشيئة العبد مرتبطة بمشيئة الله، ولا تكون مستقلة.

وله أيضًا عن ابن عباس ، أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء اللهوشئت، فقال: «أجَعَلْتَنِي اللهِ نِدًّا ؟! [قُلْ] " مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ .

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، رضي الله عنهما. هو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ» [رواه البخاري]. لُقب بـ "حبر الأمة" و"ترجمان القرآن" بسبب علمه الغزير وفقهه العميق. كان من المكثرين من رواية الحديث، وتوفي سنة 68 هـ.

«أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم»

هذه العبارة تدل على أن الحادثة وقعت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الخطأ الذي وقع فيه الرجل كان خطأً شائعًا يحتاج إلى تصحيح من النبي صلى الله عليه وسلم. الرجل لم يذكر اسمه في الحديث، وهذا يدل على أن العبرة بالقول لا بالقائل.

«مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»

هذا هو اللفظ الذي أنكره النبي صلى الله عليه وسلم. "الواو" في اللغة العربية تفيد التساوي والمشاركة. فقول "ما شاء الله وشئت" يضع مشيئة المخلوق (مشيئة النبي) في مرتبة مساوية لمشيئة الخالق (مشيئة الله). وهذا ينافي التوحيد الخالص، حيث إن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، ولا يمكن أن تكون مساوية لها. هذا اللفظ يُعد شركًا أصغر، لأنه يعظّم المخلوق تعظيمًا يجعله في مرتبة الشريك مع الله في اللفظ.

* الدليل من القرآن: قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 29]. هذه الآية واضحة في بيان أن مشيئة الإنسان مرتبطة بمشيئة الله ومقيدة بها. فالله هو الخالق والمدبر، ومشيئته هي الغالبة.

* كلام السلف: قال ابن القيم في كتابه "إعلام الموقعين": "الواو تقتضي التسوية بين المتعاطفين، ولا يجوز أن يساوى بين مشيئة الخالق ومشيئة

المخلوق".

«فَقَالَ: أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟!»

هذا هو الإنكار الشديد من النبي صلى الله عليه وسلم. "الند" هو النظير أو الشريك. إنكار النبي صلى الله عليه وسلم يدل على عظم هذا القول وخطورته، وأنه يُعد من الشرك. النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أعظم الخلق، لم يرضَ لنفسه أن يُجعل ندًا لله حتى ولو كان ذلك في اللفظ. هذا يدل على حرصه الشديد على توحيد الأمة وحمايتها من الوقوع في الشرك.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22].

هذه الآية تحرم الشرك بجميع أنواعه، سواء كان شركًا أكبر أو أصغر، في

الاعتقاد أو في القول.

«[قُلْ] مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»

هذا هو التصحيح النبوي للرجل. أمره أن يقول "ما شاء الله وحده"، وذلك لتأكيد أن المشيئة المطلقة لله وحده لا شريك له. وفي رواية أخرى، أمره أن يقول: «مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمّ شِئْتَ». فاستخدام "ثم" بدلًا من "الواو" يزيل شبهة التساوي، لأن "ثم" تفيد الترتيب والتراخي، مما يدل على أن مشيئة العبد لا تكون إلا بعد مشيئة الله، وهي تابعة لها.

قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: 29]: "إن مشيئة العبد لا تقع إلا بعد مشيئة الله، فكأنها تأتي في المرتبة الثانية".

ولابن ماجه: عن الطفيل - أخي عائشة لأمها- قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، قلت: [إنكم] " لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

ثم مررت بنفر من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت، أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ، فأخبرته، قال: هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا ؟ قلت: نعم، قال: فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :

أمّا بَعْدُ، فَإِنّ طَفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللّٰهُ وَحْدَهُ .

الراوي هو الصحابي الجليل الطفيل بن سخبرة الدوسي، رضي الله عنه. هو أخو أم المؤمنين عائشة لأمها أم رومان. كان من السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى المدينة المنورة. هو صاحب الرؤيا التي وردت في هذا الحديث، والتي كانت سببًا في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا اللفظ الشركي.

«رَأَيْتُ كَأَنّي أُتِيتُ عَلَى نَقَرٍ مِنَ اليَهُودِ»

بدأ الحديث برؤيا رآها الطفيل في المنام، والرؤيا الصالحة جزء من النبوة. الله سبحانه وتعالى قد يُعلم المؤمن أو ينبّهه من خلال الرؤيا، كما حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف متعددة، وكما حدث مع الطفيل هنا. هذه الرؤيا كانت سببًا في تصحيح خطأ شائع في الأمة.

«قُلْتُ: [إِنّكُمْ] " لَأَنْتُمُ القَوْمُ، لَوْلَا أَنّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وَإِنّكُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ، لَوْلَا أَنّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمّدٌ»

في هذا الجزء من الرؤيا، يلوم الطفيلُ اليهودَ على شركهم في نسبتهم العُزير إلى الله، وهذا هو الشرك الأكبر. ثم يردّ اليهود عليه بالمثل، ويلومونه على شرك المسلمين في قولهم "ما شاء الله وشاء محمد".

هذا التبادل يُظهر أن الشرك الأصغر، وإن كان أخفّ من الشرك الأكبر، إلا أنه يُعدّ طعنًا في التوحيد. فاليهود والنصارى كانوا يُعيّرون المسلمين على هذا اللفظ، مما يدل على خطورته.

قال تعالى في شأن اليهود: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30]. هذا هو الشرك الذي لُوموا عليه.

«ثُمّ مَرَرْتُ بِنَقَرٍ مِنَ النّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنّكُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ، لَوْلَا أَنّكُمْ تَقُولُونَ: المَسِيحُ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وَإِنّكُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ، لَوْلَا أَنّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمّدٌ»

تكرار نفس الموقف مع النصارى يُعزّز فكرة أن هذا اللفظ كان خطأً شائعًا

يُلاحظه أهل الكتاب. وهذا يدل على أن أهل الكتاب كانوا يعرفون التوحيد الخالص الذي جاءت به جميع الرسل، ولهذا استنكروا هذا اللفظ الذي فيه مساواة بين الله ومحمد صلى الله عليه وسلم.

«فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ»

هذا يدل على أن الطفيل لم يكتم الرؤيا، بل أخبر بها بعض الصحابة. وعندما علم النبي صلى الله عليه وسلم، سأله إن كان قد أخبر بها أحدًا. وهذا السؤال ليس للاستنكار، بل ليعرف مدى انتشار الخبر، وربما ليتأكد من أن الرؤيا قد وصلت إلى بعض الصحابة ليتيقن من صحتها قبل أن يُبنى عليها حكم شرعي.

«قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»

هذا هو صلب الحديث، وهو النهي النبوي الواضح عن هذا اللفظ.

* «فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ»: هذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبدأ خطبه ومواعظه بحمد الله والثناء عليه، وهذا من آداب الخطاب النبوي.

* «قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا»: هذه العبارة توضح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم بانتشار هذا اللفظ بين الصحابة، لكنه كان ينتظر الفرصة المناسبة لنهيهم عنه. وهذا يدل على حكمته في التعليم والتربية، فقد يكون من الأفضل أحيانًا تأخير الحكم حتى يكون الناس مهيئين لتقبله.

* «فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»: هذا هو التصحيح النبوي. النهي صريح عن استخدام "الواو" التي تفيد المساواة، والأمر بالقول "ما شاء الله وحده" للتأكيد على أن المشيئة المطلقة لله تعالى.

في الحديث السابق عن ابن عباس، أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول «مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ». وفي حديث آخر، أمره أن يقول «مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ

شِئْتَ». كلتا العبارتين صحيحتان، وكلتاهما تفي بالمعنى المطلوب، وهو عدم المساواة بين الخالق والمخلوق في المشيئة.

باب مَنْ سَبَ الدّهْرَ فَقَدْ أَذَى اللّه

وقول اللّه تعالى: وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ [الجاثية :٢٤].

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾.

هذه العبارة تُعبّر عن اعتقاد الماديين والدهريين الذين لا يؤمنون بوجود حياة بعد الموت. هم حصروا الوجود كله في هذه الحياة الدنيا، ونفوا وجود أي حياة أخرى، مثل حياة البرزخ أو حياة الآخرة. وهذا الاعتقاد هو أساس

الإلحاد وإنكار البعث.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾.

هذا هو زبدة قولهم. هم يفسرون الحياة والموت تفسيرًا ماديًا بحتًا. "نحيا" أي يولد بعضنا، و"نموت" أي يموت بعضنا. هم يرون أن هذه دورة طبيعية تحدث في الكون، دون وجود خالق أو مدبّر. وهذا الاعتقاد هو جوهر الفلسفة الدهرية التي تُنسب كل شيء إلى الطبيعة والزمن.

قال مجاهد: "أي يموت قوم ويحيا آخرون"، أي أنها دورة حياة لا نهاية لها ولا يوجد بعث.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾.

هذه هي قمة ضلالهم. هم نسبوا الموت والفناء إلى الدهر، أي إلى الزمن. وهذا الاعتقاد هو شرك في الربوبية. فنسبة الفعل (الإهلاك) إلى غير اللّه هو نوع من أنواع الشرك.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: «قَالَ اللهُ تعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِيَ الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» [رواه البخاري ومسلم].

هذا الحديث القدسي يُبيّن أن سبّ الدهر هو سبّ لله تعالى، لأن اللّه هو الذي يقدّر ويُدبّر ما في الدهر من أحداث.

قال الإمام الشافعي: "الدهر زمان، وهو ليس من الفاعلين، وإنما الفاعل هو الله سبحانه وتعالى".

﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾

هذا هو الردّ الإلهي القاطع على حجتهم. الله سبحانه وتعالى يُبيّن أن قولهم هذا ليس مبنيًا على علم أو دليل، بل هو مجرد ظن وتخمين. وهذا يدل على أن الإلحاد وإنكار البعث ليس له أي أساس علمي، بل هو نتاج للجهل والهوى.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾

هذه العبارة تؤكد ما سبقها. "إن" هنا بمعنى "ما"، أي "ما هم إلا يظنون". هم لا يتبعون علمًا يقينيًا، بل يتبعون ظنًا باطلًا لا يُغني من الحق شيئًا. فالعلم هو اليقين المبني على الدليل، والظن هو التخمين الذي لا يقوم على أساس.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: 36].

قال ابن القيم: "إن الله سبحانه وتعالى نفى عنهم العلم، وأثبت لهم الظن، وهذا هو حال كل من أنكر الحق بغير دليل".

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ، قال: قَالَ اللَّه تعَالَى : يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِيَ الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ .

وفي رواية: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ .

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي، المعروف بكنيته أبي هريرة، رضي الله عنه. هو أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي. أسلم في السنة السابعة للهجرة، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم ملازمة تامة، مما جعله يحفظ عنه الكثير من الأحاديث.

كان من أهل الصفة، وتوفي سنة 59 هـ.

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ»

هذه هي بداية الحديث القدسي. "يؤذيني" هنا ليس على وجه الحقيقة،

فاللّٰه سبحانه وتعالى مُنزّه عن أن يتأذى، ولكن المعنى هو أن هذا الفعل

يُعدّ كفرًا بـاللّه، ويُفهم على أنه استعارة للمبالغة في التحذير من خطورة هذا الفعل. فـاللّه تعالى يكره هذا الفعل ويبغضه، ويُعتبر سببًا له.

«يَسُبُّ الدّهْرَ»

المراد بـ "الدهر" هنا هو الزمن. الناس يسبّون الدهر عند وقوع المصائب، فيقولون: "يا خيبة الدهر"، أو "يا شؤم الدهر"، أو "هذا زمان سوء"، ونحو ذلك من الألفاظ. هذا السبّ ناتج عن اعتقاد فاسد بأن الدهر هو الفاعل الحقيقي لهذه المصائب، وهذا الاعتقاد هو شرك في الربوبية.

قال الإمام ابن تيمية: "سباب الدهر على ثلاثة أنواع: الأول، أن يعتقد أن الدهر هو الفاعل، فهذا شرك. الثاني، أن يظن أن الدهر ليس بفاعل، ولكن يسبه لأنه محل المصيبة، فهذا حرام".

«وَأَنَا الدّهْرُ»

هذه العبارة هي محور الحديث، وهي التي يُمكن أن تُفهم بشكل خاطئ. المعنى هنا ليس أن اللّه هو الدهر بذاته، لأن اللّه منزّه عن أن يكون زمنًا. بل المعنى هو أن اللّه هو صاحب الدهر، وهو مدبّر أحداثه. أي: "أنا الذي أفعل ما ينسبونه إلى الدهر"، أو "أنا مُقلّب الدهر".

قال الإمام الشافعي: "العرب كان من عادتهم أن ينسبوا الحوادث إلى الدهر، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم: لا تسبوا الدهر، فإن اللّه هو الدهر، أي أن الأمر بيدي أنا، وما يحدث من خير وشر فبأمري لا بأمر الدهر".

«بِيَدِيَ الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»

هذه العبارة تفسّر معنى "وأنا الدهر". فـاللّه سبحانه وتعالى يُثبت لنفسه أنه هو المتصرف في الكون، وهو الذي يُدبّر كل شيء. وهو الذي يقلب الليل والنهار، ويأتي بالخير والشر، ويُنزّل المصائب، ويرفع البلاء. فنسبة هذه الأفعال إلى غيره هو إشراك به في التدبير.

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[آل عمران: 26].

الرواية الثانية: «لَا تسبُّوا الدّهْرَ؛ فَإِنّ اللّهَ هُوَ الدّهْرُ»

هذه الرواية تُعدّ خلاصة للرواية الأولى، وتؤكّد نفس المعنى. النهي عن سبّ الدهر واضح، والتعليل بأنه "الله هو الدهر" ليس على الحقيقة، بل على سبيل التفسير والبيان.

* النهي: "لا تسبّوا الدهر". هذا نهي صريح عن هذا الفعل، وهو تحريم لسبّ الزمن.

* التعليل: "فإن الله هو الدهر". كما سبق، فالمعنى هنا أن الله هو المدبّر للدهر، وهو المتصرف في كل ما يجري فيه.

باب التّسَمّي بِقاضِي القُضَاةِ وَنَحْوِهِ

في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنّ أَخْنَعَ اسْمٍ

عِنْدَ اللّه رَجُلٌ تسَمّى مَلِكَ الأَمْلاكِ، لا مَالِكَ إِلا اللهُ.

قَالَ سُفْيَانُ : مِثْلُ شَاهَانْ شَاءُ .

وفي رواية: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ .

قوله : (أَخْنَعَ)، يعني: أَوْضَع".

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي، المعروف بكنيته أبي هريرة، رضي الله عنه. هو أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي. أسلم في السنة السابعة للهجرة، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم ملازمة تامة، مما جعله يحفظ عنه الكثير من الأحاديث. كان من أهل الصفة،

وتوفي سنة 59 هـ.

«إِنّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تسَمّى مَلِكَ الأَمْلاكِ»

* «أَخْنَعَ اسْمٍ»: "أَخْنَعَ" تعني أَوْضَعَ وأَحْقَرَ وأَذَلّ. والمقصود هنا أن هذا

الاسم هو أبغض الأسماء وأكثرها ذُلًا عند الله تعالى.

* «مَلِكَ الأَمْلاكِ»: هذا هو الاسم الذي جاء النهي عنه. هذا الاسم يدل على الملكية المطلقة والعظمة التي لا يشارك فيها أحد. وهو لقب يُستخدم في بعض الحضارات للدلالة على الإمبراطور أو الحاكم المطلق الذي يملك كل شيء.

النهي عن هذا الاسم ليس لأنه قبيح في ذاته، بل لأنه يحمل معنى ينافي توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات. فالله وحده هو مالك الملك وملك الملوك، وكل المخلوقات هي ملك له وتحت تصرفه. فمن تسمّى بهذا

الاسم فقد تشبّه بالله في صفة لا تليق إلا به.

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: 26]. فالله هو مالك الملك الذي لا يشاركه أحد في ملكه.

«لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ»

هذه العبارة هي تعليل للنهي، وهي القاعدة الشرعية التي تُبنى عليها العقيدة. لا يوجد مالك حقيقي إلا الله وحده. ملك الإنسان هو ملك قاصر ومحدود ومؤقت، أما ملك الله فهو كامل ومطلق ودائم.

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: "إنما حرم التسمي بملك الأملاك، لأنه يقتضي العظمة المطلقة التي لا تليق إلا بالله تعالى".

قَالَ سُفْيَانُ : مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ

هذه العبارة من كلام التابعي الجليل سفيان بن عيينة، وهو أحد رواة الحديث. "شَاهَانْ شَاهْ" هو لقب فارسي، ويعني "ملك الملوك" أو "سيد السادات".

هذا التفسير من سفيان يدل على أن النهي لا يقتصر على اللفظ العربي فقط، بل يشمل أي اسم يحمل نفس المعنى، بأي لغة كانت.

وفي رواية: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ»

هذه الرواية تُبين عظم ذنب من تسمى بهذا الاسم، فهو ليس مجرد ذنب عادي، بل هو ذنب يُغضب الله غضبًا شديدًا.

* «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ»: أي أكثر الناس إغاظة لله. والغضب هنا كناية عن شدة السخط والكره.

* «وَأَخْبَثُهُ»: "أَخْبَثَ" من الخبوث وهو الإذلال والتصغير. أي أنه أذلّ الناس وأحقرهم يوم القيامة.

هذا يدل على أن من تعاظم وتكبر في الدنيا، وحاول أن يتشبّه بالله في أسمائه، سيُجازى يوم القيامة بالذل والهوان.

قوله : (أَخْنَعَ)، يعني: أَوْضَعهذا التفسير من بعض رواة الحديث أو شُرّاحه، وهو يؤكد المعنى الذي ذكرناه. "أَخْنَعَ" أي أذلّ وأوضع.

بَاب احْتِرَامُ أَسْمَاء اللّه تعَالَى وَتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح ، أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إِنّ اللّهَ هُوَالحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحُكْمُ .

فقال : إِنّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلا

الفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟».

قَالَ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ،

وَعَبْدُ اللّه ـ قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟». قُلْتُ : شُرَيْحٌ قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْح رواه أبو داود وغيره .

مقدمة

الراوي هو الصحابي الجليل أبو شريح الخزاعي، رضي الله عنه. اسمه خويلد بن عمرو، وهو أحد الذين شاركوا في غزوة الفتح. يُعرف بكنية "أبو شريح" بعد أن غيّر النبي صلى الله عليه وسلم كنيته من "أبو الحكم".

«أَنّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الحَكَمِ»

هذه هي كنية الصحابي قبل أن يُغيرها النبي صلى الله عليه وسلم.

"أبو الحكم" تعني "أبو الحكمة" أو "صاحب الحُكم"، وهي كنية تحمل معنى عظيمًا وجليلًا. ولكن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أن هذه الكنية لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى.

«فَقَالَ لَهُ النّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: إِنّ اللّهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحُكْمُ»

هذا هو تعليل النبي صلى الله عليه وسلم لسبب تغيير الكنية. "الحكم" هو أحد أسماء الله الحسنى، وهو الذي له الحكم المطلق في الدنيا والآخرة.

* ﴿إِنّ اللّهَ هُوَ الحَكَمُ﴾: أي أن الله وحده هو صاحب الحكم المطلق، وهو الذي يحكم بين عباده بالحق. لا يوجد من يشاركه في هذه الصفة.

* ﴿وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ﴾: هذا تأكيد للمعنى السابق، فالحكم يرجع إليه وحده، وهو الذي يُصدر الأحكام والشرائع.

قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: 40]،

وقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: 8].

هذه الآيات تؤكد أن الحكم المطلق لله وحده.

«فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ»

هذا هو عذر أبي شريح، وهو يوضح أن كنيته "أبو الحكم" لم تأت من فراغ، بل من واقع عملي. فقد كان رجلًا حكيمًا وحكمًا بين الناس، وكانوا يرضون بحكمه. هذا يدل على فضل هذا الرجل، ولكن حتى هذا الفضل لا يُبرّر التسمّي باسم لا يليق إلا بالله.

قال الإمام ابن القيم: "فإن كان الاسم يراد به التشبيه بالله فهو محرم إجماعاً، وإن كان مجرد الاسم، فإنه يُكره". وهذا الموقف من النبي صلى الله عليه وسلم يوضح هذا المعنى.

«فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟»

هذه العبارة تُظهر حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل. النبي لم يقل "هذا خطأ فادح"، بل أقرّ له بفضل ما يفعله من الإصلاح بين الناس. ثم انتقل إلى الحلّ العملي والمُناسب لتغيير كنيته، وهو سؤال عن أبنائه. هذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُراعي مشاعر الناس ويُحسن إليهم حتى في تغيير ما يظنونه من الفضائل.

«قَالَ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ ـ قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ»

سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن أبنائه يدل على أن الكنى يجب أن تكون بأحد الأولاد، وخاصة الأكبر. وهذا من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التسمية والكنى.

«قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»

هذا هو الحكم النهائي. النبي صلى الله عليه وسلم غيّر كنيته إلى "أبو شريح"، وهي كنية مناسبة لا تحمل أي معنى يُشابه صفات الله، وهي مرتبطة بأسماء أبنائه. وهذا يدل على أن تغيير الاسم أو الكنية يكون من السنة إذا كان الاسم فيه محذور شرعي.

النبي صلى الله عليه وسلم كان يُغيّر الأسماء القبيحة. فقد غيّر اسم "حَزْن" (بمعنى الحزن) إلى "سهل"، وغيّر اسم "عاصية" إلى "جميلة".

باب مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللّه أو القرْآنِ أو الرّسُول

وقول اللّه تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَءَايَـٰتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ [التوبة: ٦٥].

الآية نزلت في جماعة من المنافقين كانوا مع النبي صلى اللّه عليه وسلم في غزوة تبوك. أثناء سفرهم، كانوا يتحدثون فيما بينهم استهزاءً بالمسلمين، فقالوا: "ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء أرغب بطونًا (أي أكثر حرصًا على الأكل)

ولا أكذب ألسنًا (أي أكثر كذبًا) ولا أجبن عند اللقاء (أي أشد خوفًا في المعارك)".

فلما سُئلوا عن كلامهم هذا، اعتذروا بأنهم كانوا يمزحون فقط، قائلين: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾. والخوض هو الدخول في الكلام بغير قصد، واللعب هو المزاح والهزل.

فجاء الرد القرآني صارمًا وحاسمًا على لسان النبي صلى اللّه عليه وسلم : ﴿قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾. هذا الرد ليس مجرد سؤال، بل هو توبيخ واستنكار، يوضح أن الاستهزاء بهذه الأمور ليس مجرد مزاح، بل هو كفر صريح يخرج من الملة.

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم"، وقتادة، دخل

حديث بعضهم في بعض : أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا " هؤلاء، أرْغَبَ بطونا"، ولا أكذب ألسنا"، ولا أجبن عند اللقاء. يعني

رسول اللّه وأصحابه القراء.

فقال له عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول اللّه .

فذهب عَوْفُ إلى رسول اللّه :

اللّه ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك

الرجل إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول اللّه، إنما كنا نخوض [ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا

الطريق.

قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله : أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم) [التوبة : ٦٥-٦٦)،

ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه.

«عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة، دخل حديث بعضهم في بعض»

هذا الأسلوب في الرواية يعني أن الرواة الأربعة (ابن عمر الصحابي،

والتابعون الثلاثة) رووا القصة بتفاصيل متقاربة، فجمعها الراوي في سياق واحد لتقديم صورة متكاملة للحدث.

هذا يُسمى في علم الحديث بـ "إدراج الحديث"، وهو مقبول طالما أن المعنى واحد ولا يوجد تناقض.

* ابن عمر: هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب، من أكثر الصحابة رواية للحديث، توفي سنة 73 هجرية.

* محمد بن كعب القُرَظِي: من كبار التابعين وأئمة التفسير، توفي سنة 118 هجرية.

* زيد بن أسلم: من كبار التابعين، كان فقيهاً وعالماً بالمدينة، توفي سنة 136 هجرية.

* قتادة بن دعامة السدوسي: من كبار التابعين، كان عالماً بالتفسير

والحديث، توفي سنة 117 هجرية.

«أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء، أرْغَبَ بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء»

هذا القول هو من النفاق الصريح. الرجل أراد أن يسخر من المسلمين الذين يقرؤون القرآن ويعملون به.

* "أرغب بطوناً": أي أنهم أكثر حرصًا على الأكل، وهذا اتهام بالطمع والحرص على الدنيا.

* "أكذب ألسناً": اتهام بأنهم كاذبون، وهذا طعن في أمانتهم وصدقهم.

* "أجبن عند اللقاء": اتهام بالجبن والخوف من مواجهة العدو، وهذا طعن في شجاعتهم وإيمانهم.

«فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله»

هذا الموقف يوضح غيرة المؤمن على دينه. عوف بن مالك لم يسكت على هذا الكلام، بل واجهه وكذّبه وكشف حقيقته بأنه منافق، وتوعده بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم .

«فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه»

هذا يدل على أن الله تعالى يدافع عن دينه ورسوله، وأن الوحي جاء ليكشف هذا الأمر قبل أن يصل الخبر البشري. وهذا دليل على عظيم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه.

«فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله... فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق»

هذا اعتذار المنافق الذي يحاول به التملص من جريمته، مدعياً أن ما قاله كان مجرد مزاح ولهو في سبيل التسلية خلال السفر.

«كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله، وإن الحجارة تنكب رجليه»

هذا وصف مؤثر من ابن عمر لمشهد الرجل وهو يحاول الاعتذار، وهو مشهد يصور مدى خوفه وذله بعد أن انكشف أمره. "النسعة" هي حزام أو لجام الناقة، وتعلقه به يدل على شدة خوفه من عقوبة النبي صلى الله عليه وسلم .

«فيقول له رسول الله: ﴿أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾»

هذا هو الرد الصارم من النبي صلى الله عليه وسلم الذي نقله الله تعالى في

القرآن.

* ﴿أَبِاللَّهِ...﴾: الاستفهام هنا ليس للطلب، بل هو للتوبيخ والإنكار الشديد.

* ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾: أي لا فائدة من اعتذاركم، فجرمكم أكبر من أن يغطيه الا عتذار.

* ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: هذا هو الحكم النهائي.

باب ما جاء في قول الله تعالى :

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾

* هذا الجزء من الآية يصف حال الإنسان الذي ينجيه الله من مصيبة كادت أن تهلكه.

* كلمة "أَذَقْنَاهُ" توحي بأن هذه الرحمة جاءت بعد فترة من الشدة

والمعاناة، وأنها لم تكن دائمة، بل كانت لمجرد "ذوق" سريع للراحة.

* "رَحْمَةً مِنَّا": تؤكد أن مصدر الرحمة هو الله وحده، وهو الذي أنعم عليه بعد أن كان في شدة.

* "ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ": تشير إلى أن المصيبة كانت قد لحقت به بالفعل وأثرت فيه.

﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾

* هذا هو الجحود بعينه. فالإنسان ينسى ما كان عليه من الشدة، وينسب الرحمة التي جاءته إلى استحقاقه الشخصي، أو إلى مجهوده وعلمه، كما

قال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: 78).

* هذا القول يدل على الغرور والجهل، ونسيان أن كل شيء هو بفضل الله ومنته.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾

هذا القول يوضح خطورة هذا الجحود، فهو لا يتوقف عند إنكار فضل الله في الدنيا، بل يمتد إلى إنكار الآخرة.

من ينكر الآخرة لا يرى أن هناك حسابًا على نعمه، فيتمادى في طغيانه.

﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾.

هذا القول يكشف عن جهل مركب. فهو يجمع بين إنكار الآخرة (في الجزء السابق)، ثم القول بأنه لو وُجدت آخرة لكان له فيها مكانة عظيمة.

هذا يمثل نوعًا من التبرير الذاتي والاعتداد بالنفس، فهو يظن أن ما لديه من مال وجاه في الدنيا هو دليل على مكانته عند الله في الآخرة.

﴿فَلَنُنَبِّئَنّ الّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

هذا الجزء من الآية هو التهديد والوعيد من الله لمن كان هذا حاله.

الله يُتوعد هؤلاء الجاحدين بالآخرة بأن يُذكّرهم بجميع أعمالهم السيئة، ثم يُعاقبهم بعذاب شديد ومُهين.

كلمة "غَلِيظٍ" تُوحي بأن هذا العذاب ليس مجرد عذاب، بل هو عذاب شديد لا يُحتمل، وهو جزاء كفرهم وجحودهم.

قال مجاهد : (هذا بعملي، وأنا محقوق به) .

وقال ابن عباس: (يريد من عندي) .

وقوله: قَالَ إِنّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ أَبَل هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [الزمر: ٤٩]،

﴿قَالَ إِنّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾:

هذا الجزء من الآية يمثل قول الإنسان الذي يُنعم الله عليه بالمال والجاه، فيظن أن هذا العطاء جاء نتيجة لذكائه، أو خبرته، أو علمه، أو مجهوده الشخصي.

هذا القول يُظهر غرورًا وكبرًا وجحودًا للنعمة، وهو من صفات قارون الذي قال: ﴿إِنّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ (القصص: 78).

هذا القول يُعدّ إنكارًا ضمنيًا لفضل الله، ونسيانًا لمصدر النعمة الحقيقي،

وهو الله سبحانه وتعالى.

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾:

هذا الجزء من الآية هو ردّ من الله تعالى على هذا الجاحد. فالله يصحح مفهومه، ويُبين أن ما يظنه من قدرته وكسبه، هو في الحقيقة "فتنة" وابتلاء.

* الفتنة: تعني الاختبار والامتحان. فالله يختبر عباده بالرخاء كما يختبرهم بالشدة. الغنى قد يكون فتنةً تؤدي إلى الطغيان والنسيان، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ (العلق: 6-7).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

هذا الجزء الأخير من الآية يؤكد على أن هذا الفهم الخاطئ شائع بين الناس. فمعظمهم لا يدركون أن ما يُعطون من النعم هو امتحان من الله، وليس تكريمًا لهم بذواتهم.

الجهل بحقيقة النعم يُؤدي إلى الكفر بها، والظن بأنها مُكتسبة بالجهد الشخصي فقط، وهذا الجهل هو أصل الطغيان والجحود.

قال قتادة (على علم مني بوجوه المكاسب).

وقال آخرون على علم من الله أني له أهل) . " وهذا معنى قول مجاهد:

(أوتيته على شرف).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنّ ثَلَاثَةٌ مِنْ

بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا ، فَأَتَى الأَ بْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ به . قَالَ : فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا.

قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإ بِلُ أَوِ البَقَرُ - شَكَّ إِسْحَاقُ فَأُعْطِيَ

نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَى الأَ قْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ

عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ بِه، فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ

شَعَرًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ أو الإبل فَأُعْطِيَ بَقَرَةً

حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللَّه ُ لَكَ فِيهَا .

فَأَتَى الأ َعْمَى، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَى بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ، فَرَدَ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ، وَوَلَدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ،وَهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ.

قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأ َبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ [وابن سبيل"، قَدِ انْقَطَعَتْ بِنِ الجِبَالُ فِي سَفَرِي [هذا] " ، فَلَا بَلَاغَ لِي اليَوْمَ إِلَّا ب اللَّه ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ - بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ [له]: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ.

فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ ؟ فَقِيرًا، فَأَعْطَاكَ اللهُ المَالَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الأ َقْرَعَ فِي صُورَتِهِ [وهيئته ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ هَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الأ َعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ. قد انْقَطَعَتْ ن الحِبالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّه لَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ اللَّه [ ]".

فَقَالَ: أَمْسِكْ [عليك] مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ . » أخرجاه. "

«إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى»

يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ثلاثة أشخاص من بني إسرائيل أصيبوا بابتلاءات عظيمة:

* الأبرص: وهو من أصيب بمرض البرص، وهو مرض جلدي يسبب بقعًا بيضاء في الجسم، وكان يُعدّ في الماضي من الأمراض المنفِّرة التي يُقذرها الناس.

* الأقرع: وهو من فقد شعره، وهو ما يُعدّ عيبًا في المظهر، وسببًا في أن يتقذره الناس.

* الأعمى: وهو من فقد بصره، وهو من أشد الابتلاءات التي تُفقد الإنسان حواسه.

«فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا»

الله تعالى أراد أن يمتحن هؤلاء الثلاثة بعد أن أصابهم ما أصابهم، ليظهر ما في قلوبهم من الصبر والشكر. فأرسل الله ملكًا في صورة بشر ليمتحنهم.

«فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ»

الملك بدأ بالأبرص، وسأله عن أمنيته، فذكر الأبرص أنه يتمنى أن يزول عنه مرضه الذي جعله منبوذًا عند الناس.

«قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ»

استجاب الله لدعاء الأبرص، فمسحه الملك فشفاه، ثم سأله عن أحب

الأموال إليه، فاختار الإبل لأنها كانت من أنفس أموال العرب وأكثرها بركة.

«فَأَتَى الأَعْمَى... قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ»

هذا يدل على أن أهم أمنية عند الأعمى لم تكن المال، بل كانت البصر، الذي يُمكنه من رؤية الناس والتعايش معهم، وهي أمنية نبيلة، لأنها تُمكنه من العيش باستقلالية.

«فَأُنْتِجَ هَذَانِ، وَوَلَدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ»

الله بارك في رزقهم، فتكاثرت الإبل والبقر والغنم، حتى أصبح لكل واحد

منهم وادٍ من ماله، أي أصبحوا من أغنى الناس.

«ثُمّ إنّهُ أتى الأ َبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ»

بعد أن أصبح الأبرص غنيًا، عاد إليه الملك في صورة الأبرص الفقير، وهذا يدل على أن الابتلاء قد يأتي بعد أن يزول الابتلاء الأول، ليمتحن الله عبده بعد أن أعطاه.

«فَقالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ... أسْألُكَ بِالذي أعْطاكَ اللّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلدَ الحَسَنَ وَالمَالَ... فَقالَ: الحُقُوقُ كثِيرَةٌ»

الأبرص تنكر للمعروف الذي أسداه الله له، وبدأ بإنكار فضل الله عليه، فكان جوابه باردًا وغليظًا، ولم يستجب لطلب المحتاج.

«إنْ كُنْتَ كاذِبًا فَصَيّرَكَ اللهُ إلَى مَا كُنْتَ»

دعا عليه الملك بالعودة إلى ما كان عليه من الفقر والمرض، وهذا دليل على أن دعاء الملائكة يُستجاب، وأن الجاحد لنعمة الله يستحق أن يُسلبها منه.

«وَأتى الأ َعْمَى... فَقالَ: قَدْ كُنْتُ أعْمَى فَرَدّ اللهُ إلَيّ بَصَرِي... فَوَاللهِ لا أجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أخَذْتَهُ لِلهِ»

الأعمى على عكس صاحبيه، اعترف بفضل الله عليه، وأظهر شكره، ولم يبخل على السائل، بل فتح له ماله ليأخذ منه ما يشاء، وهذا يدل على صدق إيمانه وشكره.

«فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»

في النهاية، أخبر الملك الأعمى أن الله قد رضي عنه بسبب شكره، وغضب على صاحبيه بسبب جحودهما، وهذا يوضح أن شكر النعمة من أسباب رضا الله، وأن كفرها من أسباب غضبه.

باب قوله تعالى:

فَلَمَّا وَاتَنهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا وَاتَنهُمَا فَتَعَلَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٠]

تتحدث عن قصة آدم وحواء عليهما السلام.

بعد أن دعا آدم وحواء ربهما أن يرزقهما ذرية صالحة، استجاب الله لدعائهما ورزقهما ولداً. لكن عندما ولد، جاء الشيطان ووسوس لهما، قائلا ً: إن سميتماه بـ"عبد الحارث" فسيكون ولداً صالحاً. فاستجابا له وفعلا ما أمرهما به، وهو ما وصفته الآية بـ"جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ".

هذا الشرك ليس شركاً في العبادة أو الألوهية، بل هو شرك في الطاعة. فقد أطاعا الشيطان فيما وسوس به، ونسيا أن الفضل في صلاح الولد هو من الله وحده، وليس من تسميته باسم معين. هذا الفعل هو ما جعل الله يُنزه نفسه عنه بقوله: ﴿فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قال ابن حزم اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب .

قال ابن حزم رحمه الله في كتابه "مراتب الإجماع": "اتفقوا على تحريم كل اسم معبّد لغير الله، كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب".

تتضمن مقولة ابن حزم رحمه الله نقطتين أساسيتين:

* الإجماع على تحريم التسمي بكل اسم معبّد لغير الله:

المقصود بالاسم المعبّد: هو الاسم المركب من كلمة "عبد" مضافًا إليها اسم آخر.

أجمع العلماء على أن التسمي بأسماء مثل "عبد العزى" أو "عبد اللات" أو "عبد عمرو" أو "عبد شمس" أو "عبد الكعبة" أو "عبد الدار" حرام شرعًا.

لأن هذه الأسماء تتضمن معنى العبودية والخضوع لغير الله تعالى،

والعبودية لا تكون إلا لله وحده.

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: 22].

* استثناء "عبد المطلب":

كلمة "حاشا" تعني الاستثناء، أي أن العلماء استثنوا هذا الاسم من قاعدة التحريم.

*قد يقول قائل ما سبب الاستثناء؟

يرى بعض العلماء أن هذا الاستثناء ليس شرعيًا، بل هو استثناء عرفي أو خاص. والنبي صلى الله عليه وسلم لم يغير اسم جده عبد المطلب، كما لم يأمر من تسموا بهذا الاسم بتغييره، وهو ما جعل بعض أهل العلم يجيزون التسمية به، وآخرون يرون أن الأولى تركه.

الراجح أن الاسم "عبد المطلب" كان من بقايا أسماء الجاهلية التي لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتغييرها، لأنه لا يتضمن شركاً في الألوهية

والعبادة، بل هو اسم عَلَم.

* قال الإمام ابن القيم في كتابه "تحفة المولود بأحكام المولود": "وأما التسمية بأسماء أضيفت إلى غير الله، فمنها ما هو محرم بالإجماع، كعبد

اللات وعبد العزى وعبد هبل...".

* وأما اسم "عبد المطلب" فقد أقرّه كثير من العلماء ولم يروا فيه حرجًا، لأنه لا يحمل معنى العبودية لغير الله في التسمية.

وعن ابن عباس في الآية، قال: لما تغشاها آدم، حملت، فأتاهما إبليس، فقال: [إني]" صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل"، فيخرج من بطنك فيشقه، ولا فعلن ولا فعلن، يخوفهما، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا. ثم حملت، فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاء، فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه

عبد الحارث، فذلك قوله : جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا اتنهُمَا [الأعراف : ١٩٠]. ١٩٠

رواه ابن أبي حاتم .

"لما تغشاها آدم، حملت":

تبدأ الرواية بذكر حمل حواء عليها السلام من آدم. هذا يُشير إلى أن القصة تبدأ بعد خروجهما من الجنة وبدء الحياة على الأرض.

"فأتاهما إبليس، فقال: [إني] صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة":

ويذكر ابن عباس أن الشيطان جاء إلى آدم وحواء، وعرفهما بنفسه، مذكراً إياهما بجريمته التي أخرجتهما من الجنة.

هذا التصريح من الشيطان يُظهر مدى خبثه وعداوته، فهو يستغل ضعفهما وحبهما للولد ليدخلهما في معصية.

"لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولا فعلن ولا فعلن، يخوفهما":

هنا يظهر الشيطان في صورة المُهدد، مُخوفاً حواء من أن يخرج الجنين من بطنها بقرون تشبه قرون الأيل، مما سيؤدي إلى هلاكها.

هذا التهديد لم يكن حقيقياً، بل كان مجرد وسوسة وتخويف من الشيطان، يستغل به قلقهما على الجنين وحبهما له.

"سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا":

يطلب الشيطان منهما أن يُسميا الجنين "عبد الحارث".

وفي المرتين الأوليين، يرفض آدم وحواء طاعته، فيموت الجنين. وهذا الموت هو ابتلاء من الله لهما، وامتحان لصبرهما على طاعة ربهما وترك طاعة الشيطان.

"ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث":

بعدما فقدا طفليهما، حملت حواء للمرة الثالثة، وعاد الشيطان يوسوس لهما بنفس التخويف.

هذه المرة، تمكن الشيطان من إغوائهما بسبب "حب الولد". هذا الحب هو ما جعلهما يتنازلان عن طاعة الله، ويستجيبان لوسوسة الشيطان، خوفاً من فقدان الجنين للمرة الثالثة.

يُبين هذا أن الشيطان يستغل عاطفة الإنسان ونقاط ضعفه لتحقيق مراده.

"فذلك قوله: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا":

يُنهي ابن عباس رضي الله عنهما روايته بأن هذا هو المقصود بالآية الكريمة، أي أن تسميتهما للولد بـ"عبد الحارث" هو الشرك الذي وصفته

الآية.

هذا الشرك ليس شركاً في العبادة، بل هو شرك في الطاعة، حيث أطاعا الشيطان في أمر يخالف طاعة الله، و شرك في الأسباب، حيث ظنا أن سبب صلاح الولد وحياته هو هذه التسمية، وليس فضل الله وحده.

* هذه الرواية من الإسرائيليات التي تروى عن بني إسرائيل، وقد وردت في كتب التفسير، ولكنها لم تُثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم . مع ذلك، فإن مضمونها لا يتعارض مع القرآن الكريم، فهو يوضح أن القصة كانت ابتلاءً من الله، وأن الشيطان استغل ضعف الإنسان وعاطفته ليُوقعه في الخطأ.

وله بسند صحيح عن قتادة، قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في

عبادته) .

يوضح قتادة رحمه الله أن الشرك المذكور في الآية لم يكن شركاً في عبادة الله (الشرك الأكبر) الذي يخرج من الملة. فآدم وحواء عليهما السلام لم يعبدا الشيطان.

يُبين أيضا أن المعصية التي ارتكباها كانت في الاستجابة لوسوسة الشيطان، وهو نوع من الشرك الأصغر، أو ما يُعرف بـ "شرك الوساوس

والأسباب"، وليس الشرك الأكبر الذي يعاقب عليه الكفر.

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: لئن آتيْتَنَا صَالِحًا) [الأعراف:

١٨٩]، قال: (أشفقا أن لا يكون إنسانا) .

وذكر معناه [أيضا " عن الحسن" وسعيد" وغيرهما".

يوضح مجاهد والحسن وسعيد وغيرهم من السلف أن سبب طاعة آدم وحواء للشيطان كان بسبب "الإشفاق"، أي الخوف الشديد والقلق على الجنين.

فالشيطان جاء لهما في لحظة ضعف، وهما يخشيان أن يكون الجنين ليس إنساناً كاملا ً، أو أن يموت كما حدث لأطفالهما السابقين. فاستغل الشيطان هذا الخوف ليدفعهما إلى طاعته.

باب قول الله تعالى :

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ.

سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] الآية [الأعراف : ١٨٠].

"وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى"

هذه الجملة تقرّر حقيقةً عظيمةً، وهي أن كل الأسماء الحسنة التي تُحمد وتُثنى بها على الله هي له وحده. وقد ورد في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائةً إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة».

وهذا العدد لا يعني حصر أسماء الله في هذا العدد، بل هو حصر لأسماء معينة لها فضل خاص لمن أحصاها. فقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الكرب: «اللّهم إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك...».

وهذا يدل على أن لله أسماء لم يطّلع عليها أحد من خلقه.

"فَادْعُوهُ بِهَا"

هذا الجزء من الآية هو أمر من الله تعالى لعباده أن يدعوه بهذه الأسماء الحسنى. والدعاء هنا يشمل نوعين:

* دعاء العبادة: أي التعبد لله بمقتضى أسمائه وصفاته، فنتعبد باسمه "الرحمن" بالرحمة، وباسمه "القدير" باليقين بقدرته، وباسمه "الغفار" بطلب المغفرة.

* دعاء المسألة: أي أن تسأل الله حاجاتك وتتوسل إليه بأسمائه الحسنى المناسبة للموقف. فمثلاً، إذا أردت الرزق تقول: "يا رزاق ارزقني"، وإذا أردت الرحمة تقول: "يا رحمن يا رحيم ارحمني".

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله بأسمائه الحسنى، فعن عائشة

رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل صلى ركعتين خفيفتين ثم يفتتح صلاته: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل...» وهذا دعاء فيه توسل بأسماء الله وصفاته.

"وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ"

هذا الجزء من الآية هو نهي وتحذير من الإلحاد في أسماء الله. والإلحاد هو الميل عن الحق، وله صور متعددة ذكرها أهل العلم:

* التسمية بأسماء الله الحسنى: كأن يتسمى إنسان بـ"الله" أو "الرحمن".

* تسمية الأصنام بأسماء مشتقة من أسماء الله: كأن يسموا أصنامهم بـ"اللات" من "الإله" أو "العزى" من "العزيز".

* إنكار أسماء الله وصفاته: وهذا من أعظم صور الإلحاد، كقول الجهمية والمعتزلة الذين أنكروا صفات الله تعالى.

* تكييف أسماء الله وصفاته أو تشبيهها بصفات المخلوقين: كأن يقول أحدهم "يد الله كيد الإنسان" أو "استواء الله كاستواء المخلوق".

وقد أجمع السلف على أن الإيمان بأسماء الله وصفاته يكون بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. يقول الإمام الشافعي: "آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله."

"سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"

هذا تهديد ووعيد للملحدين في أسماء الله، وأن جزاءهم سيكون بما فعلوه من إلحاد وشرك. وهذا الجزاء قد يكون في الدنيا أو في الآخرة، أو فيهما معاً. فالذي يلحد في أسماء الله هو في الحقيقة ينكر كماله وجلاله، وهذا يستحق العقاب الأليم. وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة الوعيد الشديد للملحدين، كقوله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَيهِ) : يشركون .

وعنه: (سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز) .وعن الأعمش : (يدخلون فيها ما ليس منها).

باب لا يقال : السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود ، قال: كنّا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا: السّلامُ عَلَى اللهُ ، فَإِنّ اللهَ هُوَ السّلامُ .

هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه، من أوائل من أسلموا، وهو من الفقهاء والقراء الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم. كان من الملازمين للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان يخدمه ويحمل نعليه وسواكه، حتى ظن بعض الناس أنه من أهل بيت النبي. روى أحاديث كثيرة، وكان له فقه خاص وفهم دقيق للكتاب والسنة. توفي في المدينة المنورة سنة 32 هـ.

"كُنّا إِذَا كُنّا مَعَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الصّلاَةِ قُلْنَا: السّلاَمُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ"

هذا الجزء يوضح عادةً كانت سائدةً بين الصحابة قبل أن يأتيهم النهي النبوي. كانوا يقولون هذا في التشهد الأخير من الصلاة، حيث كانوا يحيون الله بتحية "السلام على الله" ثم يحيون بعضهم بعضاً. وهذا التعبير كان من باب حسن القصد، لكنه لم يكن على الوجه الصحيح الذي يليق بجلال الله.

"وَالسّلاَمُ عَلَى قُلاَنٍ وَقُلاَنٍ"

هذه الجملة تبين أنهم كانوا يسلمون على بعضهم البعض، وقد جاء في روايات أخرى أنهم كانوا يسلمون على الملائكة والأنبياء. وهذا ما قام النبي صلى الله عليه وسلم بتعديله وتصويبه ببيان كيفية التحية الصحيحة لله ولخلقه.

"فَقَالَ النّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: لاَ تَقُولُوا السّلاَمُ عَلَى اللهِ"

هذا نهي صريح من النبي صلى الله عليه وسلم عن قول "السلام على الله". والعلة في هذا النهي هي أن "السلام" اسم من أسماء الله الحسنى، وهو أيضاً تحية ودعاء.

* تحية: إذا قلت "السلام عليك"، فأنت تدعو له بالسلامة.

* دعاء: تسأل الله أن يمنحك السلام والأمان.

فـالله تعالى هو السلام، ومنه السلام، وهو الذي يمنح السلام لخلقه، وهو الغني عن دعاء عباده. فلا يصح أن يُدعى له بالسلامة، لأنه هو السلام نفسه. قال الإمام ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري": "ومعنى السلام اسم الله، أي: أن السلامة من الآفات والنقائص صفة له لازمة، فكأنك قلت: الله متصف بالسلامة."

"فَإِنّ اللهَ هُوَ السّلا َمُ"

هذه هي علة النهي، وهي جوهر الحديث. فـالله هو السلام في ذاته وأسمائه وصفاته. وقد ورد اسم "السلام" في القرآن الكريم في قوله تعالى: {هُوَ اللهُ الذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الحشر: 23].

معنى اسم الله "السلام":

* السالم من كل عيب ونقص: الله تعالى منزه عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله.

* واهب السلام لعباده: هو الذي يمنح الأمن والأمان والطمأنينة والسلامة في الدنيا والآخرة.

ماذا علمنا النبي صلى الله عليه وسلم بدلا ً من ذلك؟

عَلّمَنا النبي صلى الله عليه وسلم التشهد المعروف الذي نقوله في صلاتنا: "التّحِيّاتُ لِلهِ وَالصّلَوَاتُ وَالطّيّبَاتُ، السّلا َمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السّلا َمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصّالِحِينَ". فبدلا ً من تحية الله، علمنا أن نثني عليه ونمجدّه، وأن نطلب السلام لأنفسنا ولعباده الصالحين.

باب قولُ : اللّهمّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقل] أَحَدُكُمْ اللهُمّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ اللهُمّ ارْحَمْنِي إنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ؛ فَإِنّ اللهَ لا مُكْرِهَ لَهُ .

والمسلم: وَلْيُعَظِمِ الرّغْبَةَ، فَإِنّ اللهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ .

الراوي هو الصحابي الجليل أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه، من أشهر الصحابة وأكثرهم رواية للحديث النبوي. أسلم في السنة السابعة للهجرة، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات حتى وفاته. كان من أهل الصفة، وقد وهب نفسه لطلب العلم ورواية الحديث، فكانت له حافظة قوية ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له. توفي رضي الله عنه في المدينة المنورة سنة 59 هـ.

«لا يقل] أَحَدُكُمْ اللهُمّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ، اللهُمّ ارْحَمْنِي إنْ شِئْتَ»

هذا الجزء من الحديث هو نهي صريح من النبي صلى الله عليه وسلم عن تعليق الدعاء بمشيئة الله. فقول "إن شئت" يفيد التردد وعدم اليقين، كأن الداعي ليس متأكداً من رغبته في أن يُجيب الله دعاءه. والدعاء هو عبادة يجب أن تكون مقرونة باليقين والتوكل على الله. وقد ورد في حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِ ِجَابَةِ» [رواه الترمذي]. فاليقين هو أساس الإجابة.

«وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ»

هذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم، ومعنى "ليعزم المسألة" أي: ليجزم في سؤاله، وليكن طلبه قوياً حازماً لا تردد فيه، كأن يقول: "اللّهم اغفر لي" و"اللّهم ارحمني" بدون أي تردد.

«فَإِنّ اللهَ لا مُكْرِهَ لَهُ»

هذه هي العلة التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم لنهيه. فاللّه سبحانه وتعالى لا يمكن لأحد أن يكرهه على فعل شيء. وقول الداعي "إن شئت" قد

يوحي بأن الله تعالى قد يفعل ما يكرهه، وهذا لا يجوز في حق الله. فالله تعالى هو الفعّال لما يريد، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. كل شيء بيده وبمشيئته الكاملة.

وقد علق الإمام ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري" على هذا الحديث

قائلا ً: "كأن الداعي يستغني عن ربه، والمدعو [وهو الله] لا يفتقر إلى شيء، فلا تكن في مسألتك كمن يخاطب من يستكره على إعطائه، بل كن في مسألتك كمن يخاطب من لا يتعاظم إعطاؤه."

«وَلْيُعَظِمِ الرَّغْبَةَ»

هذا جزء من رواية مسلم، وهو تأكيد على المعنى السابق. "لْيُعَظِمِ الرَّغْبَةَ" أي: ليكن طلبك كبيراً وعظيماً، ولا تستصغر شيئاً من حاجاتك. فالله تعالى كريم، يحب أن يُسأل كل شيء. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ الأَ َعْلَى» [رواه البخاري]، وهذا دليل على تعظيم الرغبة. فمهما كان طلبك عظيماً، فهو يسير على الله.

«فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»

هذه هي العلة لهذا الأمر، وهي أن الله سبحانه وتعالى لا يستكبر عليه شيء أن يعطيه. لا يثقل عليه العطاء، ولا ينقص من ملكه. فالله هو الغني الكريم الذي لا يضره كثرة العطاء، ولا ينقصه شيء. كما ورد في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلا ً كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ» [رواه مسلم].

باب لا يَقُول : عَبْدِي وَأَمَتِي

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي، وَلَا يَقُلِ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ: رَبِّي أَطْعِمْنِي وَضَأْنِي، وَلْكِنْ لِيَقُلْ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ».

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه، وهو أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي. أسلم في السنة السابعة للهجرة، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم حتى وفاته، وقد كانت له ذاكرة قوية ببركة دعاء النبي له. كان من أهل الصفة، وقد كرس حياته لطلب العلم وحفظ حديث رسول الله.

«لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي»

هذا الجزء من الحديث هو نهي صريح من النبي صلى الله عليه وسلم عن استخدام لفظ "عبدي" أو "أمتي" عند مناداة المماليك أو الخدم. والسبب في هذا النهي هو ما يحمله هذا اللفظ من معنى العبودية الكاملة، فالعبودية الحقيقية لا تكون إلا لله وحده. فإذا قال السيد لخدمه "عبدي"، فقد يوحي بأن هذا الشخص هو مملوك له بصفة كاملة، بما في ذلك عبوديته، وهذا قد يخل بمبدأ التوحيد.

«وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»

هذا هو البديل الذي أرشدنا إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

* "فَتَايَ": هو الشاب، سواء كان مملوكاً أو حراً.

* "فَتَاتِي": هي الفتاة الشابة، سواء كانت مملوكة أو حرة.

* "غُلَامِي": هو الصبي.

هذه الألفاظ لا تحمل المعنى الشامل للعبودية الذي يحمله لفظ "عبدي"، بل تدل على العلاقة بين السيد والخادم دون أن تمس جوهر العبودية لله.

«وَلَا يَقُلِ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ: رَبِّي أَطْعِمْنِي وَضَأْنِي»

هذا هو الجزء الثاني من الحديث، وهو نهي عن استخدام لفظ "ربي" بهذا السياق. وقد اختلف العلماء في معنى هذا اللفظ:

* قول الأول: أن المقصود هو النهي عن استخدام لفظ "ربي" على وجه

الإطلاق عند مناداة السيد المملوك.

* قول الثاني: وهو الأرجح، أن النهي خاص بالسيد المملوك، أي لا يقول المملوك لسيده "ربي".

* قول الثالث: أن المقصود هو النهي عن أن يقول العبد لخادمه "أطعمني"

و "وضأني" ويظن أنه يملك هذا الخادم تمام الملك حتى في عبادته لله.

والصواب أن المقصود هو النهي عن أن يقول العادم لسيده: أطعمني وأسقني، وقد ورد هذا اللفظ في بعض الروايات.

«وَلَكِنْ لِيَقُلْ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ»

هذا هو البديل الذي أرشدنا إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

* "سَيِّدِي": من السيادة، وهي تدل على السلطة والتحكم.

* "مَوْلَايَ": من الولاية، وهي تدل على النصرة والمحبة والقرب.

هذه الألفاظ لا تحمل المعنى الشامل لصفة الربوبية لله، بل تدل على

العلاقة بين السيد والخدم دون أن تمس جوهر التوحيد.

باب لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [مَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح .

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، من فقهاء الصحابة وعلمائهم. كان من أكثر الصحابة اتباعاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان يحرص على تتبع أفعاله وأقواله. روى أحاديث كثيرة عن النبي، وتوفي سنة 73 هـ.

«مَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ»

هذا الجزء من الحديث هو أمر من النبي صلى الله عليه وسلم.

* "سَأَلَ بِاللهِ": أي أن يقول السائل: "أسألك بالله أن تعطيني كذا"، أو "أسألك بوجه الله".

* "فَأَعْطُوهُ": أي يجب عليكم أن تعطوه ما طلب، إذا كان في مقدوركم.

العلة في هذا الأمر: أن السائل قد عظّم الأمر وسأل بأعظم شيء وهو اسم الله. فهذا السؤال ليس كأي سؤال، بل هو سؤال مقرون بتعظيم الخالق، وهذا التعظيم يستوجب الإجابة ما لم يكن هناك مانع.

وقد قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: "فيه تعظيم الله تعالى، وإجلال أسمائه وصفاته، وأنه يجب على المسلمين إجابة من سأل ب الله ما دام مستحقاً".

«وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ»

هذا أمر آخر من النبي صلى الله عليه وسلم.

* "اسْتَعَاذَ بِاللهِ": أي أن يقول: "أعيذ بالله منك"، أو "أعوذ بالله من شرك".

* "فَأَعِيذُوهُ": أي يجب عليكم أن تمنعوا عنه الشر الذي استعاذ منه.

العلة في هذا الأمر: أن الاستعاذة بالله هي أعظم أنواع الحماية واللجوء. فمن لجأ إلى الله، فواجب على المؤمن أن يحميه ويغيثه من الشر الذي فر منه. وهذا فيه تعظيم لاسم الله "المعاذ" و"الحامي".

«وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ»

هذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم.

* "دَعَاكُمْ": أي من دعاكم إلى طعام، أو وليمة، أو عرس.

* "فَأَجِيبُوهُ": أي يجب عليكم أن تلبوا دعوته.

العلة في هذا الأمر: إجابة الدعوة من حقوق المسلم على المسلم، وفيها تقوية للروابط الاجتماعية، وتعبير عن المحبة والتقدير. وقد ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» وذكر منها: «وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ».

«وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ»هذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم.

* "صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا": أي قدم لكم خيراً أو مساعدة أو خدمة.

* "فَكَافِئُوهُ": أي ردوا له جميله بإحسان مماثل أو أفضل.

العلة في هذا الأمر: الإسلام يحث على رد الجميل، حتى لا يكون المعروف من طرف واحد، ولتشجيع الناس على فعل الخير. فالمجتمع الذي يتعاون أفراده على رد الجميل يكون مجتمعاً متكافلا ً ومترابطاً.

«فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»

هذا هو المخرج لمن لم يستطع رد الجميل مادياً.

* "فَادْعُوا لَهُ": أي ادعوا له بالخير والبركة والجنة.

* "حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ": هذا التعبير يدل على أهمية الدعاء، وأن الدعاء قد يعادل المكافأة المادية في قيمة المعروف. فدعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجاب، وهو من أعظم أنواع المكافأة.

باب لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللّٰه إلا الجَنّة

عن جابر رضي اللّٰه عنه "، قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : «لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللّٰه ِ إلا الجنة». رواه أبو داود.

الراوي هو الصحابي الجليل جابر بن عبد اللّٰه بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي رضي اللّٰه عنهما، من المكثرين في الرواية عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، فقد روى عنه أكثر من ألف حديث. شهد بيعة العقبة الثانية، وشهد مع النبي صلى اللّٰه عليه وسلم الغزوات، إلا بدرًا وأُحدًا. كان من فقهاء الصحابة وعلمائهم، وله مواقف عظيمة في نصرة الإسلام. توفي بالمدينة المنورة سنة 78 هـ.

«لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللّٰه ِ»

هذا الجزء من الحديث هو نهي صريح من النبي صلى اللّٰه عليه وسلم. "بوجه اللّٰه" يعني السؤال باسم اللّٰه أو صفة وجهه الكريم، وهذا يعطي للسؤال مكانة عظيمة جداً.

* النهي هنا: لا يجوز للمسلم أن يسأل الناس بوجه اللّٰه أو بصفاته، كأن يقول: "أسألك بوجه اللّٰه أن تعطيني مالا "، أو "أسألك بوجه اللّٰه أن تساعدني".

العلة في هذا النهي: أن وجه اللّٰه من أعظم صفاته، والسؤال به أمر عظيم جداً. فالوجه هو أشرف ما في الشيء، ووجه اللّٰه هو أعظم وأشرف صفاته. لذا، لا يليق أن يُسأل به إلا أعظم المطالب وأجلها.

«إلا الجنة»

هذا هو الاستثناء الذي يوضح ما يجوز أن يُسأل به وجه اللّٰه. فإذا كان السائل يريد الجنة، فيجوز له أن يقول: "أسألك بوجهك الكريم الجنة".

لماذا الجنة؟ لأن الجنة هي أعظم ما يطلب، وهي دار النعيم الأبدي، وهي المطلب الأسمى للمؤمنين. فإذا كان السؤال بوجه اللّٰه، فلا يكون إلا في أعظم المطالب، وهي الجنة..

باب ما جاء في - (لو)

وقول الله تعالى: يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَنهُنَا [آل عمران : ١٥٤].

"يَقُولُونَ"

الفاعل هنا هم المنافقون. لقد كانوا يظهرون الإيمان في الظاهر، ولكن في بواطنهم كان الكفر والشك. وقد تجلى نفاقهم في أشد الظروف، وهي ظروف الشدائد والابتلاء.

"لَوْ كانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ"

هذا القول هو من كلام المنافقين، و"الأمر" هنا يعني التدبير والاختيار. أي: "لو كان لنا من التدبير والاختيار شيء في شأن الخروج إلى المعركة، أو في موقع القتال، أو في خطة المعركة". فهم ينسبون الأمر إلى أنفسهم، وكأنهم يملكون القدرة على تغيير الأقدار.

"مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا"

هذا هو النتيجة التي توصلوا إليها بناءً على زعمهم. فهم يقولون: "لو أننا اخترنا ألا نخرج إلى المعركة، أو لو أننا اخترنا موقعًا آخر، لما قُتل من قُتل منا".

* الإمام ابن كثير في تفسيره قال: "هذا من جهلهم وقلة عقلهم، وكلام أهل النفاق، فإن القدر لا يدفعه حذر".

*والإمام ابن الجوزي في "زاد المسير" قال: "إنما قالوا ذلك اعتلالاً، وكأنهم رأوا أنهم لو كانوا أهل رأي، ما كان القتل، وهذا من جهلهم بحقيقة الأمر".

وقوله تعالى : (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ] [آل عمران : ١٦٨].

"الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ"

هؤلاء الذين قالوا هم المنافقون الذين قعدوا عن الخروج إلى المعركة. وقولهم كان لأقاربهم وأصحابهم من المؤمنين الذين خرجوا للقتال واستشهدوا. والمنافقون هنا يظهرون الشماتة والتبرم واللوم على من خرج للجهاد، وكأنهم يعتقدون أن رأيهم هو الصواب.

"وَقَعَدُوا"

هذا تأكيد على أن هؤلاء القائلين لم يشاركوا في المعركة، بل تخلفوا عنها وتخاذلوا. وهذا التخاذل ليس مجرد تصرف، بل هو دليل على عدم اليقين

والضعف في الإيمان.

"لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا"

هذا هو جوهر قولهم. فهم يعتقدون أن رأيهم هو الحكمة، وأن لو اتبعهم الشهداء في القعود عن المعركة، لما أصابهم القتل.

وهذا القول هو نتيجة لعدة أمور:

* الجهل بحقيقة القدر: فهم يظنون أن القتل كان نتيجة لخطأ في اتخاذ القرار، وليس قدراً مكتوباً.

* إنكار فضل الشهادة: فهم يرون أن القتل مجرد مصيبة، ولا يعلمون أنها درجة عظيمة من درجات الإيمان، وأن الشهيد حي عند ربه يرزق.

* إظهار الشماتة: فهم يشمتون في المؤمنين الذين أصابتهم المصيبة، ويشيرون إلى أنهم كانوا على صواب بتخاذلهم.

"قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"

هذا رد إلهي حاسم يوجهه الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، ليرد به على المنافقين.

* "فَادْرَءُوا": أي: فادفعوا. وهو أمر تحدٍّ.

* "عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ": أي: ادفعوا الموت عن أنفسكم إن كنتم قادرين على التحكم في الأقدار.

* "إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ": هذا شرط يكشف كذبهم، فلو كانوا صادقين في أن رأيهم هو الذي يمنع الموت، لكانوا قادرين على دفع الموت عن أنفسهم.

في الصحيح عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: احرص عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَلَا تعْجِزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تقلْ : لَوْ أَنني فَعَلْتُ كذا لك ان كذا وَكَذَا، وَلَكِنْ قلْ : قدّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تفْتَحُ عَمَلَ الشّيْطَانِ .

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه، من أشهر الصحابة وأكثرهم رواية للحديث النبوي. أسلم في السنة السابعة للهجرة، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات حتى وفاته. كان من أهل الصفة، وقد وهب نفسه لطلب العلم ورواية الحديث، فكانت له حافظة قوية ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له. توفي رضي الله عنه في المدينة المنورة سنة 59 هـ.

«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»

هذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم بالحرص على كل ما يعود بالنفع على المسلم في دينه ودنياه.

* في الدين: يشمل الحرص على العبادات، وطلب العلم الشرعي، والدعوة إلى الله، وعمل الخير.

* في الدنيا: يشمل الحرص على العمل والاجتهاد، وتعلم المهن، والتخطيط للمستقبل، والسعي في قضاء الحاجات.

هذا اللفظ يؤسس قاعدة إسلامية عظيمة، وهي أن الإسلام ليس دين تواكل، بل هو دين عمل واجتهاد.

«وَاسْتَعِنْ بِاللهِ »

هذا هو الجزء الثاني من المنهج النبوي، وهو إرشاد للتوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب.

* "اسْتَعِنْ بِاللّٰه ِ": أي اطلب العون من الله في كل أمورك.

هذا اللفظ يربط الأخذ بالأسباب بالتوكل على الله. فلا يصح أن يأخذ المسلم بالأسباب دون أن يستعين بالله، لأنه يعلم أن كل الأمور بيد الله، وأن الأسباب لا تأثير لها إلا بإذن الله.

«وَلَا تَعْجِزَنْ»

هذا نهي من النبي صلى الله عليه وسلم عن العجز والكسل، وهو نقيض الحرص.

* "لَا تَعْجِزَنْ": أي لا تستسلم للفشل أو اليأس.

هذا اللفظ يحث المسلم على المثابرة والمضي قدماً في سبيل تحقيق أهدافه، وعدم الاستسلام للعوائق التي قد تواجهه.

«وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا»

هذا نهي عن القول "لو" بعد وقوع المصيبة أو الفشل.

* "لَوْ": هي كلمة للتمني، وقد تفتح باب الندم واللوم.

* النهي عن هذا القول: لأن فيه اعتراضاً على قضاء الله وقدره، فكأنه يقول: "لو أنني فعلت كذا، لما وقعت هذه المصيبة". وهذا لا يتناسب مع إيمان المسلم بالقضاء والقدر.

«وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللّٰهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»

هذا هو البديل الذي أرشدنا إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

* "قَدَّرَ اللّٰهُ": أي أن ما أصابك هو من تقدير الله الأزلي.

* "وَمَا شَاءَ فَعَلَ": أي أن الله يفعل ما يشاء، وهو الحكيم العليم.

هذا القول يعكس الرضا التام بقضاء الله وقدره، وهو من علامات الإيمان الصادق.

«فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»

هذه هي العلة التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم لنهيه.

* "تفْتَحُ عَمَلَ الشّيْطَانِ": أي أن قول "لو" يفتح للشيطان باب الوسوسة، والحزن، والندم، واللوم، وهذا قد يؤدي إلى الاعتراض على قضاء الله.

بَاب النّهْي عَنْ سَب الريح

عن أبي بن كعب " ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تسبُوا الريحفَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا مَا تكرَهُونَ فَقُولُوا: اللهُمّ إِنا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ هَذِهِ الرّيحِ، وَشَرّ مَا فِيهَا، وَشَرّ مَا أُمِرَتْ بِهِ . صححه الترمذي.

هو الصحابي الجليل أبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنه، يُكنى بأبي المنذر ، وهو من كبار قراء الصحابة. شهد بيعة العقبة، وكان من كتاب الوحي. لقب بـ "سيد القراء"، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. توفي رضي الله عنه في خلافة عمر بن الخطاب.

«لا تسبُوا الرّيحَ»

هذا الجزء من الحديث هو نهي صريح من النبي صلى الله عليه وسلم عن سب الريح.

* النهي عن السب: لأن الريح جند من جنود الله، مسخرة بأمره، وليس لها إرادة مستقلة. فمن سبها، فكأنما يسب من سخرها، وهو الله سبحانه وتعالى.

* العلة في ذلك: أن الريح لا تأتي إلا بأمر الله. وقد ورد في القرآن الكريم أن الرياح تأتي بأمر الله، كقوله تعالى: {وَهُوَ الّذِي يُرْسِلُ الرّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} [الأعراف: 57]. وقوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيّامٍ نَحِسَاتٍ} [فصلت: 16].

«فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا مَا تكرَهُونَ»

هذا إشارة إلى أن الريح قد تأتي بما لا يحب الإنسان، كأن تكون شديدة وعاصفة وتسبب الأضرار. وهنا يأتي التوجيه النبوي لبيان السلوك الصحيح للمسلم.

«فَقُولُوا: اللهُمّ إِنا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ»

هذا هو الجزء الأول من الدعاء.

* "نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ": أي نطلب منك يا الله أن تجعلها خيراً لنا.

* "وَخَيْرِ مَا فِيهَا": أي أن تجعل ما يأتي مع هذه الريح من خير وبركة، كنزول الغيث (المطر).

* "وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ": أي أن تجعل ما أُمرت به الريح من الله خيراً لنا.

«وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»

هذا هو الجزء الثاني من الدعاء.

* "نَعُوذُ بِكَ": أي نلتجئ إليك ونستجير بك.

* "مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ": أي من الضرر الذي قد تسببه لنا.

* "وَشَرِّ مَا فِيهَا": أي من الشرور التي تأتي معها، كالعواصف والدمار.

* "وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ": أي من الشر الذي أُمرت به، كالعذاب الذي نزل على الأمم السابقة. وقد ورد في القرآن أن الله أهلك قوم عاد بريح عاتية، كقوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [فصلت: 16].

باب قول الله تعالى :

يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [آل عمران : ١٥٤].

{يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ}

هذا هو أول ما يكشفه الله تعالى من حالهم.

* "يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ": أي أن ظنهم بالله كان ظناً باطلاً. كان ظنهم أن النصر لا يأتي إلا بالقوة المادية، وأن الهزيمة تدل على أن الله لم ينصرهم.

* "ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ": أي الظن الذي كان سائداً عند أهل الجاهلية، وهو عدم الإيمان بالقدر، ونسبة الأمور إلى الحظ والصدفة أو القوة البشرية، لا إلى تقدير الله وتدبيره.

{يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ}

هذا هو قولهم الذي يعبر عن الظن الباطل.

* "هَل لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ": هو استفهام إنكاري، أي: ليس لنا أي قدرة على التخطيط أو التدبير. وهذا القول يكشف جهلهم بقدرة الله المطلقة، فهم يرون أنفسهم ضعفاء لا حول لهم ولا قوة، ولا يدركون أن الأمر كله بيد الله.

{قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ}

هذا رد إلهي حاسم على قولهم.

* "قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ": أي أن كل أمر، في الماضي والحاضر والمستقبل، هو بيد الله وحده، وهو المدبر لكل شيء. وهذا تأكيد على أن النصر

والهزيمة والرزق والأجل كلها من قدر الله.

{يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا}

هذا تفصيل لما يخفونه في أنفسهم.

* "يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ": هذا يدل على أن ما يقولونه بألسنتهم ليس كل ما في قلوبهم.

* "لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا": هذا هو جوهر ما يخفونه. فهم يلومون القيادة النبوية ويظنون أنهم لو كانوا هم من يدير الأمر، لما أصابهم ما أصابهم. وهذا يكشف عظم نفاقهم وقلة إيمانهم بالقضاء والقدر.

{قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}

هذا رد إلهي آخر يوضح حقيقة القدر.

* "لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ": أي لو تخلفوا عن الجهاد وقعدوا في بيوتهم.

* "لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ": أي لخرج الذين كتب الله عليهم أن يُقتلوا، ولو كانوا في أشد الأماكن تحصيناً، حتى يقتلوا في المكان الذي قدره الله لهم. وهذا يؤكد أن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر.

{وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ}

هذه هي الحكمة الإلهية من هذا الابتلاء.

* "وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ": الابتلاء هنا بمعنى الاختبار. فما حدث كان اختباراً للصدق والنفاق.

* "وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ": أي ليطهر ويصفي قلوب المؤمنين من الشوائب، ويزيل النفاق من قلوب المنافقين. فالمصائب تميز بين الصادق

والكاذب.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}

هذا تأكيد على علم الله المطلق.

* "عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ": أي يعلم ما في القلوب من نيات وأسرار وخبايا.

وقوله تعالى: وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ] الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا] [الفتح : ٦].

{وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ}

هذا الجزء يحدد الفئات التي ستنال العذاب الإلهي.

* "الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ": وهم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وقد كان لهم دور في تثبيط المؤمنين عن القتال، وكانوا يرجفون بالسوء.

* "وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ": وهم الذين يعبدون غير الله، ويشركون به في عبادته، وقد كانوا من أعداء الإسلام.

{الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ}

هذه هي العلة التي بسببها يستحقون العذاب.

* "الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ": أي أنهم ظنوا بالله ظناً سيئاً لا يليق بجلاله وكماله. وهذا الظن له عدة صور:

* ظنهم أن الله لن ينصر المؤمنين: فقد كانوا يرون قلة عدد المسلمين، وكثرة عدد المشركين، فظنوا أن الله سيتخلى عن المؤمنين.

* ظنهم أن الإسلام سيندحر ويزول: وهذا ظن بغير حق، لأن الله هو الحافظ لدينه.

* ظنهم أن ما وعد به الله رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر لم يكن حقيقة: وهذا نوع من التكذيب لوعد الله.

وقد علّق الإمام ابن القيم الجوزية في "زاد المعاد" على هذا الظن قائلاً: "ظن السوء بالله هو ظنهم أن ما وعد به رسوله من الفتح لم يكن، وأن الله لا ينصر دينه، ولا يظهر كلمته، ولا ينصر المؤمنين".

{عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ}

هذا هو أول جزاء لهم.

* "دَائِرَةُ السَّوْءِ": أي تدور عليهم الدوائر السيئة، فما ظنوه بالمؤمنين من أن الدائرة ستكون عليهم، فقد انقلب عليهم. أي أن الهزيمة والخسران والذل

والموت سيكون جزاءهم.

{وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}

هذا هو الجزاء الثاني، وهو أشد من الأول.

* "غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ": الغضب هو أشد أنواع العقاب. فاللّه تعالى غضب عليهم بسبب سوء ظنهم به، وتكذيبهم لوعده، ونفاقهم.

{وَلَعَنَهُمْ}

هذا هو الجزاء الثالث.

* "وَلَعَنَهُمْ": اللعن هو الطرد من رحمة اللّه. فاللّه تعالى طردهم من رحمته في الدنيا والآخرة.

{وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}

هذا هو الجزاء الأخير والأبدي.

* "وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ": أي جهز لهم عذاباً عظيماً في الآخرة.

* "وَسَاءَتْ مَصِيرًا": أي أن جهنم بئس المصير والمكان الذي يؤولون إليه.

قال ابن القيم " [رحمه اللّه تعالى " في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر اللّه وحكمته، فقر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره اللّه على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون و المشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يُديل الباطل على الحق إدالة [مستقرة" يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره الحكمة بالغة يستحق عليها الحمد؛ بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا

، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظنّ السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا مَنْ عَرَف الله وأسماء وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فلْيَعْتَن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وَلْيَسْتَغْفِرْه من ظنه بربه ظن السوء.

ولو فتشت مَنْ فُتشْتَ، لرأيت عنده تعتنا على [القدر " وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك، هل أنت سالم ؟ أم لا]

فإن تنج منها تنج مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وإلا فَإِنِّي لا إِخَالُكَ نَاجِيَا "

انتهى كلامه رحمه الله تعالى]

باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر : والذي نفس ابن عمر بيده، لَوْ كانَ لأ َحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ثم أنْفقهُ في سبيل اللّه مَا قَبِلَهُ اللّه مِنْهُ ، حَتّى يُؤْمِنَ بالقدرِ . ثم استدل بقول النبي : الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّه وَمَلَائِكتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقدَرِ خَيْرِهِ وَشَرّهِ . رواه مسلم.

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، يُكنى بأبي عبد الرحمن. كان من فقهاء الصحابة وعلمائهم، وعُرف بشدة اتباعه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم. كان من المكثرين في الرواية عن النبي، وله مواقف عظيمة في التمسك بالشرع. توفي في مكة سنة 73 هـ.

"والذي نفس ابن عمر بيده"

هذا قسم من عبد الله بن عمر، يُقسم فيه بالله تعالى، وهو تأكيد على أهمية الأمر الذي سيذكره.

"لَوْ كانَ لأ َحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ثم أنْفقهُ في سبيل اللّه"

هذا تشبيه عظيم من ابن عمر لبيان عظم الإنفاق. جبل أحد من أكبر الجبال في المدينة، فأن يمتلكه الإنسان ذهباً، ثم ينفقه كله في سبيل الله، فهذا يدل على عظم الإنفاق والجود.

"مَا قَبِلَهُ اللّه مِنْهُ، حَتّى يُؤْمِنَ بِالْقدَرِ"

هذا هو بيت القصيد في الأثر.

* "مَا قَبِلَهُ اللّه مِنْهُ": أي أن هذا الإنفاق العظيم لا قيمة له عند الله، ولا يتقبله منه.

* "حَتّى يُؤْمِنَ بِالْقدَرِ": هذا شرط لقبول العمل. فمهما كان العمل عظيماً في الظاهر، إذا لم يكن مقروناً بالإيمان بالقضاء والقدر، فإنه لا يُقبل.

العلة في ذلك: أن الإيمان بالقدر هو أساس التوكل على الله، والرضا بأمره،

والاستسلام لقضائه. فمن لم يؤمن بالقدر، فهو في الحقيقة يعترض على

تدبير الله، ويظن أن الأمور تجري بالصدفة أو بغير حكمة، وهذا يتنافى مع كمال إيمان المسلم بالله.

"ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»"

هذا هو حديث جبريل المشهور، والذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. وقد استشهد به ابن عمر لبيان أن الإيمان بالقدر ركن أساسي من أركان

الإيمان الستة.

* "تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ": أي أن تؤمن بأن كل ما يحدث في الكون، من خير وشر، هو بتقدير الله وعلمه.

* "خَيْرِهِ وَشَرِّهِ": أي أن الخير والشر كلاهما من تقدير الله. فالخير هو ما ترضى به النفس، والشر هو ما تكرهه النفس، ولكن كلاهما من الله، وفيه حكمة بالغة.

وعن عبادة بن الصامتأنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان، حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما " اخطاك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إِنّ أَوّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلّ شَيْءٍ حَتّى تَقُومَ السّاعَةُ، يا بُنَيّ ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا، فَلَيْسَ مني .

وفي رواية لأحمد: إِنّ أَوّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تعَالَى القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ .

وفي رواية لابن وهب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنّارِ» .

الراوي هو الصحابي الجليل عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه، من كبار الصحابة وفقهائهم. شهد بيعة العقبة الأولى والثانية، وكان أحد النقباء الاثني عشر الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم. كان من أوائل من هاجر إلى المدينة، وشارك في غزوة بدر وأحد وغيرها. كان عالما

ً بالقضاء والفتوى، وله مواقف عظيمة في التمسك بالحق. توفي في فلسطين سنة 34 هـ.

"يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان، حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما اخطاك لم يكن ليصيبك"

هذه الوصية من عبادة لابنه هي خلاصة الإيمان بالقضاء والقدر.

* "لن تجد طعم الإيمان": أي أن حلاوة الإيمان ولذته لا يجدها العبد إلا إذا وصل إلى هذه الدرجة من اليقين.

* "ما أصابك لم يكن ليُخطئك": أي أن كل ما وقع لك من خير أو شر، كان مقدراً ومكتوباً، ولم يكن من الممكن أن تتجنبه.

* "وما أخطاك لم يكن ليصيبك": أي أن كل ما لم يحدث لك، لم يكن مقدراً أن يصيبك، ولم يكن من الممكن أن يقع.

هذا اليقين يورث المسلم راحة وطمأنينة، لأنه يعلم أن كل الأمور بيد الله، فلا يحزن على ما فاته، ولا يغتر بما أصابه.

"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنّ أوّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"

* "أوّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ": هذا يدل على أن القلم أول المخلوقات، وهو الذي أمره الله بالكتابة.

* "اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ": أي اكتب كل ما سيحدث في الكون من بدايته إلى يوم القيامة. وهذا يشمل الأرزاق والآجال والأعمال والمصائب والأفراح.

"وفي رواية لأحمد: فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ"

هذه الرواية تؤكد المعنى السابق، وتوضح أن القلم كتب كل شيء في لحظة واحدة. وهذا من عظم قدرة الله.

"يا بُنَيّ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا، فَلَيْسَ مِنِّي"

هذا وعيد شديد من النبي صلى الله عليه وسلم لمن لا يؤمن بالقضاء والقدر.

* "فَلَيْسَ مِنِّي": هذا اللفظ يدل على أن من لم يؤمن بالقدر إيماناً كاملاً، فإنه قد خرج من دائرة كمال الإيمان، وقد يكون على خطر عظيم.

"وفي رواية لابن وهب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ"

هذه الرواية تؤكد الوعيد السابق، وتوضح أن جزاء من لا يؤمن بالقدر هو النار.

* "خَيْرِهِ وَشَرِّهِ": أي أن المؤمن يجب أن يؤمن بالقدر في كل أحواله، سواء كانت الأمور خيراً أو شراً.

وفي المسند و السنن عن ابن الديلمي " ، قال: أَتَيْتُ أُبَيّ بنَ كعْبٍ، فَقلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القدَرِ، فَحَدّثنِي بِشَيْءٍ لَعَلّ اللّه يُذْهِبَهُ [مَنْ قلْبِي فقَالَ: لَوْ أَنفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللّه مِنْكَ حَتّى تُؤْمِنَ بِالقدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنتَ مِنْ أَهْلِ النّارِ، قال: فأتيْتُ عَبْدَ اللّه بنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بنَ اليمان، وزيد بن ثابت ، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى اللّه عليه وسلم

حديث صحيح " رواه الحاكم في صحيحه ".

الراوي هو عبد الله بن فيروز الديلمي، تابعي ثقة. لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه روى عن عدد من كبار الصحابة مثل أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت. كان من أهل الشام، وكان عالماً فاضلاً.

"أَتَيْتُ أُبَيّ بنَ كعْبٍ، فَقلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القدَرِ، فَحَدّثنِي بِشَيْءٍ لَعَلّ اللّه يُذْهِبُهُ مِنْ قلْبِي"

هذا الجزء يبين حال السائل (ابن الديلمي) وحال المسؤول (أبي بن كعب).

* "فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القدَرِ": هذا يدل على أن ابن الديلمي كان يعاني من وساوس أو شكوك حول موضوع القضاء والقدر، وهو موضوع دقيق قد

يختلط على بعض الناس.

* "فَحَدّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلّ اللّه ُ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي": هذا يدل على صدق نيته ورغبته في الحصول على اليقين. فهو لم يسأل للجدل، بل للعلاج.

"فَقَالَ: لَوْ أَنفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللّه ُ مِنْكَ حَتّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ"

هذا هو الجواب الأول من أبي بن كعب.

* "لَوْ أَنفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا": هذا تشبيه لبيان عظم العمل. جبل أحد من أكبر الجبال، فلو أنفق الإنسان ما يساويه من ذهب، فهذا يدل على عظيم كرمه وجوده.

* "مَا قَبِلَهُ اللّه ُ مِنْكَ": أي أن هذا العمل العظيم لا قيمة له عند الله.

* "حَتّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ": هذا شرط لقبول العمل. فمهما كان العمل صالحاً، إذا لم يكن مبنياً على الإيمان الصحيح، فإنه لا يُقبل.

"وَتَعْلَمَ أَنّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ"

هذا هو جوهر الإيمان بالقدر، وهي نفس الكلمات التي قالها عبادة بن الصامت لابنه في الحديث السابق.

* "مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ": أي أن كل ما حدث لك كان مكتوباً ومقدراً، ولم يكن من الممكن أن تتجنبه.

* "وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ": أي أن كل ما لم يحدث لك، لم يكن مقدراً أن يصيبك.

"وَلَوْ مُتّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النّارِ"

هذا وعيد شديد يضاف إلى ما قاله أبي بن كعب.

* "وَلَوْ مُتّ عَلَى غَيْرِ هَذَا": أي إذا لم تمت وأنت مؤمن بالقدر.

* "لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النّارِ": هذا يدل على أن الإيمان بالقدر ليس مجرد ركن من أركان الإيمان، بل هو أساسه.

"فأتيْتُ عَبْدَ اللّه ِ بنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ، وزيد بن ثابت، فكلهم

حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم"

هذا الجزء من الأثر يثبت أن الإيمان بالقدر كان متفقاً عليه بين كبار الصحابة، وأنهم رووا نفس المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم.

* "عَبْدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ": من كبار فقهاء الصحابة.

* "حُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ": صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم.

* "زَيْدُ بْنُ ثابِتٍ": كاتب الوحي، وأحد العلماء الراسخين في العلم.

اجتماع هؤلاء الصحابة على نفس الرواية عن النبي يدل على عظم هذا الأمر.

باب مَا جَاءَ في المصورين

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :قَالَ اللهُ تعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ

مِمّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كخَلقِي ؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً

أخرجاه.

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي، يُعرف بكنيته

أبو هريرة، وهي أشهر كنياته. أسلم في السنة السابعة للهجرة، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم ملازمة تامة، فكان من أكثر الصحابة حفظًا ورواية للحديث.

توفي سنة 59 هـ.

قَالَ اللهُ تعَالَى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كخَلقِي ؟)

هذا جزء من الحديث القدسي، حيث يروي النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه مباشرة.

* وَمَنْ أَظْلَمُ: أسلوب استفهام إنكاري، يفيد النفي والذم. المعنى: لا أحد أشد ظلمًا وإجرامًا من هؤلاء. الظلم هنا هو أشد أنواع الظلم، وهو ادعاء المشاركة مع الله في صفاته الخاصة.

* مِمّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كخَلقِي ؟: المقصود هنا ليس الخلق الحقيقي من العدم، فهذا مستحيل على المخلوق. بل المقصود هو التشبّه بخلق الله في صنع التماثيل، والرسوم التي لها ظل (مجسمة)، أو التي تُشبه خلق الله من ذوات الأرواح. هذا الفعل يمثل مضاهاة لخلق الله، أي محاولة تقليده ومنافسته في ألوهيته، وهو ما يُعد من الشرك الأصغر أو الأكبر حسب القصد.

فَلْيَخْلُقُوا ذَرّةً

تحدٍّ إلهي للمصورين.

* ذَرّةً: هي النملة الصغيرة، أو أقل ما يُرى من الهباء في الهواء. هذا التحدي

يبيّن عجز الإنسان المطلق عن خلق أبسط الكائنات الحية. الإنسان قد يصنع أشكالًا، لكنه لا يستطيع أن يضفي عليها روحًا وحياة، وهذا هو الخلق الحقيقي.

* المعنى: إن كنتم قادرين على الخلق، فلتخلقوا أبسط الأشياء، وهي الذرة. وهذا التحدي ليس على سبيل الاستطاعة، بل على سبيل التبكيت والإعجاز.

أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً

* حَبَّةً: كحبة القمح أو الشعير.

* شَعِيرَةً: حبة الشعير.

الحديث يذكر هذه الأشياء لضرب المثل في بساطتها، وفي الوقت نفسه في كونها من الكائنات الحية التي لها قابلية للنمو والإثمار، وهذا ما لا يستطيع البشر إيجاده.

هذه الأشياء هي مجرد أمثلة لأشياء تبدو بسيطة في نظرنا، لكنها في الحقيقة أعقد من أن يخلقها الإنسان.

هذا التحدي يهدف إلى:

* إظهار عجز المخلوق وضعفه أمام قدرة الخالق.

* تأكيد أن الخلق هو صفة خاصة بـاللّٰه تعالى وحده لا يشاركه فيها أحد.

* التحذير من الغرور والمفاخرة والتشبه بالخالق.

ولهما عن عائشة، أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يوم القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِرُونَ بِخَلْقِ اللّٰه .

الراوية: هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوجة النبي صلى اللّٰه عليه وسلم، وابنة أحب أصحابه إليه. تزوجها النبي صلى اللّٰه عليه وسلم وهي صغيرة، وكانت من أفقه نساء الأمة وأعلمهنّ بالحديث والفقه. لها فضل كبير في نقل السنة النبوية، حيث روت أكثر من ألفي حديث، توفيت سنة 58 هـ.

«أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ»

* أَشَدُّ النَّاسِ عذابًا: هذا التعبير يفيد أن هذا الفعل أعظم الذنوب بعد الشرك باللّٰه، ويستحق صاحبه أشد العقوبة. هذا يدل على أن هذا الذنب ليس هيّنًا، بل هو من الكبائر العظمى.

* يَوْمَ القِيَامَةِ: هذا العذاب ليس دنيويًا، بل هو في الآخرة، وهو العذاب الأبدي الذي لا نهاية له. هذا يؤكد خطورة هذا الفعل وأنه يستوجب غضب اللّٰه وعقابه.

«الَّذِينَ يُضَاهِرُونَ بِخَلْقِ اللّٰهِ»

* يُضَاهِرُونَ: أي يشابهون ويحاولون تقليد خلق اللّٰه. والمقصود هنا هو تصوير ذوات الأرواح، أي الكائنات الحية التي لها روح كالإنسان والحيوان.

* بِخَلْقِ اللّٰهِ: أي في محاولة صنع ما يشبه المخلوقات التي خلقها اللّٰه، وهذا يشمل صناعة الصور المجسمة (التماثيل)، أو الرسوم على الورق أو القماش التي لها ظل، أو حتى الصور الرقمية في بعض أقوال العلماء، إذا كانت لذوات أرواح.

ولهما عن ابن عباس : سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يقول: كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذِّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ .

الراوي هو الصحابي الجليل عبد اللّٰه بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم. لقبه "ترجمان القرآن" و"حبر الأمة"، وذلك لشدة علمه وفقهه في كتاب اللّٰه وسنة رسوله. كان من صغار الصحابة، ولكنه كان ملازمًا للنبي صلى اللّٰه عليه وسلم، ودعا له النبي بالبركة في العلم والفهم، فقال: "اللّٰهم علمه الكتاب". كان من أكثر الصحابة رواية للحديث، ويعدّ من المراجع في التفسير والفقه. توفي سنة 68 هـ.

«كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ»

* كُلُّ مُصَوِّرٍ: هذا التعبير يفيد العموم والشمول، فيشمل كل من يصنع صورًا لذوات الأرواح، سواء كانت صورًا مجسمة (تماثيل) أو صورًا مسطحة (رسومًا على الورق أو القماش أو الحائط). وهذا دليل على أن هذا الفعل حرام بإطلاق، وأنه من الكبائر.

* فِي النّارِ: هذا يدل على أن هذا الفعل يستوجب دخول النار، وهو من الوعيد الشديد الذي لا يطلق إلا على الذنوب العظيمة.

«يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوّرَهَا نَفْسٌ يُعَذّبُ بِهَا فِي جَهَنّمَ»

* يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوّرَهَا نَفْسٌ: هذا تعبير مجازي يوضح عِظم العذاب. المقصود هو أن هذه الصور ستتحول إلى أشياء مؤلمة تُعذّب المصور، أو أنها ستتحول إلى أشكال حية لتكون سببًا في عذابه، وهذا جزاء من جنس عمله ، فكما حاول إعطاء الحياة لما لا روح فيه، يُعاقب بما صنعه.

* يُعَذّبُ بِهَا فِي جَهَنّمَ: هذا تأكيد على أن العذاب حقيقي وواقع في النار.

ولهما عنه مرفوعا: مَنْ صَوّرَ صُورَةً فِي الدّنْيَا كُلّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرّوحَ وَلَيْسَ بِنَا فِخ .

«مَنْ صَوّرَ صُورَةً فِي الدّنْيَا»

* مَنْ صَوّرَ صُورَةً فِي الدّنْيَا: هذا تأكيد على أن الوعيد يشمل من قام

بالتصوير في حياته الدنيا، ويدل على أن الفعل محرم.

«كُلّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرّوحَ»

* كُلّفَ: أي ألزم وأمر، وهذا التكليف ليس تكليفًا حقيقيًا ممكنًا، بل هو تكليف على سبيل التوبيخ والتعجيز.

* أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرّوحَ: هذا هو جوهر التحدي. فكما أن المصور حاول أن يشبه خلق الله في الشكل، فإنه سيُطلب منه أن يشابهه في إضفاء الحياة، وهو أمر مستحيل.

«وَلَيْسَ بِنَا فِخ»

* وَلَيْسَ بِنَا فِخ: هذا تأكيد على عجز المصور وضعفه. أي أنه لا يمكنه أن ينفخ فيها الروح، وبالتالي لن يستطيع أن يفي بالتكليف الذي طُلب منه. وهذا يوضح أنه مهما بلغ الإنسان من المهارة، فإنه لا يملك القدرة على الخلق الحقيقي، وأن الأمر كله بيد الله.

والمسلم عَنْ أَبِي الهياج " ، قال: قَالَ لِي عَلِيٌّ أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ

رَسُولُ اللّٰه ؟: أنْ لا تدَعَ صُورَةً إلا طمَسْتَهَا، وَلا قبْرًا مُشْرِفًا إلا سَوّيْتَهُ .واللّٰه

الراوي أبو الهياج الأسدي: اسمه حيان بن حصين، وهو تابعي ثقة. لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم،

*و علي بن أبي طالب: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته فاطمة، وأحد الخلفاء الراشدين الأربعة. كان من السابقين إلى الإسلام، وكان له دور كبير في نصرة الدين. هو من أهل البيت، ومن المبشرين

بالجنة. توفي سنة 40 هـ.

«ألا أبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللّٰه؟»

* ألا أبْعَثُكَ: أسلوب استفهام يُراد به التشويق والتأكيد. المعنى: ألا أرسلك في مهمة عظيمة، كما أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في مهمة مماثلة.

* عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللّٰه؟: هذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر الصحابة بمحاربة المنكرات، وأن هذه المهمة التي سيكلف بها علي رضي الله عنه كانت لها أهمية خاصة عند النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنْ لا تدَعَ صُورَةً إلا طمَسْتَهَا»

* لا تدَعَ صُورَةً: أي لا تترك أي صورة. هذا التعبير يفيد العموم والشمول، ويشمل كل أنواع الصور لذوات الأرواح.

* إلا طمَسْتَهَا: أي أزلتها ومحوتها. وهذا يدل على أن الصور المحرمة لا يجوز تركها، بل يجب إزالتها وتغييرها.

* الصور التي تُطمس: يرى العلماء أن المقصود هو الصور المجسمة (التماثيل)، والصور التي على الجدران والأقمشة التي لا تُحترم، والتي لا يوجد فيها ما يُعرف بالابتذال.

«وَلا قبْرًا مُشْرِفًا إلا سَوّيْتَهُ»

* وَلا قبْرًا مُشْرِفًا: أي لا تترك أي قبر مرتفعًا عن الأرض. الإشراف هو

الارتفاع. والمقصود هو أن القبور يجب أن تكون مسواة بالأرض، أي لا تبنى

عليها قباب أو أبنية، ولا ترفع.

* إلّا سَوّيْتَهُ: أي أزلت ارتفاعه وجعلته مساويًا للأرض. وهذا فيه نهي عن البناء على القبور أو رفعها، وذلك سدًا لذريعة الشرك.

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ [المائدة : ٨٩]

"واحفظوا أيمانكم" تعني: لا تكثروا من الحلف، وإذا حلفتم فاحفظوا أيمانكم من الحنث، ولا تنقضوا اليمين إلا لضرورة، أو لمصلحة راجحة، وحينئذ وجب عليكم الكفارة. هذا هو المعنى العام للآية الكريمة.

* قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: "احفظوا أيمانكم من كثرة الحلف، ولا تحلفوا إلا على حق، وإذا حلفتم فوفوا".

* وقال الإمام الطبري في تفسيره: "احفظوا أيمانكم: لا تنقضوها، إلا أن تكون مصلحة راجحة، فإذا فعلتم ذلك، فكفروا".

* وقال بعض السلف: "لا تكثروا الحلف، فإنه لا يحل للمسلم أن يحلف على ما لا يعلم".

عن أبي هُرَيْرَةَ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه صلى اللّه عليه وسلم يَقُولُ: الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ

لِلسِّلْعَةِ، تمْحَقَةٌ لِلْكسْبِ» أخرجاه. "

الراوي هو الصحابي الجليل أبو هريرة، واسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي. يُعدّ أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي. أسلم في السنة السابعة للهجرة، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم، وكرّس حياته لطلب العلم وحفظ الحديث. كان من أهل الصفة، وتفرّغ لحفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. توفي سنة 59 هجرية.

«الحَلِفُ»

الحَلِفُ بفتح الخاء واللام هو الحلف أو اليمين. وقد جاء في رواية أخرى: "الحَلِفُ". والمقصود به هنا هو اليمين الكاذبة التي يحلفها البائع لترويج سلعته، كأن يقول: "والله لقد اشتريتها بكذا" أو "والله إنها من أجود الأنواع" وهو كاذب.

كان السلف يذمون من يكثر الحلف، لما فيه من الاستخفاف بذكر الله،

وكانوا يقولون: "الحلف على الرزق يذهب بركة الرزق".

«مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ»

منفقة للسلعة أي: ترويج لها، وتصريف لها بسرعة، فالبائع عندما يحلف، يصدقه المشتري ويثق به، فيشتري السلعة. فالحلف يكون سبباً لسرعة بيع السلعة.

«مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»

ممحقة للبركة أي: ذهابها. فالحلف الكاذب وإن كان يروّج السلعة في الظاهر، ويجلب الربح السريع، إلا أنه يمحو بركة هذا الربح. فاللّٰه سبحانه وتعالى ينزع البركة من هذا الكسب، ويجعله لا يدوم ولا ينفع. فقد ينفق هذا الكسب في غير وجهه، أو يذهب سريعًا دون فائدة، أو تذهب بركة المال.

وعن سلمان"، أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال: ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللّٰهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أَشْيَمَطُ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللّٰهَ بِضَاعَتَهُ، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِه . رواه الطبراني بسند صحيح ..

الراوي هو الصحابي الجليل سلمان الفارسي، أبو عبد اللّٰه. كان من أهل فارس، وسعى في طلب الحق سنوات طويلة، حتى أسلم في المدينة المنورة. أشار على المسلمين بحفر الخندق في غزوة الأحزاب. كان عالماً، ورعاً، زاهداً، ومن أهل بيت النبي صلى اللّٰه عليه وسلم. توفي في عهد الخليفة عثمان بن عفان.

«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللّٰهُ»

هذا اللفظ يحمل معنى التهديد والوعيد الشديد، أي أن اللّٰه تعالى لا يكلمهم بكلامٍ فيه رحمة أو رضى، بل يكلمهم بكلام فيه سخط وعذاب. وقد يكون المقصود هنا أن اللّٰه لا يكلمهم أصلا ً، وذلك إعراضاً عنهم وغضباً عليهم، فهم في منزلة الخذلان.

«وَلَا يُزَكِّيهِمْ»

أي لا يطهرهم من ذنوبهم، ولا يمدحهم، ولا يشهد لهم بالإيمان والتقوى.

فاللّٰه تعالى يتركهم على حالهم، لا يغفر لهم، ولا يطهّرهم من آثار معاصيهم. وهذا يدل على شدة غضب اللّٰه عليهم.

«وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»

هذا هو الجزاء الأخير، وهو العذاب الشديد الموجع في النار، نتيجة لذنوبهم العظيمة التي اقترفوها.

«أَشْيَمَطِ زَانٍ»

هو الشيخ الكبير الذي شاب شعره وزنا، فذنبه أعظم من ذنب الشاب، لأن شهوته قد ضعفت، ومع ذلك لم يترك الزنا. وهذا يدل على أن الزنا أصبح سجية في نفسه، ولم يعد مجرد شهوة عابرة. فكان زناه عن عمد واختيار.

«وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»

العائل هو الفقير، والمستكبر هو الذي يتكبر على الناس، ويتعالى عليهم، ويترفع عنهم. وهذا الذنب عظيم، لأنه لم يكن مدفوعاً بالغنى والمال، وإنما كان تكبره على الناس في حال فقره وحاجته. فكان تكبره في حال لا يستدعيه.

«وَرَجُلٌ جَعَلَ اللّٰهَ بِضَاعَتَهُ»

أي جعل اسم اللّٰه تعالى بضاعته ووسيلته في البيع والشراء، فهو يكثر من الحلف باللّٰه على كل صغيرة وكبيرة، لا يشتري إلا بيمين، ولا يبيع إلا بيمين ، وهذا يدل على استخفافه باللّٰه تعالى.

وفي الصحيح " عن عمران بن حصين، قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم :

الخَيْرُ أُمّتِي قَرْنِي، ثمّ الّذِينَ يَلُونهُمْ، ثمّ الّذِينَ يَلُونهُمْ. قال عمران: فلا أدري : أذكر بعد قريه مرتين أو ثلاثا - ؟ ثمّ إنّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْظُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السّمَن ُ .

الراوي هو الصحابي الجليل عمران بن حصين، أبو نجيد الخزاعي، أسلم عام خيبر، وكان من فقهاء الصحابة وعلمائهم، وكان يقول عنه النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: "عمران بن حصين هو من الذين تكلم الملائكة بهم". كان من

أصحاب الفضل والعلم، وكان القاضي في البصرة في عهد خلافة عمر بن الخطاب. توفي سنة 52 هجرية.

«خَيْرُ أُمّتِي قَرْنِي، ثُمّ الّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمّ الّذِينَ يَلُونَهُمْ»

* قرني: المقصود بـ"قرني" هنا هو جيل الصحابة الكرام الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به، وشهدوا الوحي، وتلقوا القرآن والسنة مباشرة منه. وهذا الجيل هو أفضل جيل في هذه الأمة.

* ثم الذين يلونهم: هم جيل التابعين، الذين لقوا الصحابة وأخذوا عنهم العلم.

* ثم الذين يلونهم: هم جيل تابع التابعين، الذين لقوا التابعين وأخذوا منهم.

هذا الترتيب يبين التفضيل المطلق بين هذه الأجيال، فكلما كان الجيل أقرب إلى زمن النبوة، كان أفضل وأعلى قدراً في الخير والعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التوبة: ١٠٠). فهذه الآية تؤكد أن المهاجرين والأنصار وهم الصحابة هم الأفضل.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" (رواه البخاري ومسلم).

*قال الإمام ابن مسعود رضي الله عنه: "مَنْ كانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنّ الحَيّ لا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، كانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الأُمّةِ، أَبَرّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلمًا، وَأَقَلّهَا تكلّفًا".

«ثُمّ إِنّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ»

* بعدكم: أي بعد هذه القرون الثلاثة الفاضلة.

* يشهدون ولا يستشهدون: هذا يدل على أن هؤلاء القوم يكثرون من الشهادة بالباطل، أو يحلفون على أمور لم يروها، أو يدّعون أنهم شهود دون أن يُطلب منهم ذلك. فالشهادة الأصل فيها أنها لا تكون إلا عند الضرورة و

الطلب. فهذا يدل على عدم مبالاتهم بأمر الشهادة وخطورتها.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٤٠). والآية تدل على أن الشهادة أمر عظيم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟" قلنا: بلى يا رسول الله، قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين" وجلس وكان متكئاً، فقال: "ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور". فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت (رواه البخاري ومسلم). وهذا يدل على عظم خطر شهادة الزور.

«وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ»

هذا وصف لأخلاق هؤلاء القوم، فهم لا يثقون فيهم الناس، لأنهم عرفوا بخيانتهم. فالخيانة أصبحت سجية فيهم، فإذا وضع عندهم شيء أضاعوه، وإذا كُلفوا بأمر لم يؤدّوه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الأنفال: ٥٨).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان" (رواه البخاري ومسلم). وهذا يدل على أن الخيانة من صفات المنافقين.

«وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ»

النذر هو أن يلزم المرء نفسه بطاعة لم تكن واجبة عليه، كأن يقول: "لله عليّ أن أصوم يوم كذا". فالوفاء بالنذر واجب. وهؤلاء القوم ينذرون نذوراً، ولكنهم لا يوفون بها. وهذا يدل على ضعف إيمانهم وعدم مبالاتهم بالوفاء

بالعهود.

«وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»

هذا وصف آخر لحال هؤلاء القوم، وهو أن السمن يظهر فيهم، أي يصبحون بدناء. وهذا يدل على التراخي والكسل، وعدم الجد والاجتهاد في العبادة

والعمل الصالح. فكثرة الأكل والترف تؤدي إلى السمن، وهو ما يتنافى مع

حال السلف الصالح الذين كانوا في جد واجتهاد في أمور الدين.

وفيه عن ابن مسعود، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الخَيْرُ النّاس قَرْنِي ، ثمّ الّذِينَ يَلُونهُمْ، ثمّ الّذِينَ يَلُونهُمْ، ثمّ الّذِينَ يَلُونهُمْ، ثمّ يَجِيءُ قَوْمٌ تسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ .

وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد، ونحن صغار .

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمن الهذلي. كان من أوائل من أسلم، وهو سادس ستة أسلموا. كان ملازماً للنبي صلى الله عليه وسلم، وخدمه، وكان من العلماء والقراء المجيدين. قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن يقرأ القرآن غضّاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد". توفي سنة 32 هجرية.

«خَيْرُ النّاس قَرْنِي، ثمّ الّذِينَ يَلُونهُمْ، ثمّ الّذِينَ يَلُونهُمْ، ثمّ الّذِينَ يَلُونهُمْ»

* خَيْرُ النّاس قَرْنِي: المقصود بـ"قرني" هنا هو جيل الصحابة الكرام الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به. وهذا الجيل هو أفضل جيل في هذه الأمة على الإطلاق.

* ثمّ الّذِينَ يَلُونهُمْ: هم جيل التابعين، الذين لقوا الصحابة وأخذوا عنهم العلم.

* ثمّ الّذِينَ يَلُونهُمْ: هم جيل تابع التابعين، الذين لقوا التابعين وأخذوا منهم.

يُلاحظ في رواية ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أربعة قرون ، بينما في رواية عمران بن حصين ذكر ثلاثة. وهذا من الاختلاف في الروايات، وكلاهما صحيح، وقد ذكر بعض العلماء أن المراد بالرابع هو بقية قرن تابع التابعين، أو أن النبي صلى الله عليه وسلم قالها في مواقف مختلفة.

«ثمّ يَجِيءُ قَوْمٌ تسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»

هذا اللفظ يُبيّن حال القوم الذين يأتون بعد القرون الفاضلة، ويُشير إلى أنهم يستخفون بـاليمين والشهادة، وهما أمران عظيمان في الإسلام.

* تسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ: أي أن الرجل يُشهد على أمر ثم يحلف عليه، وهذا يدل على تسرّعه في الشهادة قبل أن يُطلب منه ذلك، واستخفافه

بقدسية الشهادة.

* وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ: أي أنه يحلف على أمر قبل أن يُشهد عليه، وهذا يدل على استخفافه باليمين، حيث يُقدم عليها في غير محلها، ويجعلها في كل كلامه. وهذا الأمر يُشير إلى أن كلا الأمرين قد خفّ في قلوبهم وتهوّنوا بهما.

فالمطلوب من المسلم أن يكون صادقاً في كلامه دون الحاجة إلى الحلف والشهادة.

قال الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: "معنى ذلك أنهم يتساهلون في الأمرين، فيتسارعون إلى الحلف والشهادة، دون تثبت، وبلا حاجة".

«وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد، ونحن صغار»

هذا القول لإبراهيم بن يزيد النخعي، وهو أحد كبار التابعين. وهذا القول ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه أثر عظيم من كلام السلف، يوضح مدى أهمية الوفاء بالعهود والأيمان، والتحذير من التساهل فيها.

* يضربوننا: أي يؤدّبوننا ويعلموننا على خطورة الشهادة والعهد.

* ونحن صغار: وهذا يدل على أن السلف كانوا يربون أبناءهم على تعظيم ا لأمور الشرعية، ويحرصون على أن تنشأ الأجيال على تعظيم اليمين والعهد، وعلى عدم الاستخفاف بهما.

قال الإمام الشافعي: "العهود والشهادات من أصول الدين، ولا يجوز التساهل فيها".

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَهَدتُمْ وَلَا تنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كفِيلًا إِنّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تفْعَلُونَ) [النحل : ٩١].

"وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَهَدتُمْ

قال الإمام الطبري في تفسيره: "قوله (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَهَدتُمْ) يعني: أتموا واعملوا بما عاهدتم الله على فعله من طاعة الرسول والتمسك

بالإسلام".

والعهد هنا يشمل عدة أمور:

* عهد الله على عباده: وهو ما أخذه الله على بني آدم من الإيمان به وتوحيده، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} [الأعراف: 172].

* العهود بين الناس: وهي العقود والاتفاقيات والمواثيق التي يعقدها الناس مع بعضهم. وقد أمر الإسلام بالوفاء بها، فالمسلم إذا عاهد فإنه يفي بعهده. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة: 1].

* النذور والأيمان: وهي ما يعقده الإنسان على نفسه من طاعة لله، فإذا نذر أو حلف على فعل شيء، وجب عليه الوفاء به.

"وَلَا تنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا"

هذا هو النهي الصريح عن نقض العهد بعد أن تم تأكيده.

* "ولا تنقضوا": أي لا تفسدوا وتكسروا وتخالفوا.

* "الأيمان": جمع يمين، والمراد بها هنا العهود والمواثيق المؤكدة بالحلف

والقسم بالله.

* "بعد توكيدها": أي بعد أن تم تثبيتها وتأكيدها. هذا يدل على أن العهد إذا كان مؤكدًا بقسم أو حلف، فإن نقضه يصبح أشد جرمًا.

"وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا"

هذا هو سبب الأمر والنهي، وهو الحجة الإلهية التي لا يمكن تجاهلها.

* "كفيلًا": أي شهيدًا ورقيبًا. فاللّه تعالى هو الشاهد على العهود، وهو المطلع على نوايا القلوب.

* المعنى: إنكم حين تعاهدون، فإنكم تجعلون اللّه شاهدًا على عهدكم، فكيف تجرؤون على نقض عهد شهد عليه رب العالمين؟ هذا تذكير للمسلم بأن مراقبته لله هي الأساس في التزامه بعهده.

"إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ"

هذا هو الوعيد والتهديد في الآية، وهو بمثابة الختام الذي يرهب النفوس.

* "يعلم ما تفعلون": علم اللّه مطلق، فهو يعلم ما يظهره الإنسان وما يخفيه.

* التهديد: فيه تهديد لمن ينقض العهد، بأن اللّه يعلم فعله ولن يفلت من عقابه.

وعن بريدة " ، قال : كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية، أوْصَاهُ في خاصته بتقوى اللّه تعالى] " ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خيرًا، فقال: «اغْزُوا بِسْمِ اللّه، فِي سَبِيلِ اللّه ِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا ، وَلَا تَغْدِرُوا ، وَلَا تُمَثِّلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللّه ُ تَعَالَى، وَلَا يَكُونُ

لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَقَاتِلْهُمْ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللّه ِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ، وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ،

فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ، أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا ؟ رواه مسلم.

الراوي هو الصحابي الجليل بريدة بن الحصيب الأسلمي، يكنى بأبي عبد الله ، أسلم بعد الهجرة، وكان من الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة. اشتهر بروايته للعديد من الأحاديث، وكان من المهاجرين الذين شهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزواته. توفي رضي الله عنه بمدينة مرو بخراسان سنة 63 هـ.

"إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية، أوْصَاهُ في خاصته بتقوى الله تعالى، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خيرًا"

هذا المقطع يوضح أن التقوى هي الأساس في كل أمر من أمور المسلمين، سواء في السلم أو الحرب.

* "أوصاه في خاصته بتقوى الله": هذا يدل على أن القائد يجب أن يكون قدوة في تقواه وخشيته من الله، لأن تقواه هي التي ستدفعه للالتزام بآداب الجهاد.

* "ومن معه من المسلمين خيرًا": هذا يؤكد على حقوق الجند على قائدهم، وأن من واجب القائد أن يحسن إليهم ويراعي مصالحهم.

"اغْزُوا بِسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ"

* "اغزوا بسم الله": أي استعينوا بالله وتوكلوا عليه في قروجكم للقتال.

* "في سبيل الله": هذا يحدد الهدف الأسمى للقتال، وهو إعلاء كلمة الله ونشر دينه، وليس للسيطرة أو الغنائم.

* "قاتلوا من كفر بالله": هذا يحدد العدو المستهدف، وهم الكفار المحاربون، وليس كل من خالف في العقيدة.

"اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا"

هذا المقطع يحتوي على مبادئ الحرب الأخلاقية في الإسلام، وهي نهي عن

أربعة أمور:

* "ولا تغلوا": الغلول هو السرقة من الغنائم قبل قسمتها، وهو من كبائر الذنوب. قال تعالى: {وَمَا كانَ لِنَبِيٍّ أن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: 161].

* "ولا تغدروا": الغدر هو الخيانة ونقض العهد، وهو من صفات المنافقين.

قال تعالى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال: 58].

* "ولا تمثلوا": المثلة هي تشويه جثث الأعداء، وهو من الأفعال القبيحة التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم.

* "ولا تقتلوا وليدًا": الوليد هو الطفل الصغير. نهى الإسلام عن قتل غير المقاتلين من النساء والشيوخ والأطفال والرهبان.

"وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال"

هذا يوضح منهجية الإسلام في الدعوة قبل القتال.

* الدعوة إلى الإسلام: وهي الدعوة الأساسية، فالمقصود من الجهاد هو هداية الناس.

* الهجرة: الانتقال إلى دار الإسلام، ليصبحوا جزءًا من المجتمع الإسلامي، وينالوا حقوقه وعليهم واجباته.

* الجزية: وهي دفع مبلغ مالي مقابل حمايتهم وتركهم على دينهم، وهي خاصة بأهل الكتاب، وتطبق على المشركين عند بعض الفقهاء.

"فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين"

هذا بيان لحال من يسلمون ولا يهاجرون.

* يُعاملون كـ"أعراب المسلمين" في الأحكام الشرعية (الصلاة، الصيام.. إلخ).

* لا يأخذون شيئًا من الغنائم، لأنهم لم يشاركوا في القتال.

* يُستثنى من ذلك من يشارك منهم في الجهاد.

"وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك"

* "ذمة الله وذمة نبيه": هي عهد الله ورسوله، وهي عهد مقدس لا يجوز نقضه.

* "فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك": هذا تعليم نبوي عظيم في فقه العهود، لأن نقض العهد مع الله ورسوله ذنب عظيم، بينما نقضه من المخلوق أهون. هذا لا يعني أن نقض العهد جائز، ولكنه أقل خطورة.

"وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري: أتصيب فيهم حكم الله أم لا؟"

* "أن تنزلهم على حكم الله": أي أن تعاهد على أن يكون حكمك فيهم هو حكم الله المباشر.

* "ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري: أتصيب فيهم حكم الله أم لا؟": هذا يدل على احتياط النبي صلى الله عليه وسلم في الأحكام، وتواضعه. فهو لا يجزم بأن حكمه سيكون هو حكم الله، بل يحتمل الخطأ. وهذا تعليم للقادة بأن لا يتعجلوا في الحكم ويجزموا بأن حكمهم هو الصواب المطلق، فمن الأفضل أن يحكموا بما يراه الأمير حقًا، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر.

باب ما جاء في الإ ِقْسَامِ عَلَى اللَّه بلا علم "

عَنْ جُنْدَب بن عبد الله ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ رَجُلٌ : وَاللَّه لَا يَغْفِرُ اللَّه ُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّه ُ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ رواه مسلم .

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ .

الراوي:هو الصحابي الجليل جندب بن عبد الله البجلي العلقمي، ويُكنى أبا عبد الله. من أهل الكوفة، وكان من الصحابة الذين لازموا النبي صلى الله عليه وسلم، وله عدة أحاديث في الصحيحين وغيرهما. يُعرف بقوة إيمانه وشدة ورعه. توفي رضي الله عنه بعد معركة صفين.

"قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان"

هذا اللفظ يمثل مدخل الحديث وجوهره. الرجل الذي قال هذه الكلمة كان عابدًا كما جاء في رواية أبي هريرة، ولكنه وقع في خطأ عظيم.

* "والله لا يغفر الله لفلان": هذا تألي على الله تعالى، أي حلف على الله وقطع عليه أمرًا يخص رحمته ومغفرته. الإنسان لا يملك أن يحكم على مصير أحد بالجنة أو النار، فمفاتيح المغفرة والرحمة بيد الله وحده.

قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: 53]. هذه ا لآية تؤكد أن باب المغفرة مفتوح لكل من يتوب، وأن الله يغفر الذنوب جميعًا.

"فقال الله: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان"

هذا هو الرد الإلهي المباشر على هذا القول الجريء.

* "مَن ذا الذي يتألى عليّ": هذا استفهام إنكاري بمعنى: من هذا الذي يحلف عليّ أو يقطع عليّ أمرًا؟ هذا يدل على شدة الغضب الإلهي من هذا القول، فهو تجاوز للحدود واعتداء على حق الله المطلق في التصرف في رحمته

ومغفرته.

"إني قد غفرت له، وأحبطت عملك"

هذا هو الجزاء الإلهي على هذا الفعل.

* "إني قد غفرت له": هذا إثبات لرحمة الله المطلقة، وأنه يغفر لمن يشاء. فالله تعالى لم يكتف بالغضب من القائل، بل أظهر عظم رحمته بالمغفرة للطرف الآخر، الذي كان الرجل يحلف أنه لن يُغفر له.

* "وأحبطت عملك": هذا هو العقاب الذي نزل على العابد. إحباط العمل يعني بطلانه وذهاب أجره. وهذا عقاب شديد جداً، يدل على خطورة الكلمة.

* لماذا أحبط عمله؟ لأنه ارتكب ذنبًا عظيمًا، وهو التعدي على مقام

الألوهية والتحكم في رحمة الله.

وهذا يدل على أن الغرور والاعتماد على النفس قد يوقع العابد في الكبائر التي قد تهدم عمله كله.

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: "تكلمَ بِكلِمَةٍ أوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ"

هذا اللفظ يضيف تفصيلا ً هامًا للحديث.

* "رجل عابد": هذا يوضح أن العبادة وحدها لا تكفي للنجاة، ما لم تكن مقرونة بالورع والعلم. فكم من عابد أهلكه غروره.

* "أوبقت دنياه وآخرته": "أوبقت" أي أهلكت.

* في الدنيا: فقد أهلكت مكانته بين الناس، فربما صار حديثهم في سوء عاقبته.

* في الآخرة: فقد أهلكت عمله الذي كان يرجو به الجنة، فصار كسراب بقيعة.

هذا الحديث هو تحذير شديد من الغرور بالعمل، والحكم على الناس بالجنة أو النار، والجرأة على الله تعالى في أمره.

فالإنسان يجب عليه أن يتأدب مع ربه، وأن يسأل الله المغفرة لنفسه ولغيره ، وأن يكل أمر الخلق إلى خالقهم.

باب لا يُسْتَشفع بالله على أحد من خلقه

عن جبير بن مطعم " ، قال: جاء أعرابي إلى النبي ، فقال: يا رَسُولَ اللّه، لكتِ الأ َنْفُسُ، وجاع العِيالُ، وَهَلَكتِ الأ َمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبّكَ فَإِنّا نَسْتَشْفِعُ بِاللّه عَلَيْكَ، وبِكَ عَلى اللّه، فقال النبي : سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللّه ، فَما زَالَ يُسَبّحُ حَتّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمّ قَالَ: وَيْحَكَ، أَتدْرِي مَا اللهُ؟ إِنّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِها وذكر الحديث رواه أبو داود.

الراوي هو الصحابي الجليل جبير بن مطعم بن عدي القرشي النوفلي. كان من سادة قريش، أسلم عام خيبر أو بعدها، وكان من عقلاء قريش، وله مكانة مرموقة بينهم. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث، وكان له دور في بعض الأحداث الهامة في السيرة النبوية. توفي رضي الله عنه سنة 54 هـ في المدينة المنورة.

"جاء أعرابي إلى النبي، فقال: يا رَسُولَ اللّه، لكتِ الأ َنْفُسُ، وجاع العِيالُ، وَهَلَكتِ الأ َمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبّكَ"

هذا اللفظ يصف حال الأعرابي الذي جاء يطلب الغوث من النبي صلى الله عليه وسلم.

* "لكتِ الأ َنْفُسُ": أي تلاشت وأنهكت من شدة الجوع والعطش.

* "جاع العِيالُ": أي جاع الأهل والأولاد.

* "هَلَكتِ الأ َمْوَالُ": أي ماتت المواشي والأنعام.

* "فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبّكَ": هذا هو المطلب الرئيسي، وهو طلب السقيا والإنزال من الغيث. وهذا الطلب مشروع، فقد كان الصحابة يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم بالاستسقاء، كما في حديث أنس في صحيح البخاري.

"فَإِنّا نَسْتَشْفِعُ بِاللّه عَلَيْكَ، وبِكَ عَلى اللّه"

هذا هو اللفظ الذي استدعى رد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو بيت

القصيد في الحديث. الأعرابي استخدم تعبيرًا خاطئًا في الشفاعة.

* "نستشفع بالله عليك": هذا القول باطل ومناقض للعقيدة الإسلامية. الشفاعة تكون من الأدنى إلى الأعلى، لا من الأعلى إلى الأدنى. فالمخلوق يشفع عند الخالق، وليس العكس. والله تعالى لا يحتاج إلى من يشفع له عند أحد من خلقه.

* "وبك على الله": هذا هو الشق الصحيح من قوله، وهو التوسل المشروع بجاه النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه. فهذا هو ما كان الصحابة يفعلونه، يطلبون منه أن يدعو الله لهم، وهذا من الشفاعة الحسنة.

ولكن الأعرابي خلط بين الأمرين، وهذا ما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يغضب.

"فقال النبي: سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ، فَما زَالَ يُسَبِّحُ حَتّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ"

* "سبحان الله": هذا اللفظ هو تنزيه لله تعالى عن النقائص وعن أن يساويه أحد من خلقه. هو رد مباشر على قول الأعرابي "نستشفع بالله عليك". هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم كان إظهارًا للدهشة والاستنكار من هذا الكلام الذي ينقص من قدر الله وعظمته.

* "حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه": هذا يدل على أن غضب النبي صلى الله عليه وسلم كان شديدًا، لدرجة أن الصحابة أدركوا ذلك من تعابير وجهه، مما جعلهم ينتبهون إلى خطورة ما قاله الأعرابي.

"ثُمّ قَالَ: وَيْحَكَ، أَتدْرِي مَا اللهُ؟ إِنّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ"

* "ويحك": كلمة رحمة، تقال لمن يقع في أمر خطير.

* "أَتدْرِي مَا اللهُ؟": هذا استفهام إنكاري، أي: هل أدركت عظمة الله وقدره؟

* "إن شأن الله أعظم من ذلك": هذا تأكيد على أن الله تعالى أعظم وأجل من أن يشفع به أحد عند مخلوق، أو أن يُنسب إليه أي نقص.

"إِنّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ"

هذا هو الحكم الشرعي الواضح الذي يخلص إليه الحديث.

* لا يُستشفع بالله على أحد: هذا نهي صريح عن هذا النوع من التوسل أو الشفاعة. الشفاعة لله تعالى وحده، وليس لأحد من خلقه. وقد ورد في القرآن الكريم أن الشفاعة ملك لله وحده، قال تعالى: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} [الزمر: 44].

باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك)

عن عبد الله بن الشخير " ، قال : انطلقتُ في وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ، فَقلنا: أَنْتَ سَيِّدُنا. فَقالَ: السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا". فَقالَ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ». رواه أبو داود بسند جيد.

الراوي هو عبد الله بن الشخير، أبو معمر، ويُعرف أيضًا بأبي السكير، العامري. كان أحد وفد بني عامر الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. يعد من كبار التابعين الذين رووا عن الصحابة، ولكنه في هذا الحديث يروي عن حادثة حضرها بنفسه مع النبي صلى الله عليه وسلم، مما يجعله من الصحابة. لم يشتهر عنه كثيرًا، ولكن ما رواه في هذا الحديث يحمل قيمة عظيمة في فهم الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم.

"انطلقتُ في وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ، فَقلنا: أَنْتَ سَيِّدُنا"

هذا اللفظ يعكس محبة الصحابة وتقديرهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد عبروا عن ذلك بكلمة "سيدنا" التي تحمل معاني الاحترام والتبجيل. كانت كلمة "السيد" في لغة العرب تطلق على الرئيس، وكبير القوم، ومن يرجع إليه الناس في أمورهم. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحق الناس بهذا اللقب، فهو سيد ولد آدم.

ولكن هذا التعبير من الصحابة كان فيه نوع من الإطراء والمدح الذي لم يألفه النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان يخشى على أمته من الغلو في تعظيمه، وهو ما نهي عنه في أحاديث أخرى.

"فَقالَ: السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى"

هذا هو جوهر الحديث. النبي صلى الله عليه وسلم لم يرفض لقب "سيد" من حيث المبدأ، ولكنه أراد أن يضع الأمور في نصابها الصحيح، وأن يوجه الصحابة إلى أن السيادة المطلقة الكاملة لا تكون إلا لله وحده.

* السيادة المطلقة لله: السيادة في معناها الكامل، والتي تشمل الملك

والتدبير المطلق، هي لله وحده. قال تعالى: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ} [الرعد: 16].

* التحذير من الغلو: كان هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم بمثابة تأديب وتعليم، حتى لا يقع الصحابة في المبالغة التي قد تؤدي إلى الشرك، كما حدث للأمم السابقة التي غلت في أنبيائها. وهذا الموقف يشبه موقفه في حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري، حيث قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر». فهو يثبت لنفسه منزلة السيادة في موضعها الصحيح، ولكنه يخشى أن يتخذها الناس ذريعة للغلو.

"قُلْنَا: وَأَفْضَلَنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا"

بعد أن أدبهم النبي صلى الله عليه وسلم، عادوا ليصفوه بصفات أخرى، وهي "أفضلنا فضلا ً، وأعظمنا طولًا".

* "أفضلنا فضلا ً": أي أنك تفوقنا في الأخلاق والمنزلة.

* "وأعظمنا طولًا": الطول هنا يعني النعمة والإحسان. فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أحسن الناس خُلقًا وأعظمهم إحسانًا إلى أمته، وهذا مما لا خلاف فيه.

هذه الصفات ليست مبالغة، بل هي حقيقة. ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد أن يعلمهم أدب التخاطب، وأن يوجههم إلى الطريقة الصحيحة في مدحه، والتي لا تفتح باب الغلو.

"فَقَالَ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ"

هذا اللفظ يختصر منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع مدحه.

* "قولوا بقولكم، أو بعض قولكم": هذا ليس نهيًا عن المدح مطلقًا، ولكنه توجيه لمدح لا يفتح باب الغلو. فكلمة "سيدنا" قد تفهم على أنها سيادة مطلقة كسيادة الله، أما وصفه بـ "الأفضل والأعظم إحسانًا" فهو حق، ولكنه يُخشى أن يتدرج به الغالون.

* "ولا يستجرينكم الشيطان": هذا هو التحذير الأهم. "يستجرينكم" أي يستدرجكم ويجركم خطوة خطوة نحو الغلو. الشيطان لا يأتي للإنسان ويأمره بالشرك مباشرة، بل يبدأ بمدح الصالحين، ثم الغلو فيهم، ثم عبادتهم

من دون الله.

وعن أنس: أن ناسا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا، وابن خيرنا وسيدنا، وابن سيدنا، فقال يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ ِ وَرَسُولُهُ ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ ُ » رواه النسائي بسند جيد.

الراوي: هو الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد أكثر الصحابة رواية للحديث. خدم النبي صلى الله عليه وسلم مدة عشر سنين منذ هجرته إلى المدينة. كان من المكثرين في الرواية، وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة في المال والولد. توفي سنة 93 هـ.

"يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا"

هذا اللفظ يعكس محبة الصحابة العميقة وتقديرهم للنبي صلى الله ، فقد كانوا يرون فيه القدوة الكاملة في كل شيء. كان هو الأفضل بينهم، وكان أبوه وجده من سادات قومهم. هذا التعبير يحمل دلالات التبجيل والتعظيم، ولكنه قد يفتح باب الغلو في التقدير، وهو ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخشاه ويحذر منه.

"يا أيها الناس، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان"

هذا النداء من النبي صلى الله عليه وسلم ليس نهيًا مطلقًا عن التبجيل، بل هو تحذير من الغلو الذي قد يؤدي إلى الشرك، وهو ما حذر منه القرآن في قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} [النساء: 171].

قوله "ولا يستهوينكم الشيطان" هو تأكيد على أن الغلو في تعظيم الصالحين هو من مداخل الشيطان الكبرى لإفساد العقيدة. قال الإمام ابن تيمية: "إن الشيطان يستهوي الإنسان بالغلو في الصالحين، فيزين له رفعهم فوق منزلتهم".

"أنا محمد عبد الله ورسوله"

هذا اللفظ هو أصل التوازن في منزلة النبي صلى الله عليه وسلم . هو عبد

الله أولا ً، ثم رسوله ثانيًا. هذا الترتيب يؤكد على أن العبودية لله هي الأصل والمنزلة الأعلى لكل مخلوق، حتى الأنبياء.

* كونه عبدًا لله: هذا ينفي عنه صفات الألوهية التي قد ينسبها إليه الغالون. فكل المعجزات والآيات التي جاء بها هي من عند الله، وهو مجرد عبد يقوم بوظيفته كرسول. قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ} [الكهف: 110].

* كونه رسوله: هذه هي المنزلة التي اختصه الله بها، وهي أعلى منزلة بعد العبودية الكاملة لله. فهو رسول الله إلى الناس كافة، جاء بالحق والهداية، ويجب اتباعه وطاعته، ولكن دون إضفاء أي صفات إلهية عليه.

قال ابن القيم في هذا السياق: "من أراد أن يعرف قدر رسول الله، فلينظر إلى قوله: عبد الله ورسوله، فمن جمع بين الوصفين فقد أدرك الكمال".

"ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله"

هذا هو لب الحديث وخلاصته. إنه نهي صريح عن الغلو في مدحه أو تعظيمه، لأنه قد يؤدي إلى ما وقعت فيه الأمم السابقة من عبادة أنبيائهم.

* قال صلى الله عليه وسلم «لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» (رواه البخاري). فالإطراء هو الإفراط في المدح، وهو ما يخشى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقع فيه أمته.

* المنزلة التي أنزله الله: هي منزلة العبودية والرسالة. هذه المنزلة هي أعلى تكريم وأعظم شرف، ولا يليق أن يُرفع فوقها إلى منزلة الألوهية، لأن ذلك شرك.

باب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللّٰه تعَالَى

وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيّمَةِ وَالسّمَوَاتُ مَطْوِيتُ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمّا يُشْرِكُونَ [الزمر : ٦٧].

{وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقّ قَدْرِهِ}

لم يعظموا اللّٰه حق تعظيمه، ولم يعرفوا قدره حق معرفته. فالمشركون الذين عبدوا الأصنام والأوثان لم يعظموا اللّٰه حق تعظيمه، فهم جعلوا مع اللّٰه شريكًا، وهذا من أعظم الظلم.

{وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ}

هذا يدل على أن الأرض بجميع أجزائها، بما فيها من جبال وبحار وسهول، ستكون في قبضة اللّٰه تعالى يوم القيامة، وهذا يدل على عظمة اللّٰه وقدرته، وأنه تعالى هو المالك لكل شيء.

{وَالسّمَوَاتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ}

هذا يدل على أن السماوات السبع ستُطوى وتُلفّ بيمين اللّٰه تعالى يوم القيامة، وهذا يدل على عظم اللّٰه تعالى، وأنه سبحانه هو القادر على كل شيء.

{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمّا يُشْرِكُونَ}

هذا يدل على أن اللّٰه تعالى منزه عن كل عيب ونقص، وأنه تعالى لا يشبه المخلوقين، وأنه لا يوجد له شريك في ملكه، وأن الذين أشركوا مع اللّٰه غيره قد ظلموا أنفسهم، وأن اللّٰه تعالى بريء من شركهم.

عن ابن مسعودقال: جَاءَ حَبر من الأخبار إلى رسول اللّٰه

فقال: يا محمد، إنا نجد أن اللّٰه يجعل السّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النبي ﷺ حَتّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول اللّٰه : وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ

جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ...

وفي رواية لمسلم: والجِبَالِ وَالشّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمّ يَهْزَهُنّ فَيَقُولُ: أنا الملك، أنا اللّه. "

وفي رواية للبخاري : يجعل السّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثّرَى عَلَى إِصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ. أخرجاه "

هذا الحديث صحيح، وقد رواه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما، وهو من الأحاديث العظيمة التي تدل على قدرة اللّه تعالى وعظمته، وأن كل شيء في هذا الكون هو في يد اللّه تعالى.

شرح ألفاظ الحديث

* «جَاءَ حَبر من الأخبار إلى رسول اللّه»: الحبر هو العالم، وهو من علماء اليهود، وقد جاء إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم، فسأله عن صفات اللّه تعالى.

«يَا مُحَمّد، إنا نجد أن اللّه يجعل السّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالشّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ»:

هذا يدل على عظمة اللّه تعالى، وأن السماوات والأرض وما فيهما من المخلوقات في يد اللّه تعالى، وأنها صغيرة جدًا بالنسبة لقدرة اللّه تعالى، وأن هذا التعبير هو من باب التشبيه والتقريب للعقل، لا على الحقيقة، فاللّه تعالى ليس له إصبع، بل هو تعالى منزه عن ذلك.

* «فَيَقُولُ: أنَا المَلِكُ»: هذا يدل على أن اللّه تعالى هو الملك والمالك، وأنه لا يوجد أحد يملك شيئًا معه، وأن كل شيء في هذا الكون هو في يده تعالى.

* «فَضَحِكَ النبي ﷺ حَتّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تصديقا لقول الحبر»: هذا يدل على أن النبي صلى اللّه عليه وسلم صدّق قول الحبر، وأن هذا القول حق، وأن النبي صلى اللّه عليه وسلم ضحك من العجب، لأن هذا القول يدل على عظم اللّه تعالى، وأنه سبحانه وتعالى هو القادر على كل شيء.

«ثُمّ قَرَأَ رَسُولُ اللّهِ: {وَمَا قَدَرُوا اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ...} [الزمر: 67]»

هذه الآية الكريمة تؤكد ما جاء في الحديث، وأن الله تعالى هو المالك وحده، وأن الأرض وما فيها في قبضته تعالى.

* «وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزَهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللهُ»: هذا يدل على أن الله تعالى يمسك الجبال والشجر، ويهزهن، وهذا يدل على عظم قدرته تعالى، وأنه قادر على أن يفعل ما يشاء.

الراوي هو الصحابي الجليل أبو هريرة، واسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي، كان أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي، وقد أسلم في السنة السابعة للهجرة، وتفرّغ لحفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي في المدينة المنورة سنة 59 هجرية.

«وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ»

هذا التعبير يدل على عظمة الله وقدرته المطلقة. فالله تعالى يمسك كل هذه المخلوقات العظيمة وهي الجبال والشجر، التي تعدّ من أضخم وأثقل المخلوقات في الدنيا، ويضعها على إصبعه. وهذا لا يُقصد به التشبيه بأصابع البشر، بل هو وصف لقدرة الله تعالى، وأن هذه المخلوقات الهائلة لا تساوي شيئاً أمام عظمة الخالق.

«ثُمَّ يَهْزَهُنَّ»

هذا اللفظ يدل على أن الله تعالى يُحرّك الجبال والشجر، وهذا الفعل يدل على أن هذه المخلوقات رغم عظمتها لا حول لها ولا قوة أمام قدرة الله، بل هي خاضعة ومذعنة لأمر الله.

«فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللهُ»

هذا القول من الله تعالى يُشير إلى إثبات الألوهية والملك لله وحده يوم القيامة، حيث يكون الحكم له، والسلطان له. فلا أحد يتكلم ولا أحد ينازع في ملكه.

والمسلم عن ابن عمر مرفوعا: يطوي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرْضِينَ [السَّبْعَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ ؟ .

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن. كان من فقهاء الصحابة وعلمائهم، ومن المكثرين من رواية الحديث النبوي. عُرف بشدة اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم، وحرصه على الاقتداء به في كل صغيرة وكبيرة. توفي سنة 73 هجرية

«يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى» .

هذا اللفظ يدل على عظمة قدرة الله تعالى، وأنه يطوي السماوات السبع بكل ما فيها من اتساع وعظمة. والطيُّ هنا يدل على الإخفاء والإزالة. ثم يأخذهن بيده اليمنى، وهذا إثبات صفة اليد لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، دون تشبيه أو تكييف.

«ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟»

هذا القول من الله تعالى فيه إظهار لملكه وسلطانه يوم القيامة، وهو اليوم الذي لا ملك فيه لأحد سواه. ويسأل هذا السؤال ليس لأنه لا يعلم، بل هو سؤال توبيخ وتقريع للجبابرة والمتكبرين في الدنيا.

* أَنَا المَلِكُ: هذا إعلان لتوحيد الملك والسلطان لله وحده.

* أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟: هذا سؤال تحدٍ لمن كانوا يتجبّرون ويتكبرون في الدنيا، فاليوم ليس لهم مكان ولا سلطان.

«ثُمَّ يَطْوِي الأَرْضِينَ [السَّبْعَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ]، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ ؟»

* ثُمَّ يَطْوِي الأَرْضِينَ السَّبْعَ: كما طوى السماوات، يطوي الأرضين السبع.

* ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ: هذا إثبات لصفة اليد الأخرى لله تعالى، وهي اليسرى، وبعض الروايات جاء فيها "اليد الأخرى"، وهذا من باب الإجمال.

* أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟: يكرر هذا السؤال للتأكيد على مصيرهم المحتوم.

وروي عن ابن عباس قال: ما السموات السبع، والأرضون السبع في

كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم .

الراوي هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم. كان من أفقه الصحابة وأعلمهم، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "اللّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل". كان يُلقب بـ"حبر الأمة" و"ترجمان القرآن" لكثرة علمه وتفسيره للقرآن. توفي في الطائف سنة 68 هجرية.

«مَا السّمَوَاتُ السّبْعُ، وَالأَرْضُونَ السّبْعُ»

هذا اللفظ يذكر أعظم المخلوقات التي نراها ونعيش فيها، وهي السماوات السبع والأرضون السبع. وهذه المخلوقات هي مثال على عظمة خلق الله واتساع ملكه. فالمعنى أن كل هذه العوالم الهائلة، بما فيها من نجوم وكواكب ومجرات، لا تساوي شيئًا أمام قدرة الخالق.

«فِي كفِّ الرّحْمَنِ»

هذا اللفظ يؤكد صفة الكف لله تعالى، وهي صفة من صفاته الثابتة في القرآن والسنة. والكف هنا لا تشبه كف المخلوق، بل هي صفة تليق بجلال الله وعظمته. فالمقصود أن الله تعالى يمسك هذه العوالم الهائلة بقبضته، مما يدل على عظمته المطلقة.

«إلّا كخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»

هذا التشبيه يُستخدم لتقريب المعنى إلى الأذهان، ويدل على التصغير الشديد للمخلوقات مقارنة بعظمة الخالق. فبينما الخردلة هي أصغر ما يكون في اليد، فإن السماوات والأرض هي أعظم ما يكون في الكون. وهذا التشبيه يوضح أن عظمة المخلوقات لا شيء أمام عظمة الخالق.

قال الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء": "هذا التشبيه لتقريب المعنى إلى الأذهان، فالله تعالى أعظم وأجل من أن يشبه بشيء من خلقه".

وقال ابن جرير: حدثني يونس "، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله : مَا السّمَوَاتُ السّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إلّا كدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ

الراوي هو زيد بن أسلم، من كبار التابعين، ومن فقهاء المدينة السبعة، كان

من الثقات. وتوفي سنة 136 هجرية. الأثر منقطع، لأن ابن زيد لم يلقَ النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه يُعتبر من الأحاديث التي تلقاها التابعون من الصحابة، وهو يُعتبر من الأحاديث الصحيحة من حيث المعنى.

«مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ»

* السَّمَوَاتُ السَّبْعُ: يُقصد بها السماوات السبع بكل ما فيها من اتساع وعظمة ، وهي من أعظم المخلوقات التي خلقها الله تعالى.

* الْكُرْسِيِّ: هو مخلوق عظيم من مخلوقات الله، وهو فوق السماوات السبع، وله شأن عظيم.

«إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ»

* كدراهم سبعة: الدراهم هي عملة ورقية أو معدنية، وسبعة هنا كناية عن القلة والضعف، أي أن السماوات السبع لا تساوي شيئًا أمام عظمة الكرسي.

«أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ»

* تُرْسٍ: هو ترس الجند الذي يستخدمه في الحروب، وهو وعاء كبير.

* أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ: أي أن الدراهم السبعة الصغيرة تُلقى في الترس الكبير، مما يُوضح مدى ضآلة هذه الدراهم أمام الترس.

قال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ .

الراوي هو الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري، واسمه جندب بن جنادة. كان من أوائل من أسلم، وعُرف بصدقه وورعه وزهده، وحبه الشديد للنبي صلى الله عليه وسلم. كان من المكثرين من رواية الحديث النبوي، وتوفي في المدينة المنورة سنة 32 هجرية.

«مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ»

* الْكُرْسِيِّ: مخلوق عظيم من مخلوقات الله، وقد ثبت في القرآن والسنة أن الكرسي وسع السماوات والأرض.

* العَرْشُ: هو أعظم وأكبر مخلوقات الله تعالى على الإطلاق، وهو سقف المخلوقات كلها، وقد أمر الله تعالى عباده أن يستووا عليه، وأن يعبدوه.

«إلَّا كحَلْقةٍ مِنْ حَدِيدٍ»

* كحلقة من حديد: هذا التشبيه يُستخدم لتقريب المعنى إلى الأذهان،

فالحلقة هي قطعة صغيرة من الحديد، وهي لا تُذكر أمام عظمة العرش.

«أُلقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيِ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ»

* فَلَاةٍ: هي الصحراء الواسعة التي لا يحدها شيء.

* أُلقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيِ فَلَاةٍ: أي أن الحلقة الصغيرة تُلقى في الصحراء الواسعة، مما يُوضح مدى ضآلة هذه الحلقة أمام الصحراء.

وعن ابن مسعود، قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

أخرجه ابن مهدي " عن حماد بن سلمة " عن عاصم " عن زر" عن عبد الله.

ورواه بنحوه ا بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل " عن عبد الله .

قاله الحافظ الذهبي " ، قال: وله طرق.

الراوي هو عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، من كبار صحابة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأحد السابقين الأولين إلى الإسلام. كان من أكثر الصحابة علماً بالقرآن، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد" (أي: ابن مسعود). كما كان مشهورًا بزهده وورعه وعمق فهمه للدين.

"بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام"

هذا اللفظ يصف المسافة الهائلة بين السماء الأولى التي نراها والسماء الثانية. تقدير المسافة بـ"خمسمائة عام" هو تعبير عن البعد العظيم، وليس

تحديداً دقيقاً بالمعايير الفلكية الحديثة. هذا التقدير يعطينا فكرة عن عظمة خلق الله تعالى واتساع الكون، ويُظهر أن السماوات طبقات بعضها فوق بعض.

"وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام"

يؤكد هذا اللفظ أن المسافة الهائلة ليست مقتصرة على السماء الأولى فقط، بل هي ثابتة بين كل سماء وأخرى من السماوات السبع، مما يزيد في إظهار عظمة الخلق واتساعه.

"وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام"

هنا يظهر خلق عظيم جديد هو "الكرسي". هذا اللفظ يوضح أن الكرسي فوق السماء السابعة، وأن بينهما مسافة هائلة. يجب التنويه إلى أن الكرسي ليس هو العرش، بل هو مخلوق عظيم يوضع عليه قدما الرحمن سبحانه

"وبين الكرسي والماء خمسمائة عام"

هذا الجزء من الأثر يخبرنا بوجود بحر عظيم من الماء فوق الكرسي، وهذا من أمور الغيب التي نؤمن بها كما جاءت في النصوص الشرعية.

"والعرش فوق الماء"

هذا اللفظ يؤكد أن "العرش" وهو أعظم المخلوقات، يقع فوق ذلك الماء العظيم. العرش هو سقف الجنة، وهو أعلى ما خلقه الله.

"والله فوق العرش"

هذا هو الجزء الأهم في الأثر، حيث يثبت علو الله تعالى على خلقه، وأنه سبحانه وتعالى فوق سماواته وفوق عرشه. هذا العلو هو علو ذاتي يليق

بجلاله وعظمته، وهو من عقيدة أهل السنة والجماعة.

عندما سُئل الإمام مالك عن الاستواء، قال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

"لا يخفى عليه شيء من أعمالكم"

هذا اللفظ يختتم الأثر ليؤكد على إحاطة علم الله بكل شيء. فالله سبحانه

وإن كان عالياً على عرشه بذاته، فإنه معنا بعلمه، لا يغيب عنه شيء من أقوالنا وأفعالنا. هذا يذكر المؤمن بأهمية مراقبة الله في كل الأوقات

والأحوال.

وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل

تدْرُونَ كمْ بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ ؟ قُلْنَا : اللهُ ُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثْفُ كُلّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السّمَاءِ السّابِعَةِ وَالعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاَهُ كَمَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بني آدم». أخرجه أبو داود وغيره. " [والله أعلم]

الراوي هو العباس بن عبد المطلب، عم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأصغر أعمامه. أسلم متأخرًا، وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة حنين، وكان من الذين ثبتوا معه. كان له مكانة عظيمة عند النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من سادات قريش. رُوي له العديد من الأحاديث النبوية.

"هل تدْرُونَ كمْ بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ؟"

هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس لجهل الجواب، وإنما لإثارة الانتباه وتأكيد أهمية المعلومة التي سيُلقيها، وهي طريقة نبوية لتعليم الصحابة وتشويقهم. يُظهر هذا السؤال عظمة خلق الله تعالى في اتساع هذا الكون.

"قُلْنَا: اللهُ ُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"

هذا الجواب من الصحابة يُبين كمال أدبهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وتفويض العلم إلى الله تعالى ورسوله. فهم لم يخوضوا في التخمين، بل أقروا بفضل الله ورسوله في العلم الغيبي. هذا الموقف يعكس سمة عظيمة من سمات الصحابة، وهي التواضع وحسن الأدب.

"بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ"

هذا اللفظ يُوضح المسافة الهائلة بين السماء والأرض. هذا التقدير ليس

بالضرورة مسافة محددة في علم الفلك الحديث، بل هو تعبير عن البعد

الهائل والاتساع العظيم الذي لا يمكن أن يبلغه الإنسان بسهولة. . المسافة المذكورة بـ "خمسمائة سنة" هي تقدير بالقياس المعروف لديهم آنذاك، وهو مسير الجمال والخيل، وهي تعبير عن عظم البعد.

"وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ"

هذا الجزء من الحديث يُبين أن السماوات ليست سماء واحدة، بل هي سبع سماوات، وأن بين كل سماء والتي تليها مسافة هائلة، مما يُضفي عظمة على خلق الله تعالى.

"وَكِثْفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ"

كلمة "كِثْفُ" تعني "سُمك" أو "غلظ". هذا اللفظ يصف سمك كل سماء من السماوات السبع، مما يدل على عظمتها وثقلها. هذا الوصف يدل على أنها ليست مجرد مساحات فارغة، بل لها سمك وكيان عظيم.

"وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ"

هذا اللفظ يُخبر عن وجود بحر عظيم فوق السماء السابعة، يفصل بينها وبين عرش الرحمن. هذا البحر هو من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وهو دليل على عظمة خلق الله وتنوعه.

"بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ"

هذا الوصف يُبين عمق هذا البحر العظيم، وأن عمقه يساوي المسافة بين السماء والأرض، مما يؤكد عظمته. هذا التشبيه يُقرب الفكرة إلى الأذهان، ويدل على أن هذا البحر ليس مثل البحار التي نعرفها على الأرض.

"وَاللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ"

هذا اللفظ هو أهم جزء في الحديث، حيث يُثبت علو الله تعالى على خلقه، وأنه فوق سماواته وفوق عرشه. هذا العلو هو علو ذاتي، يليق بجلاله وعظمته. هذا الاعتقاد هو من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو

خلاف مذهب من ينكر علو الله أو يؤول صفة العلو.

"وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ"

هذا الجزء الأخير من الحديث يؤكد على إحاطة علم الله تعالى بكل شيء، فهو سبحانه وإن كان عاليًا بذاته فوق عرشه، فإنه يعلم كل ما يجري في الكون، لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده. هذا يدل على صفة العلم

والإحاطة الكاملة، وهي صفة عظيمة من صفات الله تعالى.

تم بحمدلله